



الدكتور خليل أحمد عسيرة

دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر

في نحو

اللغة

وتراكيبها

منهج وتطبيق



beamarabe.blogspot.com





في نخوة اللغز ونزاهة الكتمان
(منهج وتطبيق)

الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لعالم المعرفة - جدة



إعلاء آداب وعلوم
lisanarabs.blogspot.com



جدة - المملكة العربية السعودية - ص. ٧ - ٥٣٦ - بوليا زلفكر
تلكم ٤٠١٢٠٩ شوركو لبس جي تفتوت: ٢٨٧٧٢٩ - ٢٨٧٧٢٧ (٠٢)

دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر

في نحو اللغة وتراكيبها

(منهج وتطبيق)

تأليف
الدكتور خليل أحمد عمارة



إعلاء الحديث النبوي
lisanarabs.blogspot.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



اعزاه ادم شوق
anarabs.blogspot.com

إهداء

إلى رمز المودة والرحمة وعنوانها المشالي ،
وإلى آيات الله البريئة ، ومهيج القلب وربحانه ،
زينة الحياة الدنيا ،
إلى :

هناء ، ولبنى ومعاذ وليلى ولينة .

رجعاً لمعان بليغة تعلمتها منهم ،
وفاء لسمادة غامرة يحيطونني بها ،
وتقديرًا لصبرهم على ابتعادي عنهم .

أبو معاذ



lisanarabs.blogspot.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تكوّنت فكرة هذا الكتاب عندما كنت اناقش مع احد العلماء الألمان Vanimann ، (اثناء مشاركتنا في المؤتمر الدولي الثالث للبحث في تراكيب اللغة الذي عقد في مدينة پوزن في بولندا سنة ١٩٨٠ م) فكرة العناصر الرئيسة للتراكيب اللغوية بعامّة، والخصائص المشتركة لتراكيب عدد من اللغات من بينها اللغة العربية، فنصت هذه الفكرة وصرّفت، ثم اتّيحت فرصة مناقشتها بالتفصيل: جزءاً جزءاً، مع احد اشهر علماء اللغة المعاصرين، مؤسس علم النحو الوظيفي الجديد Functional Grammar، استاذ علم اللغة في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة، Prof. S. Kuno، فزود بتصحّح سديد، ورأي قويم في عدد من النقاط، فاقدّم لها الشكر الصادق. ولجامعة اليرموك التي يسرت اللقاء بها.

واما الاستاذان الفاضلان اللذان ما بجلا بما عندهما من رأي حصيف سديد، وقدمتا من النصّح في مناقشتها ما يشير الى حرص على العلم وتشجيع للعلماء، الاستاذ الدكتور Prof. S. AL-ANI، استاذ علم الاصوات في جامعة انديانا - الامريكية، والاستاذ الدكتور يوسف الهليس، استاذ علم الاصوات في الجامعة الاردنية. فلها الشكر.

واما استاذي العالم الفاضل الدكتور تمام حسان الذي اثار لي الطريق طالباً في قاعة الدرس (في مرحلة الماجستير)، وحرص على متابعة هذه الانارة بعطاء لا يتنضب، آخذه وانا استاذ جامعي، فأتفق معه واختلف، وهو يلاطفني ويرشدني ارشاد الاب ابنه، فاذا اجد

لأقول غير الشكر الصادق من طالب لاشأذه. ولا أنسى الزملاء:
الدكتور محي الدين رمضان، والدكتور علي الحمد، والدكتور حنا
حداد، والدكتور حسني محمود، اساتيد الدراسات اللغوية والتحوية في
جامعة اليرموك، وأخي الدكتور محمد يعقوب التركستاني، استاذ فقه
اللغة في جامعة الملك عبد العزيز والدكتور عبد الهادي الفضلي،
والدكتور عبد المحسن قحطاني والدكتور طارق نجم في جامعة الملك عبد
العزيز. فلهم شكر لما قدموه من كلمات المطاء.

ولا اغفل طلبة في جامعة اليرموك بعامه، وطلبة الدراسات العليا
منهم بخاصة، الذين وجدت عندهم رغبة صادقة في الطلب والتلقي
ونظرة حسيصة لما يأخذون أو يدعون، اراهم طلبة اليوم علماء الغد -
ان شاء الله -، واما طلبة في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، فاني
اقدم لهم شكراً مع دعاء ان ينفعهم الله بكل علم قويم، وان ينفع بهم.
ربما كان من غير المؤلف ان يقدم الكاتب الشكر قبل ان يعرف
بالكتاب، ولكنني كنت انتظر لحظة الانتهاء منه لأفرغ لذوي الحقوق
شيئاً من حقوقهم.

اما الكتاب فيعرض وجهة نظر في دراسة الاساليب اللغوية في اللغة
العربية في ضوء نتائج علم اللغة المعاصر ومعطياته، مع الاهتمام الكبير
«بالمعنى» الذي تتضمنه التراكيب اللغوية لإبرازها على اسس مستقاة من
اللغة العربية، واتخاذ نواة لاعادة ترتيب ابواب النحو العربي، لدراسة
لغوية دلالية، فقد عرضنا فيه نظرة جديدة للنظرية التوليدية
التحويلية، استعملنا فيها المصطلحات بمان محددة جديدة، ومهدنا لهذه
الفكرة بفصلين كانت حاجة طلبةنا (في جامعة اليرموك، وفي جامعة
الملك عبد العزيز) اليها ماسة، عرضنا في الأول جانباً من دراسة
التراكيب عند علماء العرب القدماء، ثم عن تطور الدراسات اللغوية

بعامة واللغة العربية بخاصة، وما اعترضها من عقبات في كل ميدان.
وفي الفصل الثاني عرضنا نبذة موجزة وافية عن حياة أهم اعلام
النهضة اللغوية المعاصرة، وعن نظرياتهم وفلسفة هذه النظريات، ودور
كل منها في الدرس اللغوي المعاصر، الذي اخذ يشغل الباحثين في
الشرق والغرب، وبيننا مداً تأثر كل عالم بغيره في بناء نظريته، ثم
ناقشنا كل نقطة - ما وسع المقام - من الأسس الرئسية التي اعتمد
عليها كل منهم. وللحق، لقد كان هذا الفصل من أكثر الفصول مشقة في
الحصول على المراجع والمصادر التي كتبها هؤلاء الاعلام، او كتبت عنهم
وعن نظرياتهم، وما أكثرها!! وما أوسعها!!.

والله اسأل ان ينفع به، وان يعفو عما فيه من زلل.

جدة في ٢١/٣/١٤٠٤ هـ

٢٥/١٢/١٩٨٣ م.

الدكتور خليل أحمد خليفة



الفصل الأول

دراسات

في علم اللغة العام

اهتم الباحثون والدارسون منذ زمن ليس بالقريب، باللغة، لمعرفة
أصلها ونشأتها وطبيعتها، وكيف تتكون تراكيبها، وبالمعاني التي تؤديها
التراكيب، وبالوظيفة التي تقدمها اللغة في المجتمع والفرد، ولو تتبعنا
تاريخ المجتمعات البشرية للمعروف، لوجدنا أن اللغة من أبرز الظواهر
التي نالت الاهتمام في البحث والتفكير، اهتم الفلاسفة والمناطق في
حلقات الدرس، واهتم الباحثين الشادين، وتفكير الناس كل الناس،
تفكير الرجل غير المثقف في بيته أو مع اغنامه في المرعى، أو وراء
محرابه تجره دابته في المزرعة أو الحقل، كل يفكر في اجابة لأسئلة تعبر
الذهن أحياناً، وتستقر فيه أحياناً أخرى، أما ونحن البشر ننحدر كلنا
من آدم وحواء، فلماذا هذا التعدد في لغات أبناء آدم وحواء؟ وما لغة
آدم وحواء أصلاً؟ وكيف كانت لها؟ أبوحى وتوقيف، أم تطبيقاً
«للحاجة أم الاختراع»؟. اهتم العلماء بهذا الميدان، تحركهم دوافع
متباينة كثيرة، منها الاجتماعية، ومنها السياسية، ومنها الاقتصادية،
ومنها القومية، ومنها الدينية، فغلب هذا تراثاً هائلاً تراكم مع مر
العصور، فيه الفث ومنه السمين، فيه المناقشات العلمية الجادة الواعية
للقضايا الرئيسة في اللغة وأصولها، ذلك فيما كتبه الفلاسفة اليونان
والرومان القدماء، من افلاطون في النصف الأول من القرن الرابع قبل
الميلاد، وارسطو (ت: ٣٢٢ ق.م) وشيشرون (ت: ٤٣ ق.م) ويوليوس
قيصر (ت: ٤٤ ق.م) وقارون (ت: ٢٧ ق.م) إلى غيرهم في المصور
المتلاحقة، وكانت هناك مناقشات أقل عمقاً وأبعد عن الدقة العلمية،
تقوم معظمها على محاولات لربط اللغة بالسحر والشعوذة لأمور دينية.
بقي أمر الدراسة اللغوية هكذا بين اندفاع بقوة وتراجع وجود، حتى
كان النشاط العلمي القوي لدراسة اللغة العربية على يد أبي الاسود

الدولي (ت: ٦٩ هـ)، وذلك فيما تذكره الروايات عن المحاولة الاولى لوضع النحو العربي، وفيما قام به من نقط الاعراب في المصحف الشريف. ولما لم يكتب الله لهذا العمل ان يصل اليه، شأنه شأن محاولات ابي عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي (ت: ١١٧ هـ)، وعيسى بن عمر (ت: ١٤٩ هـ)^(١)، ولا ان ينقل احد من اصحاب كتب التراجم شيئاً منها يساعد في الكشف عن طبيعة هذه المحاولات، او منهج اصحابها في معالجة اللغة، فاننا نرى ان الابداع اللغوي والمناقشة الواعية قد برزت منهجاً واضح المعالم في طرق معالجة قضايا اللغة والنحو، على يد الخليل بن احمد (ت: ١٧٥ هـ) وتلميذه سيبويه (ت: ١٨٠ هـ)، منهجاً سار عليه كل من شاء ان يدرس اللغة قديماً والى يومنا هذا^(٢).

- (١) يقول ابن النديم عن كتابي عيسى بن عمر: «وهذا الكتابان ما وقفا اليه ولا رأيت احداً يذكر انه رآهما، وقد فقد الناس هذين الكتابين منذ المدة الطويلة، ولم تقع الى احد علمناه ولا خبرنا احداً قال انه رآهما.
- (٢) غني عن تفصيل القول في ان ما جاء بعد سيبويه ظلوا في اطار النهج الذي حددته في كتابه، على الرغم من وجود بعض الاختلافات الجزئية التي اثارها بعض من جاءوا بعد سيبويه وتخصصوا في كتابه دراسة او تدريباً كالبرد الذي شغل نفسه بكتاب سيبويه، فألف كتاباً سماه: «الرد على سيبويه»، مما دفع ابن ولاد (ت: ٣٣٢ هـ) للدفاع عن سيبويه في كتاب سماه: «الانتصار لسيبويه من البرد»، ولف البرد كتاباً آخر (المنتخب) ضمنه الابواب الصوتية والصرفية والنحوية التي اشتمل عليها كتاب سيبويه، وان الناظر في كتاب المنتخب بتحقيق الشيخ عبد الحلق عزيمة، يرى ان الكتابين في الحقيقة لا يختلفان كثيراً، والاخفش، سعيد بن مسعدة (ت: ٢٢١ هـ) الذي يعد السوراني الطريق الى كتاب سيبويه (طبقات النحويين ص ٣٩)، الا ان كتاب سيبويه بقي المؤلف الذي اثر على النحاة من بعده والنهج الذي ساروا عليه، وان نظرة الى اعمال ابن السراج (ت: ٣١٦ هـ) والزجاج (ت: ٣١١ هـ) وابن درستويه (ت: ٣٢٠ هـ) وابن جني (ت: ٣٩١ هـ) تبين اهتمام هؤلاء العلماء بكتاب سيبويه وتأثرهم به ومنهجه. ومن الواضح كذلك ان اصحاب الكتب التعليمية في النحو مثل كتاب «الجمال» للزجاجي (ت: ٣٢٧ هـ)، وكتاب «الوجز» في النحو لابن السراج، وكتاب «الايضاح والتكملة» لابي علي الفارسي، وكتاب «اللمع لابن جني، واعمال اصحاب المنظومات التعليمية في النحو واشهرهم ابن مالك»

فعلى الرغم من هذا الاهتمام الكبير بدراسة اللغة ومناقشة قضاياها في بحوث كثيرة، إلا أن ذلك ما زاد على أن كان حجر الأساس لقيام البناء اللغوي المتين، وعلى أن كان سجعاً صادقاً لوقائع التفكير اللغوي آنذاك، وميداناً للتطبيق عند اللغوي المعاصر، فقامت النهضة اللغوية التي أخذت في الآونة الأخيرة تعد الركيزة الرئيسة التي توظف نتائجها وخلاصة تفكير العلماء فيها في مختلف جوانب الدراسات الإنسانية.

ظلت الدراسات اللغوية في اللغة العربية - كما هي في غير العربية - مزيجاً من فروع علم اللغة المختلفة مع عناية خاصة بالجانب التركيبي للجميل، كيف تبني التراكيب وكيف ترتب فيها الكلمات، وبالحركات التي تعطى لكل كلمة بحسب موقعها في التركيب الجملي، وقد كان من بين علماء اللغة أو الباحثين فيها من وجه جهده إلى البحث في أصل اللغة ونشأتها وخصائصها، تارة في غير تأثر بالمنهج النحوي الذي ساد آنذاك، وأخرى متأثراً به واقعاً تحت سلطته وسلطانه، ما أن يخرج منه حتى يعود إليه، كما نجد في كتاب الخصائص لابن جني. فلم يُعرف مصطلح علم اللغة في التراث العربي مشهوراً - في جانب - إلى منهج علمي مستقل لدراسة اللغة، وأما استخدم ليشير إلى البحث في أصل اللغة ونشأتها وما إن كانت توقيفاً أو اصطلاحاً أو تقليداً ومحاكاة^(١)، وفي جانب آخر إلى جمع الألفاظ وتبويبها في صناعة المعاجم، يقول صاحب مفتاح السعادة: «علم اللغة علم باحث عن مدلولات جواهر

(١) (ت: ٩٢٩هـ) والبيان (ت: ١٢٠٦هـ) التي قد ساروا فيها على المنهج الذي سار عليه سيبويه في كتابه مع زيادة في المصطلحات النحوية، ونجزة الأبواب النحوية لغرض التعليم أو للتوسع في الشرح، واحفظاً للحق نقول: لولا هذه الدراسات الجادة القيمة التي قدمها علماء العربية قدغروا بها الدرس اللغوي بقوة وعمق، لما استطاع باحث علم اللغة المعاصر (الباحث في اللغة العربية بخاصة)، أن يصل إلى ما يصل إليه من القوانين والقواعد والأسس العلمية في وصف اللغة وإبراز ما في تراكيبها من معنى.

(١) وانظر، السيوطي، الزهر ٢٥/١.

المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي، وعمّا حصل من تراكيب كل جوهر، وهيئاتها الجزئية على وجه جزئي وعن معانيها الموضوعة لها بالوضع الشخصي^(١)، ويقول في موضع آخر مشيراً إلى موضوع علم اللغة: «وموضوعه جواهر المفردات وهيئاتها من حيث الدلالة على المعاني الجزئية... .. وغايته الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية والوقوف على ما يفهم من كلام العرب^(٢)». فعلم اللغة عند صاحب مفتاح السعادة كما هو عند غيره من اللغويين القدماء، علم يبحث في وضع القواعد النحوية لدفع الخطأ والاحتراز منه، وفي القوانين الصرفية وكيفية اشتقاق الكلمات أو وضعها طبقاً لموازن ترضيها العربية، ثم تصنيف هذه الكلمات في معاجم ككتاب «العين» الذي يعد من أقدم المعاجم العربية، سار فيه صاحبه على منهج صوتي صرفي، رتب حروف العربية فيه طبقاً لخارجها، مبتدئاً بأصوات الحلق ومنتهاً بالحروف الشفهية، عاداً الحروف الأصول في الكلمة الواحدة ومطرحاً الزوائد^(٣). وبناء على هذا المدلول فقد كانت كلمة «اللغوي» في الدراسات اللغوية العربية قديماً تشير إلى من يقوم بأعداد المادة التي يقوم النحوي بالنظر فيها وتقليبها لاستنباط القواعد والقوانين، أي أن مهمة اللغوي كانت مهمة وصفية يعتمد عليها النحوي في وضع القوانين والقواعد المعيارية، يقول السيوطي: «أعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعمدها، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويتيسر عليه^(٤)».

(١) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ١/١٠٠.

(٢) السابق ١/١٠١.

(٣) انظر كتاب العين، وانظر Haywood, Arabic Lexicography

(٤) المزهر ١/٥٩.

اما فقه اللغة فتجد في التراث العربي القديم كتابين يحملان هذا المصطلح عنواناً بارزاً، احدهما لابن فارس، صاحب نظرية التوقيف في اصل اللغة (ت: ٣٩٥هـ)، وعنوان كتابه «الصاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها»، والآخر للثعالبي، ابي منصور (ت: ٤٣٠هـ)، وعنوانه «فقه اللغة وسر العربية»، ولكن احداً من هذين لم يشرح معنى مصطلح فقه اللغة، ولا ما الذي اراده به. ولكن اذا حاولنا ان نتبين ما رمى اليه هذان العالمان بهذا المصطلح مما اشتمل عليه كل من الكتابين من موضوعات، فاننا نجد في كتاب ابن فارس مجموعة من الابحاث لا يجمع بينها رابط، وربما كان الكتاب في اصله مجموعة من الافكار التي كانت تشغل ذهن صاحبها، فافرغها في كتاب. ففيه ابحاث عن اصل لغة العرب، وعن اختلاف اللغات، والاحتجاج باللغة، وعن الخط العربي، وفيه كذلك ابحاث عن الفعل والحرف، ودراسة بعض الادوات والحروف.

اما كتاب الثعالبي، فهو في الواقع كتابان جمعها صاحبها في كتاب واحد من قسمين، يضم اولها، وهو الذي عناء بعنوان الكتاب «فقه اللغة»، مجموعات من الألفاظ التي تتناول شيئاً بعينه، كالألفاظ الخاصة بالثياب، وبالطعام، وبخلق الانسان، وباسماء الانسان والنبات والشجر... وغيرها، مع الاشارة الى الألفاظ التي دخلت الى العربية عن اصل غير عربي.

وفي القسم الثاني الذي يشير اليه العنوان «سر العربية» مجموعة من الابحاث التي تتعلق بالنحو والصرف والبلاغة، كالقديم والتأخير، والاضافة، والاستعارة، والتذكير والتأنيث، والنمط، والاشتقاق... الخ، وكما هو واضح فان محتويات الكتابين لا تشير الى معنى محدد او ميدان واضح في الدراسات اللغوية، وقد كان ابن جني (٣٩٢هـ) عندما رسم كتابه باسم «الخصائص» اقرب الى منلول فقه اللغة عند

اللغويين القدماء، وهو معرفة خصائص العربية وتميزاتها.

في الثلاثينات من هذا القرن اخذ مصطلح «فقه اللغة» يشير الى مدلول كلمة فيلولوجي *Philology* في الدراسات القربية، وهو معنى غير محدد ولا متفق على مدلوله بدقة عند اللغويين الغربيين، فقد كان - عند بعضهم - يشير الى نشر النصوص والتقوش القديمة^(١) ويشير عند آخرين الى معنى رديف لمصطلح علم اللغة *Linguistics*، ومنهم من عده العلم السبذي يبحث في قواعد النحو والصرف. *Syntax and Morphology*، وغيرهم عده العلم الذي يبحث في نقد النصوص الادبية ومقابلتها بما في لغات اخرى، من حيث مضمونها وما فيها من المعاني والقواعد النحوية والمباني الصرفية والصور البلاغية، بالاضافة الى بحث تاريخ هذه اللغة او تلك^(٢).

فما هو علم اللغة في الدراسات اللغوية المعاصرة؟ وما موضوعاته؟. هناك عدة عقبات تعترض طريق من يريد تعريف علم اللغة او تحديد موضوعاته، وربما كان من اهم هذه العقبات ان هذا العلم يعد من العلوم الحديثة التي نشأت منذ زمن ليس بالبعيد، ومن العقبات كذلك، ان هذا العلم ينمو ويتطور بسرعة كبيرة، بسرعة لا تسمح لمصطلحاته بأن تتضح تماماً ولا لنظرياته بأن تستقر على تحديد نهائي لموضوعاتها او جوانب البحث فيها، وقد اخذت تتجه آراء العلماء المحدثين الى حصره في الميادين التالية:

علم الاصوات *Phonolog*، علم الصرف *Morphology*، علم التراكيب *Syntax*، علم المعاجم *Loxicology*، وعلم الدلالة *Semantix*، وقد سارت

(1) F. Schnabel, Deutsche Geschichte im neunzehnten Jahrhundert, München Band 207-1965 PP. 99-102

(2) J.B. Carroll, The Study of Language, Harvard Univ. Press, 1960, PP. 3-5, 64-70

في خط مواز لهذه الحقول التي تعد حقول تخصص دقيق في ميدان علم اللغة العام، مجموعة من الدراسات التي تعد ميدان دراسة لغوية منبثقة من المعنى القديم لمصطلح «فقه اللغة» أو «خصائص اللغة»، وتتصل بعلم اللغة العام بسبب^(١)، ومنها:

علم اللغة العام: *General Linguistics*، وهو العلم الذي يبحث في النظريات اللغوية العامة، ومناهج البحث فيها، اعتماداً على تحليل التراكيب إلى العناصر التي تتكون منها، إلى فونيات تنتظم لتكون مجموعة من المورفيات، وهذه تنتظم بدورها لتكون الجملة التي تعد وحدة التفاهم والتخاطب بين المتكلم والسامع، ووحدة الإفصاح فيها يجري بين الفرد ونفسه. وقد تعددت مناهج العلماء في النظر إلى الجملة وتحليلها، فمنهم من يرى أن على الباحث أن يبدأ بمعرفة الوازع أو الدافع الذهني عند المتكلم، الحافز الذي دفعه للنطق بهذا التعبير أو ذاك، ثم يقوم بتحليل الجملة في ضوء ذلك^(٢)، ومنهم من يرى أن عليه أن ينظر إلى الجملة على أنها الدافع الذي يظهر تصرفاً سلوكياً عند السامع، وفي ضوء هذا التصرف يستطيع الباحث تحليل الجملة^(٣)، ومنهم من يرى أن على الباحث أن يبدأ بتحليل الجملة من الجملة ذاتها إلى الوحدات المكونة لها، من الأكبر إلى الأصغر في ضوء القواعد التوليدية التحويلية *Generative and Transformational Grammar*^(٤).

ويبحث هذا الميدان من ميادين علم اللغة كذلك في معرفة الخصائص الرئيسة التي تكون لغة ما، وفي وضع الأسس الأولية لتحليل اللغوي

(١) انظر R. H. Robins, *General Linguistics: An Introductory Survey*, Longman, 1964.

(٢) انظر «E. Safer, *Language*, PP. 25 - 26

(٣) انظر L. Bloomfield, *Language*, PP. 23 - 34

(٤) انظر N. Chomsky, *Syntactic Structure*,

القائم على فهم الجوانب الصوتية والصرفية والدلالية والمجمية في تلك اللغة، وفي المعاني المختلفة التي تؤديها الجملة، في المعاني التي يصنعها النحاة في ابواب نحوية تدخل فيها جل بعينها، وليس كل الجمل التي تفيد هذه المعاني، كالاستفهام، والنداء، والتعجب... وغيرها^(١).

علم اللغة التقابلي: Contrastive Linguistics

وهو احد ميادين علم اللغة التطبيقي، Applied Linguistics، الذي يعد الجانب العملي التطبيقي للدراسات اللغوية التقابلية، اذ انها تمثل جانبه النظري، فيه يقوم الباحث بدراسة مقابلة لظاهرة لغوية معينة في لغتين او لهجتين، لإثبات الشبه والفروق بينهما. ورصد ما يراء، واصفاً كل ما يتعلق بتلك الظاهرة في اللغتين او اللهجتين، كل واحدة على حدة في مستويات التحليل: الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وذلك لوضع حلّ للصعوبات التي تعترض من يريد تعلم لغة غير لغته، بصرف النظر عن الفروق الفردية عند الدارسين، فيقوم الباحث بتحديد اوجه التشابه بين اللهجتين او اللغتين في الظاهرة اللغوية التي حددها، في الاصوات، بتحديد المائل ووضعه في قائمة، ورصد غير المائل واعطائه الرموز التي اتفق عليها العلماء، او بأن يرمز لها برموز يبينها للقارئ، ويقوم بالعمل ذاته في المستوى الصرفي وكيفية بناء الكلمة، ثم على المستوى التركيبي وكيف تتحد الكلمات لتكوّن جلاً، وكيف يمكن للكلمات ان تعبر عن معاني يريد بها المتكلم بالتقديم والتأخير، والتذكير والتأنيث، والتعريف، والتنكير، وتوظيف النبر والتنغم، Sound Pitch, Stress and intonation، فمثلاً يستعمل المتحدث باللغة العربية الماصرة اداة التعريف في لغته بطريقة تختلف عن استعمال المتحدث بالانجليزية، فيقول، مثلاً: الرجل المجتهد...، ونجدد عندما يود

(١) وانظر R. Ullmann, Principles of Semantics, Oxford, 1957.

التعبير عن الفكرة ذاتها باللغة الانجليزية يقول: **The industrious man....** في حين ان **The** في اللغة الانجليزية تعني ما تعنيه (ال) المهدية في اللغة العربية، وان من عاش مناً في بريطانيا بخاصة - حيث يحافظون على سلامة اللغة الانجليزية - لا بد قد ادرك انه عندما يقول: **I came by the bus**، يُسأل عن هذه الحافلة التي ذكر بأنه قد أتى بها، **The bus**، فيدرك أن عليه ان يقول: **by bus**... ونضع مثلاً آخر، نأخذه من التقديم والتأخير (الترتيب) بين المتلازمين، النعت، والنموت، فالنعت في العربية تابع يتبع منعوته ولا يتقدم عليه: اخذت الكتاب الجديد، بينما يجب في الانجليزية ان يسبق النعت منعوته: **I took the newbook**، ولعل الترتيب بين النعت والنموت في العربية وعدم مراعاته هو الذي يؤدي الى وجود بعض الجمل الملتبسة التي يمتورها الغموض، فنقول: بقالة الجامعة الجديدة، مدرسة جامعة اليرموك النموذجية، فينصرف ذهن السامع الى ان المقصود في الاولى هو البقالة وفي الثانية هو المدرسة، وقد يذهب الى ان المقصود بالنمت هو الجامعة في الاولى، وانه «جامعة اليرموك» في الثانية، اي ان النمت تابع للنكرة التي اصبحت معرفة بالاضافة، او انه تابع للمعرفة مع ابقاء النكرة نكرة في الذهن وفي المعنى الذي توحي به الكلمة. ومثل ذلك يمكن ان يقال عن المائلة بين العربية والانجليزية في توظيف التنعيم لنقل الجملة من معنى الى معنى آخر، نقول، مثلاً: حضر علي **Ali Came** بنفمة صوتية مستوية، فتكون الجملة خبرية، ولكن اذا ما غير المتكلم النفمة الى صاعدة فان المعنى لا يحالة متغير الى معنى الاستفهام



ظلت الدراسات اللغوية التقابلية حتى اوائل الستينات من هذا القرن تساهم في وضع الكتب ورسم مناهج التدريس، يتنبأ الباحثون

بالأخطاء التي يمكن الوقوع فيها في ضوء دراساتهم للظواهر المماثلة ويرسمون للدارسين الذين يرغبون تعلم لغة جديدة، منهجاً يسرون عليه مقابلاً بمنهج في لغتهم الأم، مع مراعاة العادات اللغوية التي يكون الدارس قد اكتسبها في لغته، فينبه اليها، ذلك لأن أصحاب هذا المنهج يرون ان اللغة عادة مكتسبة كأية عادة اجتماعية أخرى^(١)، وفي اوائل الستينات من هذا القرن اتجهت الانظار الى نظرية جديدة يتزعمها العالم اللغوي الامريكي N.Chomsky، وهي النظرية التوليدية التحويلية Generative and Transformational Grammar^(٢)، السقي يرفض صاحبها واتباعه القاعدة الرئيسة التي يعتمد عليها اصحاب المدرسة السلوكية، وبها يؤكدون ان اللغة عادة مكتسبة تنمو وتتطور بمرور الزمن حيث يكتسب الانسان كلمات جديدة ومعاني جديدة، وهذا ما ينقضه اصحاب مذهب تشومسكي في نقطة رئيسة في مدرستهم، فيرون ان اللغة فطرية تقوم على عدد من العمليات العقلية الداخلية^(٣).

علم اللغة التاريخي: Historical Linguistics

لقد عكف عدد من الباحثين في القديم ومن المحدثين على دراسة اصل اللغة ونشأتها، ولكن هذه الجهود لم تصل الى نتائج علمية يمكن الاعتماد عليها^(٤)، فاتجه العلماء والباحثون الى البحث في اللغات القديمة كالمندية، كما فعل كل من بواس وساير وبلومفيلد، التي عدّها العلماء الاصل الذي انبثقت عنه لغات الاسرة الهندية الاوروبية كلها، واتجهوا كذلك الى البحث في اللغة السامية الاولى بحثاً عن الاصل الذي صدرت

(١) انظر L. Bloomfield, Language, PP. 23 - 34.

(٢) انظر N.Chomsky, Aspect of Theory of Syntax.

(٣) متفصل القول في هذا في نظرية تشومسكي.

(٤) انظر Mario Poi, The Story of Language.

عنه لغات الاسرة السامية، ولكن نتائج ابحاث العلماء في اللغات القديمة لم تزود على ان حددت بعض ملامح هذه اللغات وواجه التقارب والتباعد بينها، ومن هنا فقد اتجه علم اللغة التاريخي الى البحث في تاريخ علوم اللغة، كالأصوات وتطور انظمتها، والصرف وتطور ابنيتها، ودخول المفردات من لغة الى لغة، وتاريخ كلمات اللغة وتطور معانيها الدلالية في المصور المتعاقبة في ضوء استعمالها في المجتمع من حيث الانتشار والدلالة، والعوامل المؤثرة في هذا الانتشار، او المؤدية الى دخول كلمات من لغة اخرى، ثم ارتباط كلمات اللغة بالتطور الحضاري للامة التي تستعملها.

ويعنى هذا الميدان من الدراسات اللغوية بدراسة القواعد النحوية وتطورها من زمن لآخر، وبدراسة تطور المصطلحات النحوية واللغوية وما تشير اليه من المعاني في كل عصر وفي اعمال النحاة في المصور المتعاقبة. وكذلك يعنى بتاريخ اللهجات واستقلالها عن اللغة الام او بتأثيرها بها.

علم اللغة المقارن Comparative Linguistics

ذكرنا فيما سبق ان اصحاب المنهج التاريخي في دراسة اللغة قاموا بتصنيف اللغات الى مجموعتين لفوشين كبيرتين يطلقون عليهما:
(أ) اسرة اللغات الهندية الاوروبية، وتضم معظم لغات شبه القارة الهندية وايران، بالاضافة الى اللغات المستعملة في القارة الاوروبية.
(ب) اسرة اللغات السامية، وتشمل العربية (الشمالية والجنوبية)، والعبرية والحبشية والآرامية والاكادية، والفينيقية والاجريتية وغيرها. فاعتماداً على رصد اوجه التماثل والاختلاف بين هذه اللغات وما يتفرع عنها من لهجات تتباين بمرور الزمن حتى تصبح لغات في المستويات او الانظمة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والمعجمية، اعتماداً على رصد

ذلك قام العلماء باقتراض لغة قديمة انحدرت منها هذه اللغات فنشأت الفروع التي أصبحت: الرومانية والجرمانية والسلافية والهندية والايروانية^(١)، وتحت كل فرع من هذه الفروع وجد عدد من الفصائل: الجرمانى: الانجليزية والدنماركية، النوردية والالمانية، وغيرها والفرنسية والاسبانية والاطالية والرومانية المنبثقة عن اللاتينية وتنتهي الى اصل واحد هو الاصل الرومانى. وهناك مجموعة من الفصائل الاخرى التي تنتمي الى مجموعة واحدة من اسرة واحدة وهي الروسية والاكراية والسلوفاكية والتشيكية والبولندية والبلغارية ولغة الصرب، وما يتفرع منها من لهجات، وتنتمي الى السلافية، ثم الهندية وتشمل عدداً من اللغات....

وميدان الباحث في علم اللغة المقارن ان يقابل بين الظواهر اللغوية المختلفة والانظمة التي تؤدي هذه الظواهر، الصوتية والصرفية والمعجمية... في الفروع التي تنتمي الى اصل لغوي واحد^(٢)، لبيان الصلات التاريخية، ورصد نقاط التلاقي والافتراق بينها.

علم اللغة الوصفي: Descriptive Linguistics

ظلت الدراسات اللغوية المقارنة هي الميدان الذي تنصرف اليه هم الباحثين للمقابلة بين لغتين من اصل واحد ودراستهما، الى ان نشر كتاب العالم السويسري دي سوسير de Saussure بعد وفاته بثلاث سنوات، سنة ١٩١٦ م، بعنوان: *Cours de Linguistique Générale*، الكتاب الذي حمل البذرة الاولى للمنهج الوصفي في دراسة اللغة، فاخذت الدراسات اللغوية تتأثر بأراء هذا العالم الذي رأى ان الدراسات اللغوية القديمة وانصراف اصحابها الى البحث في اصل اللغات

(١) انظر، S. Potter, *Language in The modern World*, Pelican Book, 1962

(٢) وانظر: R. H. Raskin, *A Short History of Linguistics*, London, 1967

ونشأتها، وفي اللغات الاصول وما تفرع منها من فروع، لم تأت بنتائج علمية مقنعة، وبناءً على نتائج ابحاث هذا العالم، اتجه الباحثون الى البحث في اللغة الواحدة في زمن بعينه Synchronick، اعتقاداً على ان لكل لغة مجموعة من الوحدات الصوتية تتألف منها مجموعة كلمات معجم تلك اللغة، وعليها يقوم البحث الصرفي والبحث المعجمي فيها، ومنها تتألف الجمل التي تسير طبقاً لقواعد معينة في الاستعمال اللغوي الاجتماعي للتعبير عن المعاني الثقافية والحضارية المختلفة^(١).

بعد ان عرضنا عديداً من أهم ميادين الدراسة اللغوية ومناهج البحث اللغوي بإيجاز، المناهج التي ظل كل منها يعد في فترة من الزمن رديفاً لمصطلح علم اللغة، نجد لزماً ان نعيد السؤال: ما هو علم اللغة في الدراسات اللغوية المعاصرة؟ ولكن قبل الاجابة نرى ان نعرض طرفاً آخر من آراء بعض اللغويين العرب القدماء. يرى ابن جني ان اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم^(٢)، وهذا الرأي يضم نقطتين رئيسيتين هما: ان اللغة مجموعة من الاصوات (الفونيات) التي تنظم في كلمة والكلمة تنتظم مع الكلمة فتكون جملة، وان الجمل التي تنتظم فيها الكلمات تكون في مجموعها ما يسمى باللغة التي تعبر عن المعاني التي في ذهن المتكلم ويحتاج في اخراجها، لنقلها الى السامع او ليفصح عن مشاعره الداخلية واحساسه بموضوع معين، الى تلك الجمل او الى هذه اللغة. فاللغة اذاً، اهم وسيلة اتصال بين المرسل الذي يعبر نطقاً Vocally، او كتابة Graphically، والمستقبل الذي يستقبل الرسالة المرسلة في الهواء عن طريق جهاز السمع، او مكتوبة فيستقبلها عن طريق احدى الحواس الأخرى. وقد يستعمل المرسل اللغة للتعبير عما في

(١) وسنعرض آراء هذا العالم بمزيد من التفصيل في فصل قادم.

(٢) الخصائص: ٣٣/١.

نفسه من مشاعر واحاسيس يخرجها منطوقة دون ان يهدف توصيلها الى مستمع. ولما كانت اللغة هي النظام الصوتي للاتصال او للتعبير الانساني، فانه ينظر اليها من جانبين اولهما: الجانب الشكلي Formal الذي يعنى بالتركيب اللغوي في مستوياته الثلاثة:

(أ) الصوتي Phonology، ويدرس فيه الوحدات الصوتية التي تتكون منها الكلمة طبقاً لمعايير، منها: الهواء المتدفق من الرئتين عبر جهاز النطق عند النطق بكل صوت Sound Waves، ثم دراسة هذه الاصوات واستخراج خصائصها باستخدام عدد من الاجهزة. المعقدة كالاسبيكتروجراف Spectrograph، والاسيلوجراف Oscillograph، ثم تحليل هذه الاصوات تحليلاً فونولوجياً Phonological analysis بحيث تدرس فيه وظيفة هذه الاصوات Function في الكلمات فتميز بين كلمة واخرى، ويترتب على ذلك اختلاف معنى الكلمات^(١).

(ب) المستوى الصرفي Morphology، وفيه ينظر الى بنية الكلمة، وقسمها الذي تلتحق به (من اقسام الكلم)، ثم الى تصريفها، وما يمكن فيها من معنى الزمن ان كانت فعلاً، او معنى التذكير او التأنيث او الافراد او التثنية او الجمع.... الخ.

(ج) المستوى التركيبي Syntax، وفيه يقوم الباحث بالتركيز على الجملة وتركيبها، وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير وحذف وزيادة، وغير ذلك^(٢).

ويبدو أن معظم علماء اللغة العربية القدماء، وكثيرين من المحدثين ينظرون الى النحو على انه هو علم اللغة، ففي القرن الأول من الهجرة،

(١) وانظر P. H. Matthews, Morphology, an introduction to the theory of word-structures, 1973, PP. 196-203.

(٢) وستعرض هذه المصطلحات ودورها في المعنى بعنوان «عناصر التحويل».

اندفع عدد من العلماء بدوافع دينية وسياسية واجتماعية^(١)، لاستقراء كثير من شواهد العربية؛ لاستنباط قواعدها، وعلى الرغم من ان هذا الاستنباط قد سار في اتجاهين متوازيين وكَوْن مدرستين مختلفتين في كثير من تخريج الظواهر اللغوية وتعميد القواعد بناء على هذا التخريج او الاختلاف في طريقة تناول المادة اللغوية، الا ان وجهة نظر المدرستين قد التقت عند القول بأن النحو علم العربية الى ان جاء ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) وترك مجموعة من الآراء اللغوية الرائدة في ميادين الصوت والصرف واللهجات العربية وخصائصها، وتداخل اللغات وتأثيرها ببعض، فكانت ميداناً خصباً للدارسين وما تزال الى يومنا هذا من اكثر البحوث عمقاً وادراكاً لانظمة اللغة. وبما هو بين واضح ان التركيز على المادة النحوية بقواعدها وقوانينها وتطبيقاتها عند كثير من الدارسين القدماء والمحدثين، جعلها تكون بمثابة الرديف لمصطلح علم اللغة ودراسته، وجعل من يقرأ كتاباً في علم اللغة يتوقع ان يعرض كاتبه مجموعة من القواعد والقوانين التي تتعلق بالحركة الاعرابية وتخريجها وتوجيهها بطريقة حديثة لتيسير تعليمها وتعلمها. فاخذ النحو يعني - عند الدارسين - اعراب الكلمات في الجمل والتفنن في تخريج الحركة التي لا عامل لها في الجملة، يمللون او يتأولون، وان لم يكن لتلك الجملة معنى، فلو طلبنا من طالب جامعي في الجامعات العربية ان يعرب الجملة التالية مثلاً: - كما يقول الدكتور غام حسان - : شقاً الشاقىء الشقاء بمشقائه. فانه سيبدأ بالتفكير في الحركة الاعرابية ورصد المرفوع وربطه بأبواب الرفع في النحو، وكذلك المنصوب والمجرور فيقول:

(١) وانظر: غام حسان « التراث اللغوي عند العرب » مجلة فصول، العدد الاول ١٩٨٠، ص ٨٧.

شقاً: فعل ماض مبني على الفتح:
الشاقيء: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.
الشقاة: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.
الباء: حرف جر.

مشقاة: اسم مجرور بالباء وعلامة جره... وهو مضاف
والضمير: ضمير متصل مبني في محل جر.

فالاعراب طبقاً لهذا الفهم وسيلة تفكيك الجملة الى قوالب واجزاء
ميّنة لا حياة فيها، ودون معرفة السبب الذي من اجله يتم هذا
التحليل او التفكيك، واذا ما قرأنا ما يقوله بعض اللغويين العرب
القدماء «الاعراب فرع المعنى»، فانتا نرى ان على القارئ العرب،
او المحلل المنكك ان لا يبدأ بتحليل الجملة الا بعد ان يعرف معناها،
فيقوم بالاعراب في ضوء المعنى، او يقوم بالاعراب لابرار الجوانب
الخفية في المعنى، اذ أن الاعراب وسيلة من وسائل المعنى وخادم من
خدمه. فالتنحو - على ذلك - هو المحور الاساس في اللغة لمعرفة المعاني
التي في الجمل، ولمعرفة الابواب التي تنتمي اليها الجمل او تصنف فيها،
ومهمة التنحو ان يعطي مجموعة من القواعد الخاصة بالكلمة وارتباطها
مع غيرها في الجملة، وارتباط الجملة بغيرها من جل النص اللغوي،
مبنية على استقرار واسع للغة، استقرار يسمح بوضع القاعدة ثم تبرير
وضعها والدفاع عنه بالشواهد، ثم الكشف عن امكان اتباع هذه القاعدة
لتجنب الوقوع في الخطأ عند استعمال اللغة، وليس كما هو مستقر في
اذهان كثير من المعلمين والمتعلمين ان نحو اية لغة هو كتاب التنحو (او
(القواعد) المؤلف فيها^(١).

اما الجانب الثاني فهو الجانب الوظيفي Functional approach.

(١) انظر: F. Palmer, Grammar, Pelican Books, 1973, P. 11.

وتم فيه دراسة الوظيفة التي تقوم بها الكلمة في موقعها في الجملة، ومعرفة ما ان كانت الكلمة قد وقعت في موقعها الاصل او اخذت حركتها الاصل قياساً على ما جاء عن العرب، او تغير شيء من هذا، واذا كان قد تغير فما المعنى الذي كان له التغيير، كذلك معرفة قوانين انتقال الجملة بالتنظيم الذي تنطق به من معنى الى معنى آخر. وقد فصلنا القول في هذا في عناصر التحويل.

اما علم اللغة عند معظم العلماء المعاصرين منذ دي سوسير الى يومنا هذا فهو العلم الذي يقوم بدراسة لغة ما في ذاتها ولذاتها، دراسة علمية دقيقة تعطي وصفاً دقيقاً تاماً لانظمة اللغة، وكيف تعمل هذه الانظمة او الاجهزة، اعتياداً على ملاحظة الظواهر اللغوية ثم دراستها ووضع النظريات لتعليل الملاحظات، ثم وضع النظريات موضع التجريب الدقيق بالتطبيق لمعرفة ما ينطبق من اللغة على القواعد والقوانين وما يخرج عليها، ولمعرفة انسجام هذه القواعد والقوانين او النظريات مع الاستعمال اللغوي، ثم الكشف عن خصائص تلك اللغة، ووضع القواعد التي تمكن من يرغب في تعلمها من ان يجذب حذو اهلها دون أن يقع في الخطأ^(١)، يقول تشوسكي: «ان نحو أية لغة في الحقيقة - هو افتراضات تتعلق بالمبادئ الاساس لتكوين الجملة في تلك اللغة، وتمثل مجموعة من القواعد المفترضة المتعلقة بالمادة المجموعة^(٢)، فلم اللغة كما ذكرنا هو دراسة اللغة في ذاتها وبدون تأثر بعناصر آخر او بمبادئ بحث تاريخية او قياسية او....، ولذاتها، أي لغير حاجة الوصول الى نتائج تتعلق بميدان بحث آخر.

(١) انظر: R.F. Terrell, *Meaning and mind, a study in the Psychology of Language*, Oxford, 1968, P. 195.

وانظر: N.Chomsky, *Aspects of the theory of syntax*, P. 219.

(٢) السابق.

ويبدو ان النحاة واللغويين العرب القدماء في المرحلة الاولى من
الدرس اللغوي، قد ساروا على المنهج اللغوي الذي ترتضيه الدراسات
اللغوية الحديثة، ولكن نقاطاً معينة أدخلت في المنهج فأدت الى وهن في
بعض النتائج، ومن هذه النقاط:

١ - الخلط في مرحلة الجمع (جمع الشواهد اللغوية): فقد قام النحاة
العرب القدماء بجهود كبيرة مرموقة لجمع مادة الاستقراء اللغوي من
الأعراب في البادية، ومن الشعراء الذين كانوا يقدون الى البصرة والى
الكوفة، فيما بعد، لعرض بضاعتهم على النحاة، ولكن النحاة لم يفصلوا
بين ما كان يردهم من هذه القبيلة او تلك، فظهرت نتائج هذا الخلط
عند وضع القواعد النحوية، فجاءت قواعدهم مستوعبة اكبر عدد من
الشواهد المتائلة، واخرجوا ما لا يماثلها واطلقوا عليه «شاذ»^(١)، مع
ان الذين نطقوا به هم من العرب الاقحاح الفصحاء، وربما كان من بين
هؤلاء الأعراب من قد احتج النحاة بشعرهم الذي كان يلقي باللغة
المشتركة (لغة السوق او المنتدى الادبي) لقواعد نحوية. ولو جمع النحاة
المادة اللغوية وصنفوها ينسبون ما جاء من كل قبيلة الى افرادها على
حدة، لما كان من العسر يمكن ان لمخرج بتفسير او تخريج مقنع لكثير
من الشواهد التي لا نجد لها تخرجياً الا بالقول «شاذ»، او كما كان
الفارسي يقول: شاذ لا يقاس عليه وهو كثير في كلامهم، وبتخريج
للشواهد التي اذا وقعت في القرآن الكريم لا نجد مناصاً من التأويل
البعيد كما هو الحال في «ان هذان لساحران» وفي «ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئون والنصارى....». فقد كان الشعراء يدركون
ان هناك اختلافات في اللهجات بين القبائل، وكان احدهم اذا اراد
ان ينظم شعراً للمنافسة به في الأسواق، نظمته باللغة الادبية

(١) وبخاصة لغة البصرة.

المشركة بين القبائل، وإذا ما قال شعراً في قبيلته جاء به متفقاً مع لهجتهم وعاداتهم اللغوية، وكان من بين أفراد القبيلة من حفظ مثل هذا الشعر كما هو، فلم يكن خطأ ولا مخالفاً لما هم عليه في لهجتهم، فتناقلوه إلى أن وصل إلى النحاة الذين حكموا عليه بالشذوذ لأنه يخالف لما عندهم من قواعد، ولأنه كان قليلاً، وإن يكن في الحقيقة ليس بقليل، إذ ليس من اليسير أن يعلم الباحث بأن شاعراً ما جاء بالثنى وفيه الألف في حالاته كلها: الرفع والنصب والجر، في بيت واحد أو اثنين أو عشرة فقط، وليس من المعقول أن يكون قال هذه الأبيات القليلة مخالفاً ما عليه قبيلته دون أن يصوبوه فضلاً عن أن يمحطوا به دون تصويب، ولكن النحاة اسقطوا كثيراً من الأشعار التي وردتهم مخالفة في تراكيبها أو حركات الأعراب فيها، ما كانت عليه قواعدهم التي أخذت تستقر مأخوذة من لهجات قبائل بعينها.

٢ - الاقتصار في استقراء المادة اللغوية على قبائل معينة: اسد، وتميم، وقيس وهذيل وبعض الطائيين وبعض كنانة، ورفض القبائل الأخرى بحجة أنها كانت ذات علاقة تجارية أو علاقة مجاورة بالاقليم التي لم تكن تتكلم العربية، ولحن نعلم أن لغة قريش كانت هي اللغة المشتركة، والتي كانت قد صقلت بأن دخلت فيها الكلمات التي كان أصحابها يقدون إلى ديار قريش للتجارة أو التعمد أو لأنها المركز الحضاري النشط في شبه الجزيرة العربية آنذاك، فيقولون ويأخذ منهم القرشيون ما يستحسنون، بالإضافة إلى أن قريشاً كانت أوسع القبائل احتكاكاً بالعرب وبغير العرب في الجزيرة وخارج الجزيرة في رحلاتها التجارية في الصيف والشتاء. فان اقتصار النحاة في جمع المادة اللغوية على قبائل محدودة ممدودة، جعل قواعدهم محدودة لا تجد فيها تفسيراً للظواهر التي لا توجد في غير لهجات هذه القبائل.

(١) انظر الاقتراح ٥٧ والزهر: ٢٢/٤، ٢١٢.

(٢) الزهر: ٢٢/١.

٣ - الاقتصار في استقراء المادة اللغوية على زمن معين ينتهي بإبراهيم ابن هرمة، أو بشار بن برد، في حين أن اللغة في نظامها المعجمي والصرفي متطورة متجددة لتتمكن من سد حاجة مستعملها في التعبير عما يحول في أنفسهم في إطار نظامها اللذين يجب أن يكونا ثابتين: التركيبي النحوي، والصوتي، فإن للمتحدث بالعربية أن يشتق مجموعة كلمات من مجموعة اصوات اللغة للتعبير عن شيء جديد ترتبط هذه الكلمات بما تعبر عنه بسبب، مع مراعاة قواعد القياس الصرفي، ثم يضع هذه الكلمات في جمل ثم يحول هذه الجمل الى جمل آخر مقدماً أو مؤخراً، حاذفاً أو... مع مراعاة قواعد القياس في التركيب على ما جاء عند العرب. فإن الكلمات التالية مثلاً: عمان، اربد، الى، اليرموك، جامعة، محضر، صباحاً، ليتعلم، محمد، من، في. تنتظم في جملة واحدة تبدأ بالفعل (محضر)، يتبعه الفاعل (محمد)، يليه المكان الذي يخرج منه، ثم الذي يذهب اليه مع الروابط التي تشير الى البداية في المكان والنهاية فيه، لتصبح: (من عمان الى اربد)، ثم الزمان الذي يحضر فيه (صباحاً)، ثم الفرض من الحضور (ليتعلم)، ثم المكان الذي يتعلم فيه مع الرابط الذي يشير اليه (في جامعة اليرموك)، لتصبح الجملة: يحضر محمد من عمان الى اربد صباحاً ليتعلم في جامعة اليرموك، ويمكن ان تحول هذه الجملة لتعبر عما في نفس المتكلم من اهمية لجزء من اجزائها، فيقدم ويؤخر، ولكنها في كل مرة تعبر عن معنى فيه شيء من الاختلاف عما سبقه او يليه، من غير ان يخرج على مقتضى قواعد التقديم او التأخير في العربية في عصر معين^(١).

(١) انظر تفصيل القول في هذه النقطة في مقالنا في المجلة المربية للعلوم الانسانية عدد ٨ مجلد ٢، ١٩٨٢، درأى في بعض انماط التركيب الجمل في اللغة العربية في ضوء علم اللغة المعاصر - وانظر كذلك:

J. Greenberg, Some Universals of grammar With Particular reference to the order of meaningful elements, 1963. P. 78.

٤ - الاهتمام بالشكل أكثر من المضمون: وضع النحاة القدماء عدداً من المصطلحات التي اخذت قتل ابواباً نحوية، وقد كان هدفهم من هذه الابواب او المصطلحات وصف اساليب اللغة وما تتضمنه هذه الاساليب من معاني، ولكنها انحرفت فيما بعد الى جزء واحد مما اهتم به النحاة وهو الحركة الاعرابية، وتفنن النحاة في اعطاء البررات لهذه الحركة، فوضعوا نظرية العامل، وقسموا الكلمات في الجمل الى عوامل وممولات، فما كان من الممولات لعامل مذكور ربط به، وان جاء على غير ما يعمل العامل احتالوا بعامل مقدر محذوف، او محذوف لا يجوز اظهاره او....، ولا غرض من هذا التقدير او التأويل الا تبرير الحركة الاعرابية ليس غير، وكثيراً ما يؤدي اظهار ذاك المقدر الى تغيير في المعنى الذي قصد به التركيب، فكان اهتمام النحاة بالمصطلح النحوي وتبرير الحركة أكثر من اهتمامهم بالمعنى، فأصبح هذا الاهتمام عند النحاة المتأخرين هدفاً يسمون اليه حقاً إن من كان يستمع اليهم يناقشون النحو آنذاك لا يجد ما يميز به الا ما عير به احد الأعراب الذين قدموا الى حلقة احد النحاة وسمعهم فقال: ما لي اراكم تتحدثون في لغتنا بشيء ليس من لغتنا.

وربما كان هذا هو الذي دفع عبد القاهر الجرجاني الى اعادة النظر في النحو الذي هو عنده التطبيق او النظم، والذي يضم عنده كذلك المعنى بالاضافة الى سلامة المبنى^(١)، ولو حاولنا استخلاص طريقة لتحليل الجملة في ضوء ما يراه الجرجاني لقنا: ضرب موسى عيسى صباحاً امام المسجد تأديباً له.

عيسى: هو الشخص الذي وقع الضرب عليه.

موسى: هو الشخص الذي اوقع الضرب على عيسى.

(١) وانظر: دلائل الاعجاز من ٣٧٦، ٤١٧ - ٤١٨.

وانظر فصل النحو بين الصناعة والمعرفة في كتاب قام حسان: الاصول.

ضرب: هو الحدث الذي اوقعه موسى على عيسى.

صباحاً: هو الزمان الذي اوقع موسى الضرب فيه على عيسى.

امام الميجد: هو المكان الذي اوقع موسى الضرب فيه على عيسى.

تأديناً له: هو الغرض الذي اوقع موسى الضرب له على عيسى.

ولا نظن الا ان القارئ قادر على تنظيم كلمات الجملة وربطها بالحجز الذي اراده عبد القاهر، وان لم تكن قد وضعت امامه مباشرة، في حين اننا لو اخذنا تحليل جملة قصيرة، فان امر اعادة الجملة في ضوء المصطلحات النحوية امر ليس باليسير:

: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى.

: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم.

فاذا اشتطنا ان نضم هذا التحليل الذي يضبط سلامة البنية الشكلية في الجملة الى ذاك التحليل الذي يحقق الوصول الى المعنى، فان امر الوصول الى المعنى الدلالي للجملة يصبح امراً ميسوراً، وامر الانصراف عن اعراب الجمل التي لا معنى لها مأموناً^(١).

هـ - الاقتصار في تقعيد اللغة وتقنينها على اللغة المكتوبة، بينما الأصل في اللغة ان تكون منطوقة، وبالنطق يستطيع التكلم ان يعبر بتركيب جلي واحد عن معاني متعددة، ولما كان النحاة قد اهتموا في تقعيد القواعد كل ما يتعلق بالنبر والتنغم، نتيجة اعتقادهم على اللغة المكتوبة، فانا لا نجد لهذين المنصرين اللذين اخذا بيرزان بوضوح في الدراسات اللغوية المعاصرة وبخاصة في الغرب، لا نجد لها اثرأ عند نحاة العربية الا فيما يتعلق بالاستفهام محذوف الاداة، وان التفاتهم الى التنغم فيه غير منصوص عليه ولا اثر لاشارة مباشرة اليه.

(١) انظر: «عناصر التحصيل» في القسم التالي من هذا الكتاب.

ونحن نرى ان كثيراً من الاساليب النحوية واللغوية تقوم على النغمة الصوتية، او تلعب النغمة الصوتية فيها دوراً رئيساً، كما في الاستفهام والتعجب والانكار والتهكم، والاختصاص والاعراء والتحذير.... وسنفصل القول في هذا في: التنعيم عنصر من عناصر التحويل^(١).

٦ - قدسية الكتاب النحوي، القدسية التي دفعت كل من يرغب في وضع مؤلف في هذا الميدان ليشر بضرورة السير على المنهج الذي سار عليه سلفه، بل وعليه ان يغالي في فلسفة المصطلحات النحوية وعملها واثرها في الشكل مع اهل المضمون، ولبت الامر قد توقف على كتاب سيبويه الذي لا تجد فيه من التعقيد ما تجده في مؤلفات المتأخرين، وليتهم اخذوا بقول من قال: من اراد ان يؤلف كتاباً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح، اذاً لما كان هذا العدد من المؤلفات والشروح وشروح الشروح، والهوامش والتعليقات والحواشي، وهي كلها في جوهرها تسير على منهج واحد، قائم على فكرة بعينها، وهي العامل وما يترتب عليه، ونرى ان الباحث في كتب النحو وشروحها من بعد سيبويه الى ابن هشام لا يجد اختلافاً كبيراً في المنهج، وان كان واجداً اختلافاً في المصطلحات النحوية التي يستعملها النحاة، مع ان الخليل - رحمه الله - لم يقصد لهذه القواعد ان تأخذ شيئاً من تلك القدسية، يقول: «ان العرب قد نطقت على سجيئها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله، واعتلت انا بما عندي.... فان صنعت لغيري علة لما علمته من النحو هي التي مما ذكرته بالعلول فليأت بها^(٢)»، ففتح بذلك الباب على مصراعيه لن شاء ان يبحث في المادة اللغوية التي جمعت في زمنه مطلقاً بالطريقة التي لا تخرج العربية عن المنهج

(١) وانظر K. AMAIREH, «Various elements ascertaining meaning in Arabic Grammar» in Journal of Semitic Studies Vol. 26. No. 1.

(٢) الايضاح في علل النحو - الزجاجي، ص ٦٦.

السليم في تحقيق المبنى والمعنى أو الشكل والمضمون. وربما كانت هذه
القدسية للكتاب والنهج هي التي أدت إلى طمس المحاولات التي قام بها
بعض النحاة واللغويين، أو إلى طمس الآراء التي قال بها هؤلاء، بل
والى أبعد من ذلك، إلى رد آراء أهل الكوفة مع أنها في كثير مما قامت
عليه تتم بالوصفية ومحاولة إبراز ما في التراكييب من معنى اعتقاداً على
التقديم والتأخير والحذف والزيادة.... وغيرها.

الفصل الثاني

أعلام النخبة بالدرّيس اللغوي
في الغرب

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31	32	33	34	35	36	37	38	39	40	41	42	43	44	45	46	47	48	49	50	51	52	53	54	55	56	57	58	59	60	61	62	63	64	65	66	67	68	69	70	71	72	73	74	75	76	77	78	79	80	81	82	83	84	85	86	87	88	89	90	91	92	93	94	95	96	97	98	99	100	101	102	103	104	105	106	107	108	109	110	111	112	113	114	115	116	117	118	119	120	121	122	123	124	125	126	127	128	129	130	131	132	133	134	135	136	137	138	139	140	141	142	143	144	145	146	147	148	149	150	151	152	153	154	155	156	157	158	159	160	161	162	163	164	165	166	167	168	169	170	171	172	173	174	175	176	177	178	179	180	181	182	183	184	185	186	187	188	189	190	191	192	193	194	195	196	197	198	199	200	201	202	203	204	205	206	207	208	209	210	211	212	213	214	215	216	217	218	219	220	221	222	223	224	225	226	227	228	229	230	231	232	233	234	235	236	237	238	239	240	241	242	243	244	245	246	247	248	249	250	251	252	253	254	255	256	257	258	259	260	261	262	263	264	265	266	267	268	269	270	271	272	273	274	275	276	277	278	279	280	281	282	283	284	285	286	287	288	289	290	291	292	293	294	295	296	297	298	299	300	301	302	303	304	305	306	307	308	309	310	311	312	313	314	315	316	317	318	319	320	321	322	323	324	325	326	327	328	329	330	331	332	333	334	335	336	337	338	339	340	341	342	343	344	345	346	347	348	349	350	351	352	353	354	355	356	357	358	359	360	361	362	363	364	365	366	367	368	369	370	371	372	373	374	375	376	377	378	379	380	381	382	383	384	385	386	387	388	389	390	391	392	393	394	395	396	397	398	399	400	401	402	403	404	405	406	407	408	409	410	411	412	413	414	415	416	417	418	419	420	421	422	423	424	425	426	427	428	429	430	431	432	433	434	435	436	437	438	439	440	441	442	443	444	445	446	447	448	449	450	451	452	453	454	455	456	457	458	459	460	461	462	463	464	465	466	467	468	469	470	471	472	473	474	475	476	477	478	479	480	481	482	483	484	485	486	487	488	489	490	491	492	493	494	495	496	497	498	499	500	501	502	503	504	505	506	507	508	509	510	511	512	513	514	515	516	517	518	519	520	521	522	523	524	525	526	527	528	529	530	531	532	533	534	535	536	537	538	539	540	541	542	543	544	545	546	547	548	549	550	551	552	553	554	555	556	557	558	559	560	561	562	563	564	565	566	567	568	569	570	571	572	573	574	575	576	577	578	579	580	581	582	583	584	585	586	587	588	589	590	591	592	593	594	595	596	597	598	599	600	601	602	603	604	605	606	607	608	609	610	611	612	613	614	615	616	617	618	619	620	621	622	623	624	625	626	627	628	629	630	631	632	633	634	635	636	637	638	639	640	641	642	643	644	645	646	647	648	649	650	651	652	653	654	655	656	657	658	659	660	661	662	663	664	665	666	667	668	669	670	671	672	673	674	675	676	677	678	679	680	681	682	683	684	685	686	687	688	689	690	691	692	693	694	695	696	697	698	699	700	701	702	703	704	705	706	707	708	709	710	711	712	713	714	715	716	717	718	719	720	721	722	723	724	725	726	727	728	729	730	731	732	733	734	735	736	737	738	739	740	741	742	743	744	745	746	747	748	749	750	751	752	753	754	755	756	757	758	759	760	761	762	763	764	765	766	767	768	769	770	771	772	773	774	775	776	777	778	779	780	781	782	783	784	785	786	787	788	789	790	791	792	793	794	795	796	797	798	799	800	801	802	803	804	805	806	807	808	809	810	811	812	813	814	815	816	817	818	819	820	821	822	823	824	825	826	827	828	829	830	831	832	833	834	835	836	837	838	839	840	841	842	843	844	845	846	847	848	849	850	851	852	853	854	855	856	857	858	859	860	861	862	863	864	865	866	867	868	869	870	871	872	873	874	875	876	877	878	879	880	881	882	883	884	885	886	887	888	889	890	891	892	893	894	895	896	897	898	899	900	901	902	903	904	905	906	907	908	909	910	911	912	913	914	915	916	917	918	919	920	921	922	923	924	925	926	927	928	929	930	931	932	933	934	935	936	937	938	939	940	941	942	943	944	945	946	947	948	949	950	951	952	953	954	955	956	957	958	959	960	961	962	963	964	965	966	967	968	969	970	971	972	973	974	975	976	977	978	979	980	981	982	983	984	985	986	987	988	989	990	991	992	993	994	995	996	997	998	999	1000	1001	1002	1003	1004	1005	1006	1007	1008	1009	1010	1011	1012	1013	1014	1015	1016	1017	1018	1019	1020	1021	1022	1023	1024	1025	1026	1027	1028	1029	1030	1031	1032	1033	1034	1035	1036	1037	1038	1039	1040	1041	1042	1043	1044	1045	1046	1047	1048	1049	1050	1051	1052	1053	1054	1055	1056	1057	1058	1059	1060	1061	1062	1063	1064	1065	1066	1067	1068	1069	1070	1071	1072	1073	1074	1075	1076	1077	1078	1079	1080	1081	1082	1083	1084	1085	1086	1087	1088	1089	1090	1091	1092	1093	1094	1095	1096	1097	1098	1099	1100	1101	1102	1103	1104	1105	1106	1107	1108	1109	1110	1111	1112	1113	1114	1115	1116	1117	1118	1119	1120	1121	1122	1123	1124	1125	1126	1127	1128	1129	1130	1131	1132	1133	1134	1135	1136	1137	1138	1139	1140	1141	1142	1143	1144	1145	1146	1147	1148	1149	1150	1151	1152	1153	1154	1155	1156	1157	1158	1159	1160	1161	1162	1163	1164	1165	1166	1167	1168	1169	1170	1171	1172	1173	1174	1175	1176	1177	1178	1179	1180	1181	1182	1183	1184	1185	1186	1187	1188	1189	1190	1191	1192	1193	1194	1195	1196	1197	1198	1199	1200	1201	1202	1203	1204	1205	1206	1207	1208	1209	1210	1211	1212	1213	1214	1215	1216	1217	1218	1219	1220	1221	1222	1223	1224	1225	1226	1227	1228	1229	1230	1231	1232	1233	1234	1235	1236	1237	1238	1239	1240	1241	1242	1243	1244	1245	1246	1247	1248	1249	1250	1251	1252	1253	1254	1255	1256	1257	1258	1259	1260	1261	1262	1263	1264	1265	1266	1267	1268	1269	1270	1271	1272	1273	1274	1275	1276	1277	1278	1279	1280	1281	1282	1283	1284	1285	1286	1287	1288	1289	1290	1291	1292	1293	1294	1295	1296	1297	1298	1299	1300	1301	1302	1303	1304	1305	1306	1307	1308	1309	1310	1311	1312	1313	1314	1315	1316	1317	1318	1319	1320	1321	1322	1323	1324	1325	1326	1327	1328	1329	1330	1331	1332	1333	1334	1335	1336	1337	1338	1339	1340	1341	1342	1343	1344	1345	1346	1347	1348	1349	1350	1351	1352	1353	1354	1355	1356	1357	1358	1359	1360	1361	1362	1363	1364	1365	1366	1367	1368	1369	1370	1371	1372	1373	1374	1375	1376	1377	1378	1379	1380	1381	1382	1383	1384	1385	1386	1387	1388	1389	1390	1391	1392	1393	1394	1395	1396	1397	1398	1399	1400	1401	1402	1403	1404	1405	1406	1407	1408	1409	1410	1411	1412	1413	1414	1415	1416	1417	1418	1419	1420	1421	1422	1423	1424	1425	1426	1427	1428	1429	1430	1431	1432	1433	1434	1435	1436	1437	1438	1439	1440	1441	1442	1443	1444	1445	1446	1447	1448	1449	1450	1451	1452	1453	1454	1455	1456	1457	1458	1459	1460	1461	1462	1463	1464	1465	1466	1467	1468	1469	1470	1471	1472	1473	1474	1475	1476	1477	1478	1479	1480	1481	1482	1483	1484	1485	1486	1487	1488	1489	1490	1491	1492	1493	1494	1495	1
---	---	---	---	---	---	---	---	---	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	---

قلنا ان الدراسات اللغوية قد دخلت مرحلة طويلة من الركود والبعد عن البحث العلمي الدقيق اذا استثنينا الدراسات اللغوية العربية التي قامت بجهود نقر لم يكونوا يعرفون الملل في سبيل خدمة كتاب الله، وقد كانت دراستهم، وستبقى، ماثلة شاهدة لهم بطول الباع في خدمة العربية بعامة والدراسات اللغوية بخاصة، ظلت هذه المرحلة من الركود العلمي حتى كان عصر النهضة الاوروبية، فاتجه العلماء الغربيون لدراسة اللغات الشرقية، العربية والعبرية بخاصة، ومقارنتها باللغات المعروفة عندهم آنذاك كاللاتينية والفرنسية والانجليزية وغيرها، فبهرهم ما وجدوه في العربية من تقدم في نظامي الأصوات والتراكيب، فيما تركه الخليل وسيبويه والفارابي وابن سينا وابن جني والمجريطي. فتناولوا اللغة يبحثون فيها معتمدين على ما توصلوا اليه في نتائج البحوث السيكولوجية للوصول الى المعنى الذي يريده المتكلم، بالاضافة الى تركيزهم على الدراسات الوصفية القائمة على التحليل اللغوي الوصفي في أنظمة اللغة الصوتية والصرفية والتوكيبية، وبمناهج جديدة مطورة، فنشأت، عندهم في الدراسات اللغوية، مجموعة مدارس تختلف احداها عن الأخرى باختلاف وجهة نظر علماء كل مدرسة في تحليل النصوص او البحث عن المعنى. وقد اعتمد مؤسسو هذه المدارس على افكار وآراء العالم السويسري دي سومير الذي يُعد بحق المؤسس الأول لعلم اللغة المعاصر، وامام نخبة النهضة اللغوية الحديثة. وسنعرض هنا بإيجاز آراء هذا العالم وآراء ابرز العلماء الذين جاءوا بعده واعتمدوا على آرائه وكونوا مدارسهم التي دفعت الدرس اللغوي الحديث الى الامام.

فرديتاندي سوسير (١٨٥٧ - ١٩١٣ م) F. De Saussure

ولد في جنيف سنة ١٨٥٧ م، وعاش حياته بين برلين، حيث التقى بعدد من أشهر العلماء الذين كانوا يبحثون في اللغة، وباريس حيث عمل مديراً للدراسات اللغوية في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وحيث التقى محاضراته في علم اللغة العام، المحاضرات التي جمعها تلميذاه Bally و Sechehay، ونشرها بعد وفاته بثلاث سنوات بعنوان *Cours de Linguistique Générale*، فتضمنت أهم آراء هذا العالم ومذهبه في دراسة اللغة، وتقوم على تقسيم اللغة إلى مجموعة من الثنائيات: تقوم الأولى على أن السيميولوجيا حلقة من المؤسسات الاجتماعية قائمة على مجموعة من الاشارات، تنتظم في إطار ومنهج، وتمكن أفراد المجتمع من الاتصال فيما بينهم، وتقوم الثانية على تحديد العنصر الرئيس في اللغة ميدان البحث والدراسة، وهو القدرة على انتاج الكلام، قدرة مبنية من الجوانب السيكولوجية والسوسيلوجية والفلسفية عند التكلم والمجتمع، وفي معزل عن الدراسات التاريخية القائمة على البحث في أصل اللغات ونشأتها وتطورها. ثم يوظف سوسير هذا التحديد ليقارن بين اللغة بصفة عامة، والتي هي القدرة على انتاج الكلام باشارات رمزية، وكل لغة من لغات البشر على حدة، في وحدتها اللغوية وقواعدها وقوانينها من جهة، وبين الانتاج الفردي للغة ما على لسان متحدث بها مع مراعاة هذه القواعد والقوانين، ومع عدم الخروج عليها بحال. وبذا تبرز نقطة ذات قيمة أكبر في مذهب سوسير، وهي التمييز بين اللغة والكلام، فاللغة - ويقوم علم اللغة بدراستها مهلاً الكلام - انتاج جماعي، وظيفته الجماعة التي تشمل هذا النمط من الاتصال الرمزي الاشاري في اذهان المتكلمين بها، فاستقرت في اذهانهم بالقوة، بدلائلها على ما تشير اليه، وبما احيطت به من أطر نفسية واجتماعية وحضارية وتاريخية. اما الكلام فهو الانتاج المحسوس الذي ينتجه الفرد

في المواقف المتعددة في حياته اليومية، أي أنه هو التجسيد الممنوع للغة، وهو النموذج الذي يقوم الباحث اللغوي برصده من عدد من الافراد في مجتمع يريد الباحث دراسة لغته، ليصل الى وضع قواعد وقوانين لتلك اللغة. وترتب على هذه النقطة كاملة نقطة اخرى في مذهب سوسير، وهي التفريق في دراسة اللغة بين مناهج التحليل التي تعتمد على وصف اللغة في زمن محدد Diachronic Grammar لابرار اهم خصائصها ولرصد قواعدها وقوانينها وكيفية انتظام مبادئها الصرفية والتركيبية. والمناهج التاريخية Synchronic التي تبحث في اللغة في عصور تاريخية متلاحقة متتابعة لابرار التطور والتغير الذي يجري على اللغة بمرور الزمن. وهنا تلتحق نقطة اخرى من نقاط نظرية سوسير السابقة عليها، وهذه اقتضت ما يترتب عليها، وهاتان: ان دي سوسير يرى ان الرمز اللغوي رمز محسوس اعتباري اجتماعي متوارث له صورة سمعية (لما هو منطوق)، واخرى ذهنية يرتبط بها الرمز فتشير الى مدلول اجتماعي، وبذا فالرمز اللغوي يختلف عن غيره من الرموز التي لا تعتمد على النطق وان كانت ترتبط بمدلول ذهني اجتماعي. ويرى كذلك ان للغة بُعدين تقوم عليهما: البعد الخارجي، وهو الشكل، ويرتبط بأطر خارجية تتصل بالمجتمع وتاريخه، وبموقعه الجغرافي، وبإنتاجه الادبي وصراعه السياسي، وغير ذلك. والبعد الداخلي، وهو الجوهر او المضمون، وهو الذي يمثل النظام الذاتي الدقيق للغة. ويعتمد هذا البعد على ان الوحدات التي تكوّن اللغة تكتسب قيمتها الدلالية اللغوية بتمييزها عن بعضها اعتماداً على ما فيها من فروق.

ظلت آراء دي سوسير التي نشرت في كتابه *Cours in general Linguistics* موضع اهتمام العلماء الذين جاءوا بعده فضلاً عن أولئك الذين عاصروه، بين منتقد يراه قد خرج على افكار المناهج التاريخية وخطتها المائدة آنذاك، أو أنه ما زاد على ان اشار الى بدعيات

معلومة معروفة، كالرمز اللغوي، واعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول دون أن يضع لها تفسيراً علمياً دقيقاً مقنعاً. ومادح يرى في هذا الخروج قيمة تجديدية ارمى بها صاحبها معالم مدرسة جديدة في الدراسات اللغوية الوصفية، وكان من بين هؤلاء وأولئك كبار علماء العصر: جاكسون وترويتسكوي وبلومفيلد ومي وجسيرسن وبينقنيست، ومن العلماء من نظر الى آراء سوسر نظرة اعتدال، فرفضوا اعطاء حكم، بحجة عدم امكان الاعتماد على الكتاب المذكور Course لمعرفة آراء سوسر ومذهبه اللغوي، اذ أن هذا الكتاب تم اصلاً بجمع امالي سوسر على تلاميذه من ١٩٠٦ - ١٩٠٨ م، وليس هناك من سبيل لتوثيق نصوص هذه المحاضرات التي لم يُعثر على مسوداتها بعد رحيل صاحبها. ولنا بصدد مناقشة هذا الرأي الذي فنده العلماء الفرنسيون بالتفصيل وردوا عليه.

ادوارد سابير (١٨٨٤ - ١٩٣٩ م) Edward Sapir

ولد في لاونبورغ، ثم سافر الى الولايات المتحدة وهو طفل صغير، فدرس في نيويورك، ثم التحق بجامعة كولومبيا حيث درس اللغة الجرمانية، ثم اهتم اهتماماً كبيراً باللغات الهندو - اوروبية، فتعلمها وبحث فيها، بتوجيه من العالم الامريكي بواس F. Boas، العالم المعروف في ميدان السلالات البشرية، فاصبحت هذه اللغات هي ميدان تخصص سابير فيما بعد، ثم انتقل من كولومبيا الى جامعة كاليفورنيا، ثم الى جامعة بنسلفانيا حيث زاد اهتمامه باللغات الهندية، وحيث زاد عدد القبائل الذين علم لغاتهم، ومنها اليانا Yana، والبايوت Baute، والنوتكا Nootka، والاثاباسكان Athabaskan وغيرها.

وبعد ان كانت مواهبه قد صقلت واتسعت ثقافته اللغوية والادبية والتاريخية كتب كتابه الذي اشتهر به وعرف اكمالو لم يكتب غيره، Language, New York, 1921، وبعد هذا الكتاب بحق احد الكتب

الرئيسة والدعامات الاساس التي قام عليها علم اللغة المعاصر، وبه يُمد سابر احد مؤسسي علم اللغة المعاصر في الغرب بعامة، وفي الولايات المتحدة الامريكية بخاصة.

يتحدث سابر في هذا الكتاب عن عدد من البنود اللغوية الهامة، فيتحدث عن الفونيم او ما يسميه الأطر الصوتية او التهاذج الصوتية Sound-Patterns، ويرى ان في كل لغة نظاماً داخلياً محدوداً يوازي النظام الصوتي فيها، يصل اليه الباحث او المحلل اللغوي بتحليل متعدد الخطوات، معتمداً على الفروق الصوتية ذات الصفات المميزة، وذات القيمة السيكلولوجية الدلالية اللغوية Points in the Pattern، مما جعل العلماء فيما بعد يعدونه من اصحاب المذهب السيكلولوجي، الذي يعتمد في فهم الفونيم على الشعور اللغوي لدى المتكلم وعلى وعيه لا يقول، خلافاً لما كان سائداً عند الباحثين قبله، من ان الاصوات ترتبط من حيث تطورها وصفاتها باطار مادي آلي.

وسنحاول هنا ان نأخذ عدداً من النقاط الهامة في نظريته، نستخلصها من كتابه Language، وتحدث عنها بالمجاز. يتحدث سابر عن نقطة قد تعد من النقاط الجديدة التي ادخلها في البحث اللغوي ولم تكن موضع اهتمام من قبل، وهي تمييزه بين الشكل اللغوي والمضمون، فيحصر الشكل في النظم النحوية من القواعد والقوانين التي تضبط تتابع المباني الصرفية (الكلمات) في الجملة، ورصد ما يجري على هذه المباني من تغيير في حروفها واشتقاقها وانتقالها من قسم صرفي الى قسم صرفي آخر بالنبر وغيره. ويرى ان لدى المتكلم قبل ان يتكلم فكرة (شيئاً بقوله)، فيعتمد الى توظيف الشكل (الكلام المنطوق) لنقل هذه الفكرة، وهنا تأتي مهمة اللغوي - فيا يرى سابر - بان يتجه لدراسة الشكل اللغوي المنطوق (الكلام) القائم على نظام القواعد في اللغة (النظام النموذجي الحقيقي في اللغة)، النظام الذي يتكون نتيجة

استعمال الامة في تاريخها الطويل، وفي مسيرتها الثقافية والحضارية، فأصبح ميراثاً جماعياً يتوارثه جيل عن جيل، وهو الذي يكون اللغة. فهي وسيلة مبتدعة مكونة من نظام من الرموز لنقل الافكار والمشاعر والرغبات والانفعالات لدى المتكلمين بها.

ان اهتمام ساير بالشكل اللفوي، بالإضافة الى ثقافته الواسعة ومعرفته العميقة باللغات الهندو - امريكية، كون لديه وجهة نظر في التصنيف التوبولوجي للغات، بصرف النظر عن فكرة اتحادها او تقاربها في اسر في مرحلة مبكرة من نشأتها الاولى، كما في اللغات السامية، مثلاً، عند الباحثين. لأن تصنيف اللغات في اسر - كما يرى ساير - يقوم على قائل مورفولوجي لا يكفي لأن يكون قاعدة للحكم بهذا الاتحاد أو بهذا التقارب.

ويتحدث ساير في كتابه Language، عن التطور السيكلوجي للغة، فيرى ان اللغة تتطور تطوراً داخلياً محدداً يتم بتطور الافراد الذين يتكلمون اللغة، فيتحركون نحو الانتقال والتطور حركة سيكلوجية غير واعية، وغير ارادية، قد تقودهم الى مرحلة تاريخية سابقة من مراحل لغتهم، وبحركة هؤلاء الافراد (الحركة السيكلوجية غير الواعية) يتم تطور اللغة بعامه. وهذه النقطة بخاصة قادت الى وضع فرضية - مع تلميذه بنيامين لي وورف - يريان فيها ان اللغة والفكر يرتبط احدهما بالآخر ارتباطاً لا سبيل الى فصله، فاللغة هي التنظيم المثالي الداخلي الذي يفرض على المتكلم تصوراً ورؤية لما يحيط به في العالم الخارجي. غير المتكلم ما حوله عبر لغته، وان الاختلاف في تصور الافراد لما يحيط بهم من العالم حولهم، مرده الى الاختلاف في اللغات التي يستعملها، والتي هي مختلفة فيما بينها بما تحمله كل لغة في طياتها من إرث اجتماعي ثقافي تراكم فيها وفي مفاهيم أبنائها من جيل الى جيل، فينطلق أبناء كل لغة في تفكيرهم فيما يعرض لهم من قضايا، من

لغتهم، واللغات مختلفة متباينة، فلا بد إذاً من وجود اختلافات فيما بين
مستعملي اللغات.

ظلت أفكار ساير سائدة في أمريكا على الرغم مما قد وجه اليها من
انتقادات، وبخاصة فيما يتعلق بالجانب الذهني والحدس. ظلت سائدة
بفضل قوة تأثير صاحبها على تلاميذه الذين حملوا هذه الأفكار
وطوروها، ومن أشهرهم Kenneth L. Pike و Benjamin Lee Whorf،
ولكن ما إن توفي ساير سنة ١٩٣٩ م حتى ظهرت أفكار معاصره
L. Bloomfield بقوة، فاستطاع هذا أن يستقطب عدداً من الباحثين
والدارسين، وإن ينشر أفكاره حتى أصبحت الأطار الرئيس للدرس
اللغوي، وأصبح هو زعيم المدرسة اللغوية في أمريكا.

ليونارد بلومفيلد (١٨٨٧ - ١٩٤٩ م) L. Bloomfield.

ولد في شيكاغو عام ١٨٨٧ م ودرس فيها المرحلة الجامعية الاولى،
ثم انتقل الى هارفرد، حيث حصل على درجة الماجستير عام ١٩٠٦ م،
وبعدها انتقل الى جامعة شيكاغو، حيث تخرج فيها بدرجة الدكتوراه
عام ١٩٠٩ م، ثم عين في جامعة سينساتي ثم في جامعة الينوي، ثم عمل
في عدد من المؤسسات التعليمية في أوروبا وأمريكا الى أن استقر به
الحال استاذاً للغة الألمانية في جامعة شيكاغو ثم في بال في الدة بين
١٩٤٠ - ١٩٤٦ م حيث أصيب بمرضه الذي أبعده عن العمل
الأكاديمي الى نهاية حياته سنة ١٩٤٩ م.

اهتم بلومفيلد باللغة السنسكريتية بالإضافة الى اهتمامه باللغة
الألمانية، ومعرفته باللغات الهندية، مما كان له الأثر الكبير في بناء
نظريته، وبخاصة معرفته بالسنسكريتية التي كان يرى فيها قدم فيها من
بحوث ودراسات، على يد النحوي القديم بانيني Panini الاسس الرئيسة
والبنود الاولى لما يسمى بعلم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics.

النف بلومفيلد كتاباً نشره سنة ١٩١٤ م بعنوان:
Language, Introduction to the study of language, New York,
 1914. ويُعد هذا الكتاب من أهم الكتب في ميدان الدراسات اللغوية
 المعاصرة، وحلقة لا يستغنى عنها الباحث اللغوي، فهو يسر فيه في
 خط يختلف عن خط زميله وصديقه ساير الذي اعتمد على علم النفس
 اعتاداً كبيراً في بناء نظريته، فيبدي بلومفيلد في كتابه هذا نزعة
 ليست على وفاق مع علم النفس^(١) إذ أنه أراد أن تدرس اللغة دراسة
 علمية، يعتمد الباحث في دراسته الظواهر اللغوية على تحليل العناصر
 المحسوسة الموجودة في تراكيب النص الذي يراد تحليله تحليلاً علمياً،
 وليس اعتاداً على الحدس أو التخمين الذي هو من قضايا علم الأعصاب
 والفيزيولوجيا، ولا علاقة للباحث اللغوي فيه، فميدان اهتمام اللغوي هو
 ما يراه من الرموز الحسية المادية المنطوقة، لذا عليه أن يدع
 المصطلحات التي لا تزيد البحث اللغوي إلا تعقيداً وُبعداً عن التحليل
 السليم، كالصور والاحساس والفكر... وما هو غير ارادي وغير ظاهر،
 فهذه المصطلحات تتجه بالباحث اللغوي نحو تفسير الظواهر اللغوية
 عبر فرضيات سيكولوجية فلسفية غامضة في ذاتها، مضللة أن اعتمد
 عليها، بل ويرى أن عكس ذلك هو النهج السليم في التحليل العلمي،
 فعاجية عالم النفس إلى الرموز اللغوية المادية أكبر من حاجة اللغوي إلى
 ما يسببه علم النفس من تشويه وإفساد للنص اللغوي بما يفترضه من
 تصورات سيكولوجية يضمنها الباحث في ذهنه قبل محاكمة النص أو
 دراسته. وقد انعكس موقف بلومفيلد في هذه القضية على موقفه من
 الفونيم الذي عدّه ساير - كما ذكرنا سابقاً - مميّزاً يعتمد على

(١) وانظر: L. Bloomfield, *Aspects of Postulism for the Science of Language*,

Language, Vol. 2, 1926.

L. Bloomfield, *Secondary and Tertiary Responses to Language*, *Language*,

Vol. 20, 1944.

الافتراضات السيكلوجية، يرى بلومفيلد ان الفونيات تنظم في سلسلة الكلام ويتم التمييز بينها عن طريق المقابلة بين عناصرها المتماثلة وغير المتماثلة في المورفيمات التي تنظم فيها، مكونة بذلك العنصر الرئيس في تمييز المعاني الدلالية التي يرتبط فيها الصوت - فيما يرى - بدلالة لغوية معينة، ينتقل منها إلى معنى دلالي آخر في تركيب مورفولوجي جديد. وقد قاده هذا التفكير الى ما يسمى بالمكونات المباشرة او الاولى، والمكونات النهائية للتركيب المعنوي. فالمكونات المباشرة هي في حقيقة الامر الباقي الصرفية التي تتكون منها الجملة، فمثلاً:

أكرم رئيس الجامعة الطلاب.

مكونة من: أكرم + رئيس الجامعة + الطلاب.

وكل عنصر من هذه مكون من مورفيمات أقل منه، كما يلي:

أكرم +

رئيس الجامعة = رئيس + الجامعة = رئيس + ال + جامعة +

الطلاب = ال + طلاب.

ويبدو ان هذه الفكرة في نظرية بلومفيلد قد وجدت قبولاً كبيراً، فاعتمدها هاريس في نظريته التوزيمية، وتشومسكي في إحدى طرقه في تحليل النصوص، المسماة بإعادة الكتابة او تحليل الشجرة.

وهناك نقطة في نظرية بلومفيلد جديرة بالاهتمام، بل وتعد من أهم النقاط التي تقوم عليها نظريته السلوكية، وهي ان اللغة نتاج آلي واستجابة كلامية لحافز سلوكي ظاهر، وقد عبر عنها بقصته الشهيرة عن جاك وجيل، يسيران في حديقة، فتشمر جيل (الفتاة) بالجموع او الرغبة في تفاحة تراها على الشجرة، فتصدر اشارات صوتية يقفز على أثرها جاك (الفتى) متسلقاً الشجرة ويأتي لها بالتفاحة لتتناولها وتأكلها

حادثة اليال!!! ففي هذه القصة عدد من الجوانب التي تثير اهتمام الدارس، ولكن الباحث اللغوي لا يهتم بالعمليات النفسية (الخافز الداخلي) السابقة على عملية الكلام واصدار الاشارات الصوتية، ويهتم بالحدث الكلامي والتصرف السلوكي الذي ترتب عليه، لأن اللغة عنده سلسلة من الاستجابات الكلامية لخافز ليست ميدان بحث الباحث اللغوي، افا ميدانه الحقيقي هو دراسة التصرف الكلامي ليس غير، يصف ما فيه من فونيات ومورفيات توزع في اطار جلي، وبذا فانه يتجنب الخوض في المعنى الدلالي للنص اللغوي المدروس، لأنه يرى ان المعنى الدلالي هدف ليس من السير لتحقيقه بما هو موجود من سبل المعرفة آنذاك.

ظلت آراء بلومفيلد التي جاءت في كتابه Language، وما نشره في عدد من المقالات في مجلة Language، هي الآراء السائدة في المجتمع الامريكي وأوساطه العلمية في النصف الأول من هذا القرن، حالاً بذلك عمل سابير، وناقضاً افكاره ونظريته الذهنية، فاتبع عدد من تلاميذ سابير آراء بلومفيلد وافكاره، واخذ عدد من الباحثين الذين جاءوا بعده بآرائه او بقسم كبير منها، سواء اذكروا ذلك ام لم ينصوا عليه صراحة.

زيلغ سابيتي هاريس (١٩٠٩ -) Zellig Sabbetal Harris ولد هاريس سنة ١٩٠٩ م في روسيا، ثم قدم الى الولايات المتحدة وهو طفل صغير، في سن الخامسة من عمره، التحق بجامعة بنسلفانيا حيث حصل على الدرجة الجامعية الأولى عام ١٩٣٠ م، ثم حصل على درجة الماجستير في الأدب من الجامعة ذاتها سنة ١٩٣٢ م، ثم تقدم باطروحته للدكتوراه عن قواعد اللغة الفينيقية، وحصل على الدرجة سنة ١٩٣٤ م، ثم عين للتدريس في الجامعة ذاتها الى أن انتقل الى جامعة فيلادلفيا، ثم عاد للتدريس في بنسلفانيا حيث يقوم بهام

التدريس الى ايامنا هذه. وحيث التقى بتلميذه اللغوي ذائع الصيت، صاحب النظرية التوليدية التحويلية، تشومسكي.

كتب هاريس عدداً من الأعمال في علم اللغة، يأتي على رأسها كتابه الذي يعد المؤلف الرئيس في علم اللغة التوزيعي *Distributional Linguistics*، وهو *Methods in Structural Linguistics*، وبسببه ظهر هاريس صاحب مدرسة جديدة خارجاً على أفكار بلومفيلد الذي كان هاريس يُعدّ أحد أتباعه في السير على المنهج الوصفي، ويبدو أن هاريس كان يرى أن هذا المنهج الجديد (التوزيعي) الذي اخذ يدعو له، لم يكن يصلح لحل كثير من قضايا اللغة، ولكنه لم يصرح بذلك، لذا فقد عدل فكرته هذه، واتى بفكرة جديدة تأثر بها تلميذه تشومسكي، وربما كانت البذرة الأولى في النحو التحويلي، فنشر مقالة بعنوان *Transformer Grammar* سنة ١٩٥٢ م في: *International Journal of American Linguistics, Vol. 20*، ويتحدث فيها عن استعمال الرموز لتحليل الجمل، بأن يرمز الى ما في الجملة من مبانٍ صرفية برموز تيسر امر تحليلها، ثم يتحدث فيه عن الجملة التوليدية، وعن القواعد والقوانين اللازمة لتوليدها، فتداخلت بذلك آراء الاستاذ بآراء التلميذ، وزاد التلميذ آراءه تطوراً، فطغت على آراء استاذه، فنسبت النظرية التوليدية التحويلية للتلميذ، وعرف بها وعرفت به، بصرف النظر عن وضعها أولاً. ولعل من الموامل التي ادت الى عدم توصل هاريس الى النظرية التوليدية التحويلية مبكراً هو نشأت فكره بين اتباع منهج بلومفيلد الوصفي، ومحاولته هو ذاته للوصول الى المعنى باتباع المنهج التوزيعي الذي اوجده.

يرى هاريس أنه بالتمييز بين معاني المباني الصرفية يتم تحديد الفونيمات اللغوية، فمثلاً، في العربية، للتمييز بين القاف، والجيم، والتون، ينظر في المباني الصرفية التالية، والى ما تؤديه الفونيمات

السابقة، من تغيير في المعنى: جال، قال، نال، وهذه الطريقة يرى هاريس أن التمييز بين الفونيات أمر ايسر، وأكثر دقة وعلمية من التحدث عن الفونيم على أنه وحدة صوتية لها صفاتها الخاصة بطريقة مجردة بعيدة عن التطبيق اللغوي، والربط بالمباني الصرفية للغة. فالفونيم عنصر يأتلف مع فونيم آخر لتكون مبنى صرفي، ثم يأتلف هذا مع غيره من فئته لتكون المرتبة العليا في التآلف اللغوي، وهو التركيب الجملي، الذي هو مصب أخير للمستويات الفونولوجية والمورفولوجية، وهو غايتها. ومن ثم يتم ارتباط التراكيب الجمالية ببعضها في نص أدبي، فيكون سلسلة لغوية ليس من اليسير فهم حلقة فيها (الجملة) إلا بربطها بغيرها من جل النص، وبخاصة بربط الجملة بجملة أخرى لتكون النواة، فالتواة - عنده - علاقة بين جملتين ترتبطان ارتباطاً معنوياً تدور جل النص حوله، ويتم ارتباطها ببقية الجمل بطلاقات معينة، وهذا هو معنى التحويل، خلافاً لمعنى التحويل عند تلميذه زعيم المدرسة التحويلية المعاصرة، والذي سنعرض آراءه عند حديثنا عنه بعد قليل. قلنا أن هاريس يعتمد على توزيع الفونيات في المباني الصرفية، جال، قال، نال.... الخ، لإبراز القيمة الخلافية بينها، ولتعدّ المميز الذي يؤدي الدور الرئيس في بناء الكلمة. فعلى الرغم من اعتاده النظرية التوزيعية مبتدأ كاستاذ واستاذ الجبل السابق عليه، بلومفيلد من السيكلولوجية والاقتراب من دراسة اللغة دراسة علمية بعيدة عن الحدس والتخمين، على الرغم من ذلك، إلا أن هاريس أقرّ عند التطبيق بأن المعنى هو الذي يحاول المتكلم وكذلك السامع والمحلل اللغوي أن يصلوا إليه، فهو أمر وثيق الصلة بالتركيب اللغوي، ولا سبيل للتفاضي عنه والاكتفاء بوصف توزيع الفونيات أو المورفيمات في الجملة^(١). وعلى الرغم من أن هاريس يعد الصلة من البنية الشكلا

(١) لمزيد من التفصيل حول هذه النقطة انظر:

Harris, Methods in Structural Linguistics, pp. 187, 188-194.

للجملة، ومعناها، صلة وثيقة يترتب فيها التالي على الاول، وان المعنى ليس بالمتصر الرئيس في تقسم الجمل وتوزيع مفرداتها، متأثراً بآراء بلومفيلد التي ترى ان المعنى هدف بعيد المنال، وان الانصراف للجري وراءه يقود الباحث الى متاهات لا تزيد البحث الا تعقيداً، على الرغم من ذلك، الا انه وجد نفسه عند التطبيق يتحدث عن العلاقة الوثيقة بين المعنى في ذهن المتكلم، والمورفيات التي يستعملها، والتركيب الجملي الذي تنتظم فيه هذه المورفيات^(١)، انتظاماً توزيعياً.

مع أن كثيراً من جوانب مدرسة هاريس قاصرة في اعطاء الحلول للجمل وكيفية تحليلها، او حتى في اعطاء المعنى الجلي الواضح لفكرة التوزيع ودورها في التركيب والمعنى، إلا أنها سمحت لتشومسكي بالتفكير على هديها في وضع محاولته التوليدية التحويلية. ولا شك ان للصلة الوثيقة بين تشومسكي وهاريس، الصلة التي أتاح لها مناقشة آراء مدرسة استاذة بعمق، الاثر الكبير في تطوير افكار تشومسكي ووصولها الى ما وصلت اليه، فقد اخذ تشومسكي من استاذة فكرة الجملة النواة والتوليدية^(٢)، وقواعد التحويل وقوانينه، وقدرة التكلم على ادراك الخطأ من الصواب فيا بسميه Competence، وفوق ذلك كله اخذ عنه منهج التحليل بالرموز، فحدد تشومسكي هذه المصطلحات و اضاف اليها وطورها حتى كوّن مدرسته التي لها اسمها وقواعدها وقوانينها.

(١) السابق.

(٢) انظر:

Harris, Co-occurrence and the transformation in Linguistic Structure, Language, Vol. 33, 1957.

Harris, the Transformational Model of the Language Structure, Anthropological Linguistics, 1959.

Harris, Mathematical Structure of Language, New York, 1962.

Harris, String analysis of Sentence Structure, Houston, 1965.

نوم تشومسكي (١٩٢٨ -) Noam Chomsky

ولد تشومسكي في فيلادلفيا سنة ١٩٢٨ م، ودرس المرحلة الجامعية الاولى في بنسلفانيا، ثم حصل على درجة الماجستير من الجامعة ذاتها سنة ١٩٥١ م ببحث قدمه عن اللغة العبرية الحديثة، ثم حصل على درجة دكتوراه سنة ١٩٥٥ م من الجامعة ذاتها ببحث يحمل العنوان: *The Logical Structure of Linguistic Theory* «البنية المنطقية للنظرية اللغوية». ولم تنحصر معلومات تشومسكي على ما حصل عليه في قاعة الدرس عن علم اللغة، فقد درس الرياضيات والفلسفة والمنطق الصوري وعلم اللغة التاريخي، وقد كان لهذه العلوم اثرها الواضح على تفكيره في بناء نظريته. وقد كانت دراسته العبرية وتاريخ اللغات على ابيه الذي كان استاذاً للعبرية.

شغل تشومسكي نفسه في مختلف مراحل تعليمه الجامعي بالسياسة، وكان له موقف مناهض للسياسة الخارجية لدولته وتدخلها في شؤون الدول الصغيرة التي تكافح من اجل استقلالها، وكان لهذا النشاط السياسي اثره الواضح في حياته العلمية، اذ قربه هذا من نخبة من المفكرين والعلماء الذين اخذ يناقش معهم افكاره العلمية بالاضافة الى مبادئه السياسية، وان يطلع على افكارهم وآرائهم، فصقل بذلك فكره واشتد عوده، وكان من بين العلماء الذين تأثر بهم في حياته العلمية، استاذة هاريس، الذي قربه منه واطلمه على افكاره، وازال ما بينها من علاقة رسمية تربط الطالب عادة باستاذة، ففدا تلميذه وزميله وصديقه الذي يطلع على ما نشر استاذة وما لم ينشره من اعمال، مكتوبة وغير مكتوبة.

التحق تشومسكي بجمعية الرفاق Society of Fellows سنة التحاقه بالجامعة سنة ١٩٥٠ م، وفي سنة ١٩٥٤ م انتقل الى معهد ماستشوست للتكنولوجيا M.I.T. حيث ما يزال على رأس عمله.

نشر تشومسكي كتاباً سنة ١٩٥٧ م بعنوان *Syntactic Structure* «التركيب النحوية»، وهو الكتاب الذي يُعدُّ النواة الأولى للنظرية التي تشغل المعاهد العلمية، والباحثين اللغويين في الغرب والشرق «التوليدية التحويلية» *Generative Transformational Grammar*، يؤكد المؤلف في هذا الكتاب استقلال علم اللغة (الألسنية الحديثة)، استقلالاً تاماً في ميدان الدراسة عن كل ما يمكن أن يعيق في الوصول إلى هدف كل من المتكلم والسامع والباحث اللغوي، فهو علم مستقل عن غيره من العلوم على الرغم مما يبدو من الصلات الوثيقة بينه وبين المنطق والفلسفة والرياضيات، وما هذه الصلة إلا ليفيد منها عالم اللغة في تحليل الأمثلة اللغوية وتحليلها وتوضيحها، وللوصول إلى ما في اللغة من أمور بديهية يحتاج إليها الدارس.

جاءت أفكار تشومسكي في هذا الكتاب ثورة عنيفة ناتجة على أفكار بلومفيلد التي كانت تسود في أوساط العلماء والباحثين والدارسين آنذاك، والتي كانت ترمي دعائم المذهب السلوكي والمنهج الوصفي البنائي، الذي يعتمد في تحليل النصوص على الموقع (موقع الكلمة في الجملة)، وعلى التوزيع الفونولوجي والمورفولوجي، أي على المستويات اللغوية الأربعة: الصوت والصرف والتركيب والدلالة. وتعتمد كذلك على سلوك السامع وتصرفه. بالإضافة إلى النص ذاته، دون اهتمام بالتكلم أو بدوره في إنتاج الكلام، على غير ما يراه أصحاب المدرسة الذهنية وزعيمها E. Sapir، فيرى تشومسكي أن النظرية اللغوية يجب أن توجه إلى تحليل مقدرة التكلم على إنتاج الجمل التي لم يسمعها من قبل، وعلى فهمها وإدراك الصواب من غير الصواب قياساً على قوانين النحو في اللغة التي يتكلمها، ويجب أن توجه كذلك إلى وضع القواعد التي تحدد كيفية إنتاج اللغة، التي هي ميدان بحث اللغوي. فيرى تشومسكي في كتابه «التركيب النحوية» أن على الباحث اللغوي أن ينصرف إلى

وضع القواعد الرئيسية في التراكيب الجمالية الاصول، وفي معزل عن المستوى الصوتي وعن المستوى الصرفي، لانها يعتمدان على عدد محدود من الرموز (الفونيات والمقاطع والمورفيات) لتوليد عدد غير محدود من الجمل. ويرى، كذلك، ان على الباحث ان يعمل على الوصول الى ما يسميه «حدس التكلم»، للوصول الى معنى التركيب اللغوي، وليس كما يرى الوصفيون البنائيون في اعتمادهم على الوصف الموضوعي الشكلي للتركيب الجملي. وقد قادت هذه النقطة بخاصة تشومسكي الى نقطة رئيسية جديدة في نظريته، وهي التفريق بين ما يسميه «Competence» الكفاية، وما يسميه «Performance» الأداء، ثم زاد على هذه المصطلحات مصطلحين آخرين ربطهما بالكفاية وبالأداء، وهما Deep Structure البنية التحتية او العميقة، وSurface Structure البنية السطحية، وبين ان لهذه وتلك مجموعة من القواعد والقوانين تتحكم في مبناها ومعناها، وهذه القواعد هي قواعد التوليد والتحويل Generative and Transformational Rules، ومنعرض فيما يلي اهم الاسس التي قامت عليها نظرية تشومسكي، اعتقاداً على ما جاء في كتبه ومقالاته وبخاصة:

- 1) Syntactic Structure 2) Aspects of the theory of Syntax
- 3) Language and Mind 4) Current Issues in Linguistic Theory
- 5) Topics in the Theory of Generative Grammar.

أسس النظرية التوليدية التحويلية.

منذ سنة ١٩٥٧م، اي منذ نشر تشومسكي كتابه Syntactic Structure، أصبح زعيماً للمدرسة اللغوية في الولايات المتحدة الامريكية، فقد تجرأ على نقد مدرسة بلومفيلد بخاصة، نقداً قوياً انصب على اهم الاسس التي تقوم عليها، لينشئ على انقاضها مدرسته

التي تحمل افكاراً تناقض افكار بلومفيلد في كثير من الجوانب، وان كانت تأخذ عنها او تلتقي معها في بعض النقاط، وكان جل نقد تشومسكي ينصب على الجوانب السلوكية في نظرية بلومفيلد وفي آراء السلوكي المشهور سكينر الذي كان له أثره في النظرية اللغوية.

يبدو ان النقطة الرئيسة في نظرية تشومسكي، والتي قادت تفكيره الى ما تبعها من افكار، هي فكرة الفطرية اللغوية في ذهن الانسان، متخذاً ايها من المقابلة بين الانسان وغيره من الحيوانات، فالانسان غير السوي - فضلاً عن الذكي القادر - يستطيع انتاج الجمل والتعبير عما في نفسه، في حين ان اذكى الحيوانات واكثرها تدريباً وتقبلاً لما يطمحها الانسان، لا تستطيع ذلك. وما جعل تشومسكي يزداد تمسكاً بهذه الفكرة وتوكيداً لها في نظريته، ما يراه في تدرج الطفل الصغير في الكلام، وفي انتقاله الى تعلم اللغة، فالطفل يبدأ في سن معينة (سنة او اثنتين) انتاج الجمل، وما ان يصل الى سن معينة (السابعة مثلاً) حتى يكون قادراً على التعبير عما في نفسه بعدد كبير من الجمل التي لم يكن قد سمعها من قبل، وقادراً ايضاً - الى حد معين - على ادراك السليم من الجمل التي يسمعها من غير السليم، ويأتي الى المدرسة في هذه السن ليتعلم كيف يكتب ويقرأ، وليس كيف يولد جلاً. وما هو جدير بالذكر هنا ان تشومسكي قد تأثر في هذه النقطة، بخاصة بما قاله الفيلسوفان: الفرنسي ديكارت (١٦٥٦ - ١٦٥٠ م) الذي كان يرى ان الانسان يختلف عن الحيوان في أن له عقلاً، وان اهم خصائص هذا العقل انتاج اللغة، وهذه نقطة معروفة عند أصحاب المذهب العقلي. والألماني هوبلث (١٧٦٧ - ١٨٣٥ م)، الذي يرى أن اللغة نتاج العقل، وهي الصوت المنطوق الذي يعبر به المتكلم عن فكرة، وهي (اللغة) نتاج عدد من العمليات الخلاقة العضوية غير الآلية، تم في الذهن، ويظهر أثرها على السطح الخارجي بالأصوات والكلمات والجمل،

وبها يتم التفاهم بين المتكلم والسامع.

قلنا إن فكرة الفطرية اللغوية في نظرية تشومسكي، قتل حجراً أساساً يعتمد عليه المبنى كله، فقد قادت هذه الفرضية إلى فرضية أخرى تتعلق بها، وهي أن هذه الفطرية الذهنية قائمة على عدد من الكليات النحوية «القواعد الكلية» التي تقوم بضبط الجمل المنتجة وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامة، تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلم مختار ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأطر الكلية العامة في ذهنه، والتي هي كلية شمولية عالمية Universals، متساوية عند بني البشر، تكون في الإنسان منذ ولادته ويسمى بها Linguistic Aquisition Device، وهي فطرية - تولد مع الإنسان ثم يقوم بملئها بالتمايز اللغوية من المجتمع الذي يعيش فيه، فتتضح وتتقوى بالتدريج، وكلما اكتسب الإنسان ما يلائم به هذه الكليات الفطرية، ازداد النمو الداخلي التنظيمي للقواعد الكلية في ذهنه، في جزئية منها، وهي تلك المسؤولة عن بناء الجمل وتركيبها في لغته، فتتكون لديه القدرة على توليد الجمل وبناءها مضبوطة بقواعد وقوانين تسمى القواعد التوليدية Generative Rules، فليس الأمر - فيما يرى تشومسكي - اكتساباً كما يراه السلوكيون يتم بالتقليد والمحاكاة والتخزين في الذهن الذي يولد صفحة بيضاء، فيسمع صاحبه (الطفل) أصواتاً يقلدها، ثم تشير هذه الكلمات إلى معانٍ ترتبط بها في ذهنه (دالٍ ومدلول)، ثم يكتسب قدرة على تركيبها في جمل، ويصبح لهذه الجمل والتركيب معانٍ هي في جملتها مأخوذة من معاني المفردات ودلالاتها، إذاً، فالقواعد والقوانين النحوية المسؤولة عن بناء الجمل وتركيبها فطرية ذهنية كلية «عالمية»، وهي التي تقوم بضبط الجمل بعد توليدها لتجعلها جملاً نحوية أو غير نحوية: Grammatical or Ungrammatical Sentences، يدركها المتكلم والسامع التالي في لغة معينة Native ideal Speaker-hearer، ويسوق مثاليه المشهورين:

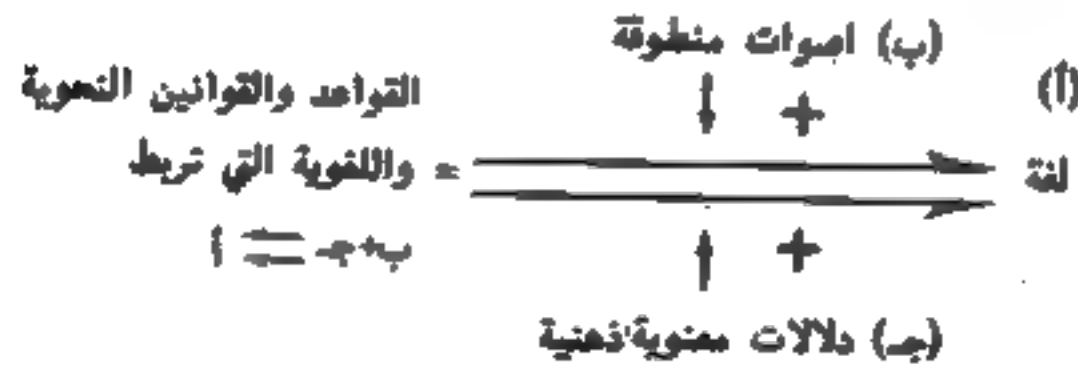
1) Colourless green ideas Sleep Furiously,

فهذه الجملة يدرك المتكلم - السامع الانجليزي بأنها بلا معنى، ولكنها تنتظم كلماتها طبقاً لقواعد اللغة الانجليزية. ويدرك أن الجملة:

2) Furiously sleep ideas green colourless

جملة بلا معنى ولا انتظام في مفرداتها طبقاً لقواعد النحو في اللغة الانجليزية، فليست جملة نحوية.

وقد ترتب على هاتين الفرضيتين (الفطرية والشمولية) فرضية اخرى تبرز في المصطلحين التاليين: الكفاية Competence، والاداء Performance، فالكفاية تكون في امتلاك المتكلم - السامع Ideal Speaker-hearer القدرة على انتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جداً من الفونيات الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمها من وجهة نظر نحوية تركيبية - كما ذكرنا قبل قليل - ثم القدرة على الربط بين الاصوات المنتجة وتجميعها في مورفيمات تنتظم في جمل، القدرة على ربطها بمعنى لغوي محدد، ذلك كله يتم بعمليات ذهنية داخلية، يتم التنسيق بينها بما يسمى «قواعد انتاج اللغة»، فمثلاً كما يلي:



وهذه القواعد والقوانين وتلك القدرة كامتتان في الذهن، واما استعمالها (اي استعمال اللغة) فيسمى الاداء Performance، فالاداء هو الكلام او هو الجمل المنتجة التي تبدو في فونيات ومورفيات تنتظم في تراكيب جمالية خاضعة للقواعد والقوانين اللغوية الكامنة، والمسؤولة عن تنظيم هذه الفونيات والمورفيات في تراكيبها. فهو (الاداء) الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة باللغة، ولكن هذا الوجه قد لا يحصل بينه وبين الكفاية تطابق تام، فيكون فيه انحراف (خطأ) ناتج عن عوامل مقامية سياقية، او ذهنية نفسية اجتماعية... الخ.

وقد ارتبط بهاتين الفرضيتين فرضيتان أخريان في نظرية تشومسكي، هما: البنية العميقة Deep Structure والبنية السطحية Surface Structure. اما البنية العميقة فهي الاساس الذهني المجرد لمعنى معين، يوجد في الذهن ويرتبط بتركيب جملي اصولي يكون هذا التركيب رمزاً لذاك المعنى وتجسيدا له، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي، وان لم تكن ظاهرة فيها، فلو أخذنا المثال التالي مثلاً للتطبيق:

يشرح المدرس الدرس بطبشورة يكتب بها على السبورة. فإن هذه الجملة المنطوقة تتكون في الأصل من ثلاث جمل أصولية (نواة) Kernel Sentences، تجسد كل واحدة منها معنى عقليا في ذهن المتكلم، وهذه الجمل هي:

- (١) يشرح المدرس الدرس
- (٢) يكتب المدرس بالطبشورة
- (٣) يكتب المدرس على السبورة.

فتمثل الجمل الثلاث في مجموعها علاقة بين نقاط رئيسة (المدرس، الدرس، السبورة، الطبشورة) وهذه هي البنية العميقة، التي يأتي دور

تجسيدها بكلمات متتابعة منطوقة Surface Structure بنية سطحية، وتأتي هذه البنية السطحية متألفة من الجمل النواة الثلاث لتكون جملة تحويلية معبرة عن العلاقة بين الكلمات السابقة، كما يلي: يشرح المدرس الدرس بطبشورة يكتب بها على السبورة.

بصرف النظر عن الكيفية التي تأتي عليها البنية السطحية هذه، فقد تكون كما ذكرنا قبل قليل، وقد ينطق بها المتكلم مقدماً جزءاً من الجمل النواة على الآخر، فقد يقدم الجزء الثاني على الثالث، أو الثالث على الأول، أو.... الخ، وهذا كله لا يقدم ولا يؤخر في المعنى الذي في ذهن المتكلم أو في الكشف عنه، فالبنية السطحية - كما بينا - هي الكلام المنطوق المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقواعد التحويلية في اللغة، فيها يتم انتظام الكلمات في جمل يعبر بها المتكلم عن علاقة ذهنية مجردة (معنى) بكلمات محسوسة منطوقة، ويسوق تشومسكي المثل التالي ليوضح هذه النقطة:

الله الذي لا يُرى خلق العالم المرئي.

فهذه جملة تحويلية، وهي البنية السطحية لمعانٍ ذهنية مجردة يمكن تشيلها بالجمل النواة التالية:

الله لا يُرى

العالم مرئي.

خلق الله العالم.

فيم ربطها ببعضها، أو يتم تحويلها، لتظهر في الجملة التحويلية الكبرى:

الله الذي لا يُرى خلق العالم المرئي.

ويعم هذا التحويل بواسطة عدد من العناصر التي تستخدم لربط الجمل النواة ببعضها، وسنذكر أهمها بعد قليل، فترمز الجملة الكبرى

الى المعنى الذهني المجرد للكلم في ذهن المتكلم ، وهو ذو دور رئيس في الوصول الى المعنى الدلالي للتركيب الجملي .

وهنا تبرز نقطة جديدة في نظرية تشومسكي ، وهي فرضية بعيدة المثال - فيما نرى - مع انه يعول عليها ، ويوليها اهمية كبيرة ، وهي الحدس Intuition ، ويقصد بالحدس حدس الباحث للوصول الى نية المتكلم القادر على انتاج الجمل من جهة ، وعلى الحكم بصحة او خطأ ما يسمع ، وحدس الباحث ايضا في الوصول الى معرفة المتكلم بلغته معرفة ضمنية بالملاحظة وغيرها من وسائل البحث ، ليتوصل الى استنباط قواعد اللغة وقوانينها .

وقد اوجد تشومسكي عدداً من الطرق لتحليل الجمل ، مستخدماً الرموز الرياضية لتوضيح البديهيات التي يحتاجها السامع ، ويعتمد في وضع هذه الطرق ، التي ستعصرها في ثلاث ، على الاطار الرئيس الكلي في نظريته ، وهو ان هناك جهازاً يضم عدداً من الرموز والكلمات التي ترتبط بمجموع دلالي ، وتتضام في جمل خاضعة لقواعد وقوانين كلية « عالمية » Universals ، وتحرك هذه الرموز والكلمات في تلك الأطر « القواعدية » بعمليات ذهنية داخلية لتنتج عدداً لا حصر له من الجمل التي تمر عن ترابط المعاني في الذهن Deep Structure ، ثم تتعد لتصدر منطوقة مكونة بذلك جملة تحويلية تخرج طبقاً لقواعد التحويل Transformational Rules ، واما الطرق الثلاث فهي :

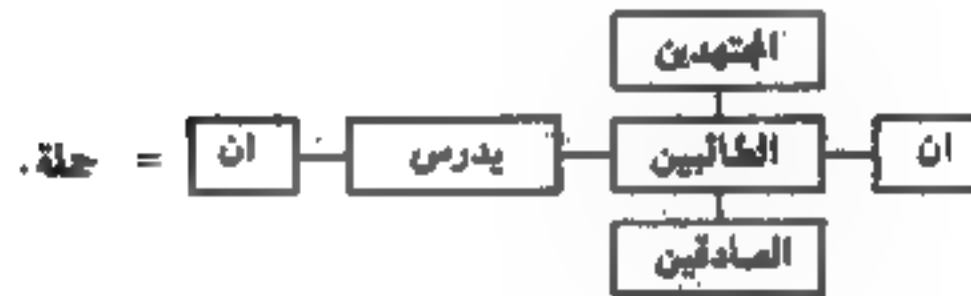
(١) Finite Grammar ، وتقوم هذه الطريقة على اسس مماثلة تقريباً للاسس التي مار عليها اصحاب المدرسة التوزيعية في وصف الجملة ، فتقوم على ان المورفيم يقتضي المورفيم الذي يليه في الجملة الواحدة ، يقتضيه فيحدده ويأخذه ، بعد ان ينطق المتكلم بالمورفيم الاول ، ففي الجملة العربية التالية ، مثلاً :

ان الطالبين يدرسان

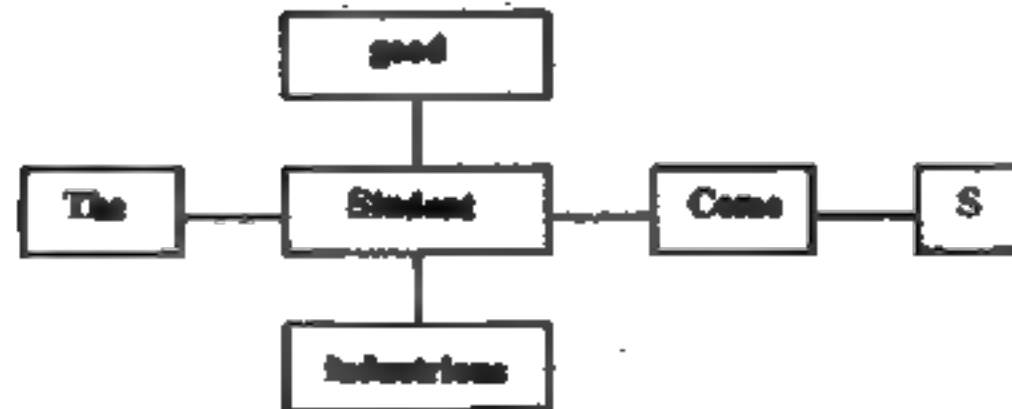
فان المورفيم الاول (ان) يقتضي مورفياً آخر يليه، فيأخذ (الطالبين) وليس (يُدرسان)، وهذا (الطالبين) يكون في حالة اعرابية معينة طبقاً لقواعد الكفاية اللغوية، ويقتضي مورفياً آخر ليتم التعبير عن الصورة الذهنية في ذهن المتكلم، ويجب ان يكون هذا في حالة معينة من حالات الاعراب تحقيقاً لقواعد الكفاية، فهذا تم الجملة وتخرج على ما هي عليه. واذا اقتضى المعنى زيادة في عدد الكلمات في الجملة، فان كل كلمة تضاف تأخذ موقعها على الخط الذي يربط الكلمة بالكلمة في الجملة ذاتها، فنقول مثلاً:

ان الطالبين المجتهدين الصادقين..... يدرسان

ونمثلها بالرسم التالي:



ونقول بالانجليزية:



وتقول:

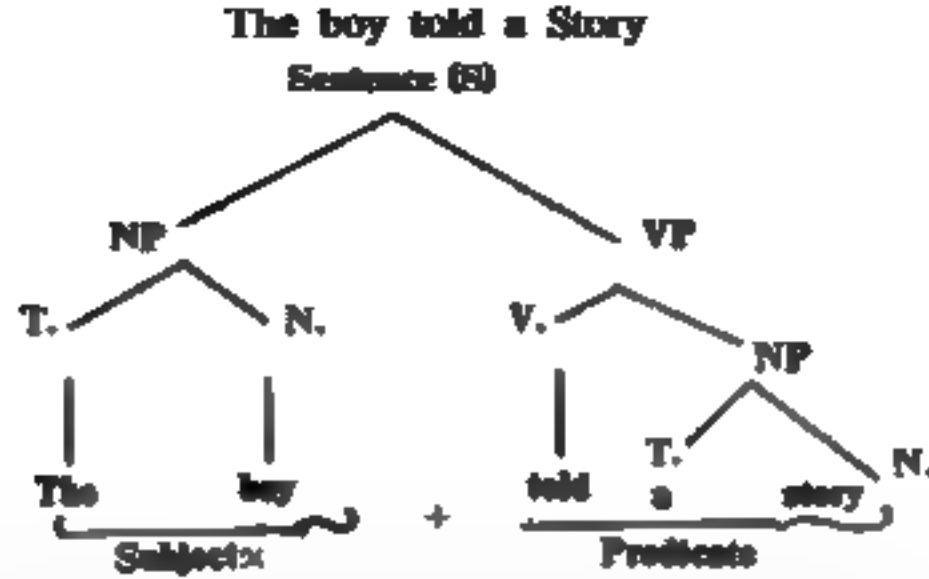


ولكن تشومسكي اعرض عن هذه الطريقة، لأنها تقوم على افتراض ان الجمل تتكون بتوليد كلمة بعد كلمة ليتحقق الاقتضاء، ولأنها لا تقدم تحليلاً الا لعدد يسير محدود من الجمل، في حين ان اللغة تقدم عدداً غير محدود من الجمل. اضع الى ذلك ان هذه الطريقة تقدم جلاً ليست سليمة نحواً (None-Sentences)، لذا فانه يرى انها لا تصلح للتحليل اللغوي، فانصرف الى الطريقة الثانية.

(٢) Phrase Structure (P.S.)، يرى تشومسكي ان في كل جملة عدداً من العناصر المكونة الرئيسة (I.C.) Immediate Constituent، وعلى الباحث اللغوي ان يحلل الجملة الى عناصرها الرئيسة هذه، وهذه العناصر (المكونات الرئيسة) وان كانت في الجملة على شكل كلمات، الا انها في حقيقة امرها تمثل جوانب صرفية، فالجملة، مثلاً:

The boy told me a story

فيها كلمات (مورفيات) يمثل كل مورفيم مبنى صرفياً يضمه ويضم غيره، فالمورفيم The هو اداة تعريف (T.) Article، وboy اسم (N) Noun، وTold فعل + ماضى Verb (V.)، وme ضمير (Pron.) Pronoun، وa أداة، وStory اسم. تتحد الاجزاء الرئيسة (المكونات الرئيسة) (I.C.) لتكون Phrase Structures (P.S.)، فتتحد الاداة The مع الاسم Boy، لتكون Noun Phrase (NP)، وتتحد العنصران اللذان يليان ليكونا Verb Phrase (VP)، فتصبح الجملة كمايلي:



ويُعدُّ الركن الاسمي الاول فيها هو المبتدأ Subject، وما تلاه من الجملة فهو الخبر Predicate، ويكون الركن الاسمي الثاني a Story مفعولاً به للفعل told (Object of the verb). وهذه الطريقة - كما هو واضح - والمساة بطريقة الشجرة، أو بطريقة اعادة الكتابة، تماثل الطريقة «النحوية الصرفية» في الاعراب في النحو العربي، نقول مثلاً:

الطالب نقل الخبر

الطالب = ال + طالب = مبتدأ مرفوع..

نقل = نقل + هو = فعل ماض... والفاعل مستتر تقديره هو

الخبر = ال + خبر = مفعول به للفعل نقل.

نقل + (هو) + ال + خبر = خبر المبتدأ، الطالب.

وعلى الرغم من ان طريقة تشومسكي (P.S.) تبدو اكثر اقناعاً من الطريقة الاولى، واكثر قدرة على اعطاء تحليل معقول للجمل، وبخاصة الجمل المتنبة، الا انها لا تقدم تحليلاً دقيقاً لعدد كبير من الجمل التي يكون اللبس فيها نتيجة للتداخل بين جملتين، كذلك التي يرددها الطلاب في قاعة الدرس، جلاً تحمل معنيين:

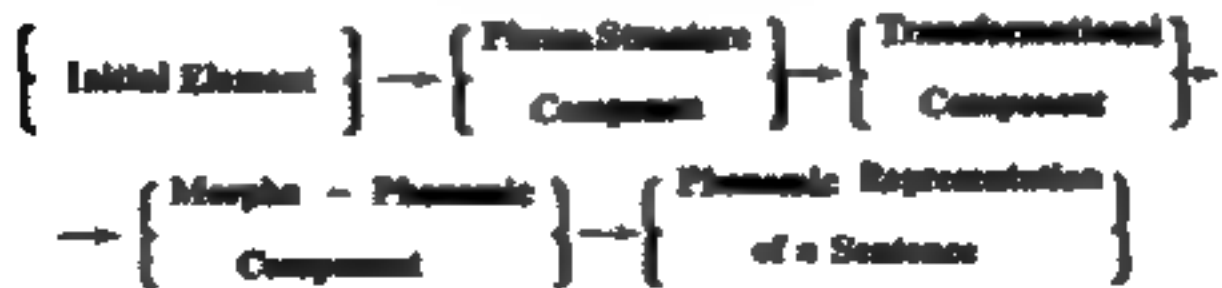
طلب المعلم من الطالب ان يخرج.

أ يخرج الطالب أم المعلم، وهل الطالب هو المعلم أم الطالب، ومثل:
قابلت عشرين طالباً وطالبة.

فهل قابل المتحدث عدداً مجموعته عشرون، أم هو واحد وعشرون.
فإن هذه الطريقة لا تقدم حلاً لمثل هذه الجمل وغيرها من الجمل
الملتبسة؛ لذا فقد انتقل تشومسكي من هذه الطريقة إلى الطريقة الثالثة
في التحليل اللغوي، وهي الطريقة التي استقر عليها، وبها سميت
نظريته، التوليدية التحويلية.

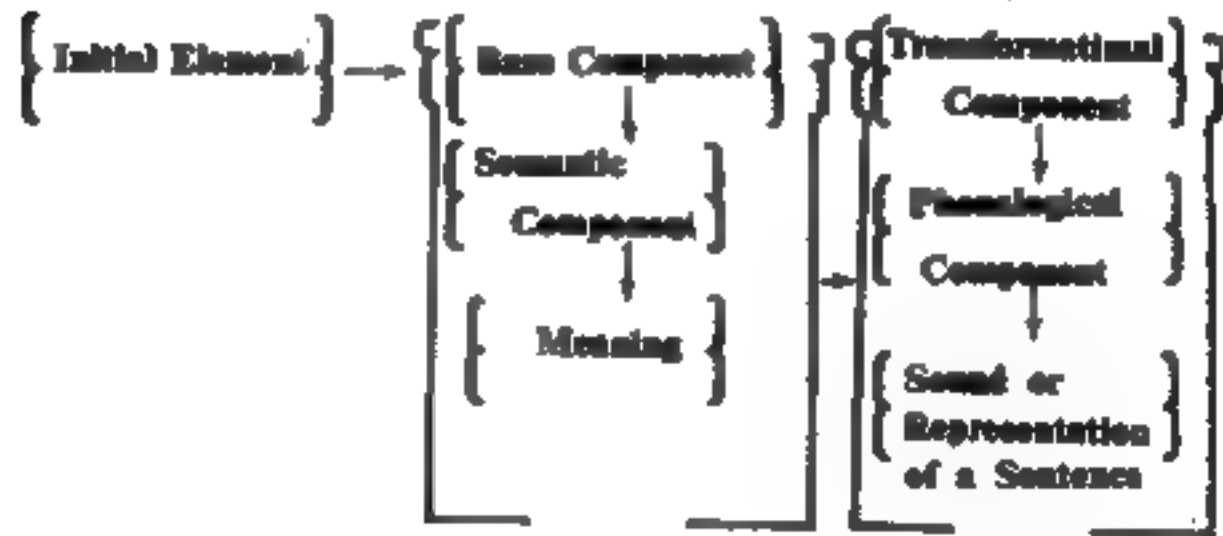
Transformational Generative Grammar - ٣

إن من أبرز خصائص هذه الطريقة، أنها تحاول أن تعالج التداخل
بين الجمل وكيفية ارتباط هذه الجمل ببعضها في إطار جملي تحويلي
واحد؛ لذا فإن على الباحث في ضوء هذه الطريقة أن يحدد المميزات
المختلفة في الجمل ليوحد الصلة القائمة بينها، الصلة التي يقوم توضيحها
على الرموز والخطوات الرياضية الطويلة المتعددة للوصول إلى إثبات
وجودها، ولذا فقد زاد تشومسكي في هذه النظرية الموسعة عدد الرموز
التي جاءت في الطريقة الثانية، فاهتم بالعدد والزمن، وبالاسماء،
وبالافعال التامة والناقصة.... وغير ذلك مما يحتاج المحلل لذكره. وقد
أوضح تشومسكي في كتابه Aspects العناصر التي تقوم عليها الجملة،
بعد أن كان قد وضعها موجزة في كتابه Syntactic، نرسمها كما يلي:



ومما هو واضح، ان العنصر الاول يقابل الفكرة الرئيسة في ذهن المتكلم، تتحد مع العنصر الثاني لتخرج من الذهن، وهو يقابل المكونات الرئيسة او الاولى في التركيب، ولترتباطها بالمعجم والدلالة، ثم يأتي دور عنصر التحويل (المكون التحويلي) ليقرب من مرحلة التطور الاخير للجملة المنطوقة ممثلة بأصوات ومبانٍ صرفية فتبدو جملة حسية منطوقة، مارة بذلك بعمليات تكوين الباني الصوتية والصرفية.

وقد وجد تشومسكي ان هذه الخطوات لا تعالج الجانب الدلالي الذي هو الهدف من بناء الجمل، فاجرى على هذه الطريقة تطويراً آخر، أراد منه ان يضم المعنى الدلالي الى خطوات التحليل، فاصبحت مكونة من عدد من المربعات، يضم كل مربع منها نقطة في المنهج، نثلها كما يلي:



فالفكرة الذهنية الداخلية، وهي العنصر الرئيس في ذهن المتكلم، ترتبط بالعناصر والمكونات الرئيسة التي من بينها المعنى (الدلالي والمعجمي)، وترابط هذه بواسطة عنصر من عناصر المكون التحويلي لتخرج جملة منطوقة بأصوات ورموز لغوية وفي وضعها الاخير.

أما عناصر التحويل الرئيسة، فعناصر تدخل الجملة للربط بين أجزائها ولتحويل الجملة النواة الى تحويلية. وتبقى الجملة في معناها كما هي، تستوي قبل دخول عناصر التحويل عليها وبعد ان دخلتها، لأنها، في الحالتين، تعبر عن بنية عميقة واحدة قائمة على الترابط بين المعاني الذهنية في الجمل النواة. واهم عناصر التحويل هي:

(١) الترتيب، نقول مثلاً:

$$\begin{array}{ccc} \text{عاد خالد} & \text{من الجامعة} & \text{قبل ساعتين} \\ \hline A & B & C \end{array}$$

ويمكن، بالترتيب، ان تكون:

$$A + B + C$$

$$B + A + C$$

$$C + A + B$$

$$C + B + A$$

ويبقى المعنى - عند - في هذه الجملة، بترتيبها الجديد، هو ذاته، لم يتغير، لأنه (تشومسكي) ينطلق من فرضية المعنى العميق الذي هو في الجمل السابقة كلها، وان كان التعبير عنه بطرق متعددة.

(٢) الزيادة، نقول، مثلاً:

قلت خيراً

$$B + A$$

فتصبح مثلاً: قلت ان من يتق الله يفر بالجنة.

$$A + B \rightarrow A + B + C + \dots$$

(٣) المحذف: نقول:

$$\begin{array}{ccc} \text{كسر انسان الزجاج} & \leftarrow & \text{كسر الزجاج} \\ C + B + A & \leftarrow & C + \emptyset + A \end{array}$$

ولما كانت البنية العميقة في الجملتين واحدة، فإنه لا فرق بينها
قبل دخول عنصر التحويل وبعده.

(٤) التبعية: نقول، مثلاً:

الطالبان مجتهد.

$B + A$

فتصبح الطالبان + مجتهد + ان، لتتبع الثانية الأولى في عددها،
فتنسجم معها، وهكذا في:

قابلت الطالبين المجتهدين الصادقين....

(٥) الاحلال، مثلاً:

رفع الله السماء

ويمكن ان يتغير موقع كلمة (السماء) بأن تتقدم على الفعل (رفع)
والفاعل (الله)، ويتقدم الفاعل على فعله، فيحل محل (السماء) ضمير
ملفوظ يعود عليها. فنقول:

السماء الله رفعها \leftarrow السماء رفعها الله

فاللغنى في الجمل الثلاث هو هو لم يتغير، والذي حصل في الجملة
هو تحويل في مبانيها بأن تقدم عنصر من عناصرها المكونة، وحل محله
ضمير يعود عليه.

هذه هي اهم النقاط التي تمثل عناصر التحويل الرئيسة في نظرية
تشومسكي، وضعناها بايجاز غير محل، ونستعمل - فيما بعد - قسماً
منها، ولكننا نعطيها معنى غير الذي ذهب اليه تشومسكي، ونرى ان
دوراً في المعنى كما ان لها دوراً في البنى. فالجملة لا تعادل مع
عناصر التحويل، في معناها، الجملة بدون هذه العناصر. وهذه هي اهم
الاسس التي تقوم عليها نظرية تشومسكي كما نجدها في ما لا يقل عن

عشرين من اعماله المنشورة في كتب ومقالات، ونرى ان في بعض هذه الاسس او الجوانب غموض وتعميم، مرده الى طريقة صاحب النظرية في عرض أفكاره، فهو يعتمد على مصطلحات عامة غامضة، بعضها موجود في نظريات العلماء الذين سبقوه في الدرس اللغوي، ولكنه يذهب بها الى معاني جديدة دون ان يشير الى التعريف الجديد الذي يحدد ما يريد به، هذا من جانب، ومن جانب آخر، نجد انه يعرض فكرة ثم يقلع عنها الى غيرها وبسرعة غير متوقعة، فافكاره متقلبة متبدلة تارة، متتابعة تارة اخرى، ولا نعني بذلك بوجه، انها نظرية غير ثابتة، فهي النظرية التي تشغل الباحثين اللغويين في الغرب والشرق، ولكننا اردنا ان نبين للقارئ الكريم ما يجده الباحث من مشقة وعناء ليقف على نقطة او فكرة في نظرية تشومسكي او في تطور تفكيره، اذ عليه ان يستخلصها من عدد كبير من الكتابات منه وعنه، فكيف ان اراد ان يعرض اطاراً شاملاً لنظرية واسعة.

عرضنا فيما مضى شيئاً من نظريات عدد من العلماء الذين قامت على انتاجهم وأعمالهم النهضة اللغوية المعاصرة، ولا يعني ذلك انه لا يوجد غيرهم، فهناك هنري سويت، وجاردينرز، وفيرث في المدرسة الانجليزية الاجتماعية، وهناك رومان جاكسون، وهيلمسليف، وتروبتسكوي، واندرية مارتييه، وجسبيرسن الذين لكل منهم عدد من الاعمال المنشورة والآراء القوية في الاصوات والتركيب والمعاني، تمثل دعائم يمكن ان تكون ميداناً لبحث طويل، وندع الحديث عن هؤلاء وغيرهم الى مكان آخر نبين فيه جهودهم وجهود غيرهم من العلماء، وبخاصة المدرسة البريطانية التي جاءت بنظرية متكاملة يعتمد فيها المحلل على المستويات اللغوية الرئيسة المعروفة بطريقة او منهج رائد.

وننتقل من هذا الى عرض ما نراه في ضوء الفكرة التوليدية

التحويلية فأخذها بطريقة مختلفة عن طريقة تشومسكي، ونطبقها على اللغة العربية، أو نطبقها على أمثلة وأبواب من اللغة العربية تمهيداً لدراسة نقوم بوضعها في إطار نهائي، نجمع فيها الابواب النحوية في أطر كبرى بحسب المعنى، ونطبقها على بعض الدواوين لشعراء جاهليين.



الفصل الثالث

منهج وتطبيق
البحث في اللغة العربية
بين التوليدية والتحويلية



يقول ابن خلدون « في أن لغة العرب لهذا العهد مستقلة
مغايرة للغة مضر وحير : « وذلك أنا نجدنا في بيان المقاصد
والوفاء بالدلالة على سن اللسان المضري، ولم يُفقد منها الا
دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول، فاعتاضوا منها
بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد، الا
أن البيان والבלاقة في اللسان المضري اكثر واعرف، لأن
الألفاظ باعيناها دالة على المعاني باعيناها، ويبقى ما تقتضيه
الاحوال ويسمى بساط الحال محتاجاً الى ما يدل عليه، وكل
معنى وان تكتنفه احوال تخصه، فيجب ان تعتبر تلك الاحوال
في تأدية المقصود، لانها صفاته، وتلك الاحوال في جميع الالسن
اكثر ما يدل عليها بالفاظ تخصها بالوضع، واما في اللسان
العربي فانما يُدل عليها باحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ
وتأليفها من: تقديم وتأخير او حذف او حركة اعراب، وقد
يدل عليها باخروف غير المستقلة، ولذلك تفاوتت طبقات
الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك
الكيفيات... فكان الكلام العربي لذلك اوجز واقل الفاهاً
وعبارة من جميع الالسن ».

للقصة

ط ١، دار القلم - بيروت، ص ٥٥٥ - ٥٥٦

ليس من مهامنا هنا ان نفصل القول في علاقات اللغويين والنحاة في تحديد بعض المصطلحات الرئيسة التي بني عليها تقسيم الكلم، وعليها قام قسم اساس من اقسام الدراسات اللغوية في القديم وفي ايامنا هذه، وهو علم التراكيب اللغوية Syntax، ولكننا سنعرضها عرضاً سريعاً، نرصد حداثها ونبين ما ترتب على هذا الحد من جوانب لها اثرها الواضح في بناء الدرس اللغوي وتوجيهه، ثم نخرج من ذلك كله بوضع حد، نرتضيه، للجملة، نقسم في ضوئه الجملة الى اقسام رئيسة كبرى تضم في داخلها تقسيمات فروع، ويقوم كل فرع على عدد من الكلمات او المباني الصرفية (المورفيمات) التي يمثل كل منها باباً نحوياً له سماته وعلامته، وله معناه، ثم نقابل بين التحليل النحوي القائم على المصطلحات النحوية القائمة لتبرير الحركة الاعرابية والمرتبطة بها بسبب، والتحليل اللغوي الذي نعتمد فيه على معطيات علم اللغة الحديث، متجاوزين بذلك تفصيل القول في علم اللغة والبحث التاريخي فيه. وهذه المصطلحات هي:

١ - القول:

وهو كما يرى ابن جني «أن الفم واللسان يخفان له، ويقلقان ويمذلان به، وهو بضد السكوت»^(١)، فهو عنده «كل لفظ حذل به اللسان تماماً كان او ناقصاً، فالتام هو المفيد، اعني الجملة وما كان في معناها، من نحو: صه، وايه، والناقص، ما كان بضد ذلك، نحو: زيد، وعهد، وإن»^(٢)، فهو، كما هو واضح، يقسم القول الى قسمين: ويقصد بالأول: المباني الصرفية او الوحدات الكلامية التي تمثل حجارة المبني وقوالبه، وهذا ما عناه سيبويه بقوله: «أنه المفردات»^(٣)، في غير نظم

(١) الخصائص: ٥/١.

(٢) الخصائص: ١٧/١.

(٣) وانظر: ابن مالك، شرح التسهيل: ٤/١.

أو تطبيق ودون حجز يربط بعضها إلى بعض، ويقصد بالثاني: الكلام، بعد أن تنتظم وحدات القول في إطار يهدف به التكلم تجسيد فكرة تعتمد في الذهن بكلمات مترابطة مترابطة^(١)، وهذا ما يعنيه خالد الأزهرى بقوله: «والكلام في اصطلاح اللغويين عبارة عن القول»^(٢).

٢ - الكلام:

هو كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لعناه^(٣)، أي أنه مجموعة «من اللفاظ، قائماً برأسه، مستقلاً بمعناه»^(٤). ويرى بعض النحاة «أن تخصيص الكلام بالمفيد مجرد اصطلاح لا دليل عليه»^(٥)، «ولا يجوز أن يشترط في حده كونه مفيداً»^(٦)، فالكلام بناء يتألف من مجموعة من اللبّات تنتظم في ترتيب معين: اسم مع اسم، أو فعل مع اسم أو فعل مع اسمين أو ثلاثة أو أربعة.... أو حرف مع اسم^(٧)، فما يكون من هذه المجموعات يكون كلاماً مستقلاً، وهو الذي يسميه أهل العربية الجملة^(٨)، قائماً على الاسناد المفيد المقصود لذاته^(٩)، وهذا ما يرتضيه سيبويه، فيرى أن الكلام لا يطلق حقيقة إلا على الجملة المفيدة، يقول: «واعلم أن قلت في كلام العرب إنما وقعت على أن يحكى بها ما كان كلاماً لا قولاً»^(١٠)، وهذا ما ذهب إليه صاحب الفصل بقوله: «والكلام هو

(١) وانظر: شرح جل الزجاجي ٨٥/١ - ٨٦، ودلائل الإعجاز ص ٩٧، ٤١٦.

(٢) شرح التمرغ: ١٨/١.

(٣) الخصائص: ١٧/١.

(٤) الخصائص: ١٩/١.

(٥) المسح: ١١/١.

(٦) السابق.

(٧) وانظر ابن عفي: ١٤/١.

(٨) أبو علي التائسي: المسائل المسكرات ص ٤١.

(٩) ابن مالك، تهليل القوائد وتكميل القاصد ص ٣.

(١٠) الكتاب ط هارون: ١٢٢/١.

الركب من كلمتين اسندت احدها الى الاخرى، وذلك لا يتأتى الا في اسمين، كقولك: زيد اخوك، وبشر صاحبك، او في فعل وامم، نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر، ويسمى الجملة^(١)،، واضاف الميوطي: «وزعم ابن طلحة ان الكلمة الواحدة قد تكون كلاماً اذا قامت مقام الكلام^(٢)».

فالجملة اذاً - عند بعض النحاة - اللفظ المفيد فائدة بحسن السكوت عليها، وبذا تكون عند من قال بهذا رديفاً لمصطلح الكلام، حيث ان هذا هو التعريف الذي يرتضيه جل النحاة حدّاً للكلام، يقول ابن جني: «اما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون: الجمل، نحو: زيد اخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار ابوك، وصه، ومه، ورويد، وحاء، وعاء، في الاصوات، وحس ولب، وافّ وأوه، فكل لفظ مستقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام^(٣)»، ويفهم هذا بوضوح من قول ابن جني مبرقاً القول: «واما القول، فاصله انه كل لفظ مذل به اللسان تاماً كان او ناقصاً، فالتام هو للفيد، أعني الجملة، وما كان في معناها، نحو: صه، وابه^(٤)» ومن قوله: «... وذلك ما كان منه تاماً غير ناقص، ومفهوماً غير مستبهم، وهذه صورة الجمل، وهو ما كان من الألفاظ قائماً برأسه غير محتاج الى متمم، فلهذا سموا ما كان من الألفاظ تاماً مفيداً كلاماً^(٥)»، وقد نمّ، على هذا الترادف، الزمخشري في مفصله، فبعد أن وضع حدّ الكلام قال: «ويسمى الجملة^(٦)». وقد خرج على هذا

(١) شرح المنيل: ١٨/١.

(٢) الجمع: ١١/١.

(٣) الخصائص: ١٧/١.

(٤) الخصائص: ١٧/١.

(٥) الخصائص: ٢١/١.

(٦) ابن يعيش: شرح المنيل ١٨/١.

عدد من النحاة من القدماء ومن المحدثين، مقررين ان الجملة هي الاطار الكلي الكبير ان قيد اصبح كلاماً، فالكلام عندهم اخص من الجملة، وليس رديفاً لها، يقول ابن هشام: «... وهذا يظهر لك انها ليسا بترادفين كما يتوهمه كثير من الناس... والصواب انها اعم منه، اذ شرطه الافادة، بخلافها، ولهذا تسميهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام^(١)»، وهذا ما يذهب اليه الاستاذ عبد السلام هارون، يقول: «... والحق ان الكلام اخص من الجملة، والجملة اعم منه^(٢)» معتمداً على قول الناطقة «الاخص ما زاد قيداً والأعم ما زاد فرداً» فيقرر «واذا كان الكلام اخص من الجملة لانه مزيد فيه قيد الافادة^(٣)»، وهذا ما ذهب اليه علي بن محمد الجرجاني في تعريفه الجملة «عبارة عن مركب من كلمتين اسندت احدهما الى الاخرى، سواء افاد، كقولك: زيد قائم، او لم يفد، كقولك: ان يكرمني، فانه جملة لا تفيد الا بعد مجيء جوابه، فتكون الجملة اعم من الكلام مطلقاً^(٤)»، واما الكلام عنده فما تضمن كلمتين بالاسناد^(٥). والذي نرتضيه هو ما يرتضيه الزمخشري وابن يعيش حداً للكلام، حداً للجملة، ونخالفه كما نخالف من تبعه في ان الكلام هو الجملة، ونخالف ابن هشام ومن سار على منهجه في ان الكلام اخص من الجملة وهي اعم منه، فنرى أن الجملة ما كان من الألفاظ قائماً برأسه مفيداً لمعنى بحسن السكوت عليه^(٦)، فقام زيد، جملة، وزيد مجتهد،

(١) الفني: ٣٧٤/٢.

(٢) الاساليب الانتائية في النحو العربي، عبد السلام هارون ص ١٨.

(٣) السابق ص ١٨.

(٤) علي بن محمد الجرجاني، الترميمات، مكتبة الحلبي، القاهرة ١٩٣٨ م، ص ٦٩.

(٥) السابق ص ١٦٢.

(٦) وانظر: الخصائص ٣٢/١، سيبويه، الكتاب ٧/١، شرح للفصل ١٨/١ - ٢٠.

جمله، وهه، جمله، واف، جمله، والتار، جمله، واخاك اخاك، جمله،
وان تدرس تنجح، جمله، وان تحضر فانا مكرمك، جمله، ووالله ان
عمداً لرسول، جمله، ذلك لأن كل مجموعة مما سبق تؤدي بلبنتها كلها
معنى يحسن السكوت عليه، ولو نقصت لبنة واحدة لاختل المعنى.
ونرى، كذلك، ان الكلام تألف عدد من الجمل للوصول الى معنى اهم
ما في الجملة واشمل، وعلى ذلك، فقد كان القرآن كلام الله، والشعر
والنثر كلام العرب. وقد ترتب على الحد الذي يرتضيه ابن هشام للجملة
ان جعل للشرط جملة وللجواب جملة، وللصلة جملة وللنداء جملة وللقسم
جملة^(١)، في حين ان ايّاً من هذه لا تحمل معنى يحسن السكوت عليه،
وهو للتعريف الذي تفيد الامثلة التي وضعها في تعريفه الجملة يقول:
«والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كقام زيد، والمبتدأ وخبره، كزيد
قائم، وما كان بمنزلة احدهما، نحو: ضرب اللص، واقام الزيدان، وكان
زيد قائماً، وظننته قائماً^(٢)»، ونحن بهذا لا ندعي شيئاً لأنفسنا، بل نرده
الى مظانه، وننسبه الى اصحابه، فتبين ان ما نقوله قد لحن اليه ابن
جني بقوله: «... فلي هذا يكون قولنا: قام زيد، كلاماً (والكلام
مرادف للجملة)، فان قلت شارطاً: ان قام زيد... فصار قولاً لا كلاماً،
الا تراه ناقصاً ومنتظراً للتام بجواب الشرط، وكذلك لو قلت في حكاية
القسم: حلفت بالله، أي كان قسمي هذا، لكان كلاماً، لكونه مستقلاً،
ولو أردت به مريح القسم لكان قولاً من حيث كان ناقصاً لاحتياجه
الى جوابه^(٣)»، نقول: لاحتياجه الى جوابه وليس الى جملة جوابه،
وبينها من الفرق ما بين الجملة التوليدية ومناها والجملة التحويلية

(١) يقول السيوطي: «واما اطلاق الجملة على ما ذكر من الواقعة شرطاً او جواباً او

جملة فاطلاق مجازي» المص: ١٢/١.

(٢) معني اللبيب: ٣٧٤/٢.

(٣) الخصائص: ١٩/١.

ومعناها. فان ارتضيّا ان الجملة هي اللفظ الذي يحمل معنى محسن السكوت عليه، فان جميع الألفاظ اللازمة لحمل هذا المعنى هي اركان رئيسة في الجملة، ولا يجوز لأي ركن منها ان يستقل بمعنى الجملة ولا بتسميتها (جملة)، واذا كان المعنى هو الهدف الذي يبغي التكلم لتوضيحه ونقله الى السامع، فان للسامع أن يأخذه من ايسر طريق، الطريق التي على المحلل اللغوي ان يسلكها فيستغني غنى المقدر والمحدوف والمحل...، فينظر الى الجملة: انت والله ان تدرين تنجح، على انها جملة واحدة، لا طائل ولا فائدة ترجى من تقدير جوابه للقسم او جواب للشرط سد مسده الجواب المذكور، وكذلك جملة: ان تصدق على الفقراء فله مكرمك، جملة واحدة ولا فائدة للمعنى ولا للسامع ولا للمتكلم من القول بأن (فله مكرمك) في محل جزم جواب الشرط، وجملة: والله ان محمداً لرسول، جملة واحدة، لا فائدة في تقدير: والله قسي، بل وانه ان أظهر فقد جعل التركيب ضعيفاً ركيكاً^(١).

وقد قسم النحاة الجملة الى اسمية وفعلية، وزاد بعضهم بالجملة الظرفية^(٢)، وقد اشار الخليل والبيروني الى قسم آخر هو الجملة الشرطية^(٣)، ثم جاء صاحب المفصل وجمّلها جملة مستقلة بنفسها عليها ومثل لها^(٤): بكر ان تعطه بشكرك، مخالفاً بذلك غيره من النحاة، فهم يعدون الجملة التي تلي حرف الشرط، ان كان صدرها فعلاً، وكذلك ان حل محل حرف الشرط اسم شرط معمول لفعله، جملة فعلية، اما ان كان صدرها حرف شرط يليه مبتدأ، او اسم شرط غير معمول لفعله، فهي جملة اسمية، ولم يفر ابن يعيش في شرحه هذا التقسيم، وعدّ الجملة الشرطية جملة فعلية مركبة من جملتين فعليتين، او فعلية واسمية^(٥).

(١) انظر: المغني ص ٣٧٦.

(٢) وانظر المتقضب: ٤٦/٢، وانظر: شرح الكافية: ٢٥٤/٢.

(٣) انظر المفصل: ص ١٣، شرح المفصل: ٨٨/١.

(٤) شرح المفصل: ٨٠/١.

الجملة الاسمية:

وهي الجملة التي صدرها اسم صريح مرفوع أو مؤول في محل رفع، أو اسم فعل عند بعضهم، أو هي التي صدرها حرف غير مكفوف منبته بالفعل، فالجمل: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾، أن تفعل المعروف خير لك، هيهات العقيق، أن محمداً رسول، قائم الزيدان (عند من يجزه وهم الكوفيون والاختصاص)، جل اسمية، ومثلها في الحكم: محمد أكرم خالداً (عند أهل البصرة) هي جملة اسمية، أو هي جملة كبرى كما يرى السيوطي^(١) مكونة من جملتين صغريين:

محمد: مبتدأ، خبره الجملة الفعلية التي تليه (في محل رفع) أكرم: جملة فعلية فاعلها ضمير مستتر تقديره هو يعود على محمد (المبتدأ).

أما الجملة الفعلية:

فهي التي يتصدرها فعل تام أو ناقص، مثل قام زيد، ضرب اللص، كان زيد قائماً، يقوم زيد، وهم^(٢)، ويمدون منها، كذلك، خالداً أكرم محمد، و﴿فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾، لأن الأسماء التي في صدرها في نية التأخير^(٣)، ويدرجون فيها، كذلك: يا عبدالله، و﴿أن أحد من المشركين استجارك...﴾، و﴿الأنعام خلقها﴾، و﴿والليل إذا يشي﴾ لأن في صدرها في الأصل أفعالاً، والتقدير: ادعوا عبدالله، وإن استجارك أحد استجارك هو...، وخلق الأنعام خلقها، وأقسم والليل^(٤).

لا ريب أن من يدقق النظر ويقلب هذه الجمل، يرى ما في هذا

(١) المجموع: ٨٠/١.

(٢) انظر: المفني: ٣٧٦/٢.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

التقسيم من اعتماد كلي على الشكل أو للبنى دون المضمون أو المعنى، فكان من نتائج ذلك عدم وضوح الاطار الذي تنتظم فيه الجملة، وكان من نتائجه كذلك، الخلط الواضح في ادراج بعض التراكيب اللغوية وحشرها في الاسمية او الفعلية دون ان تقبلها، ودون ان يكون لهذا الحشر ما يبرره او ما يستفاد منه، كما في: هيهات العقيق، التي هي جملة فعلية مع أنهم يسمون هيهات اسم فعل، ومع أنها لا تقبل علامات الاسمية ولا علامات الفعلية، ولا تشير الى حدث أو زمن، ولا علاقة اسناد بينها وبين الاسم الذي يليها. وفي: أقام الزيدان؟ التي تقوم فيها كلمة الزيدان بدورين مختلفين، فتحمل مصطلحين يعود كل منهما الى قسم من أقسام الجملة: فاعل سد مسد الخبر، فان كان قاعلاً فلا بد ان يكون مسبوقاً بفعل، فالجملة فعلية، وان كان خبراً فلا بد ان يكون مسبوقاً بمبتدأ، فالجملة اسمية.

وان هذا التحديد لكل من الجملتين الاسمية والفعلية - كما جاء عند النحاة - لا يصلح لتصنيف الجمل في اللغة العربية، فهناك كثير من الجمل التي صدرها اسم ولكنهم ادرجوها في الفعلية، وأخر صنفوها فعلية في حين ان لا فعل في صدرها، وهي التي يتصدرها الحرف عاملاً او مهملًا: ان الله عليم، لا خير يطلب من منحرف، أيبخل الكريم؟، هل ينجح الكسول؟... الخ، فهذه جمل فعلية، وكذلك الجمل: سبحان الله، ﴿فريقاً كذبت﴾، ﴿خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث...﴾، وجملة القسم وجملة النداء وجملة الشرط تعد كلها من الجمل الفعلية - كما ذكرنا سابقاً -.

وقد ذهب قسم من النحاة ان المصدر الذي يحكم به على تصنيف الجملة، هو مصدر الكلمة التي تعد ركناً رئيساً في الجملة، او ان الاصل فيها ان تكون من اركان الجملة، فالجملة الفعلية ما كانت مكونة من فعل وفاعل او بما اصله كذلك، والاسمية ما كانت مكونة من مبتدأ

وخير، أو بما كان الاصل فيها كذلك^(١)، وبذا فان هذا القسم من النحاة يصرفون النظر عند التصنيف عما يأتي في صدر الجملة من أدوات أو حروف أو أركان ليست رئيسة في الجملة أصلاً، ولكننا لا نمرف كيف يخرج هؤلاء العلماء تصنيف الجملة التالية، مثلاً: أقام الزيدان فلا ينطبق عليها ما كان أصله مبتدأ، وخبراً، ولا ما كان الاصل فيه فعلاً وفاعلاً، والجملة: عَلِمَ محمد الإيمان قوة، وفيها ما كان أصله فعلاً وفاعلاً وما كان أصله مبتدأ وخبراً، وكذلك نرى ان هذا التحديد لا يدع فرصة لإبراز المعنى في الجمل التي يتقدم فاعلها على فعلها، مثل: الولد يجتهد، الجندي يقاتل، الطالب يستيقظ مبكراً، مقابلة بالجمل التي يكون الاسناد فيها بين مبتدأ وخبر: الولد يجتهد، الجندي يقاتل، الحق منتصر... الخ. فهذه الجمل جميعها تصنف في الجمل الاسمية، على الرغم مما بينها من اختلاف في المعنى والارتباط بالزمن، تقييداً أو إطلاقاً.

وقد ترتب على تقسيات النحاة السابقة وتحديدهم الجملتين الاسمية والفعلية، دخول مصطلحات في الدرس اللغوي لها صبغة قسرية، أدت إلى، أو ساهمت في إجهاد ما يسمى بالاعراب المحلي والتقديرية. فالجملة: محمد أكرم خالداً، اسمية فعلية، اسمية لأنه يتصدرها اسم، فهو مبتدأ ولا بد له من خير، والاصل في الخبر ان يكون مفرداً، فما بعد المبتدأ جملة فعلية، في محل المفرد، خير المبتدأ في محل رفع، وفعلية لأن القسم الثاني منها (الجملة الفعلية التي هي خبر المبتدأ) يتصدره فعل (أكرم) ويحتاج إلى فاعل، والفاعل لا يتقدم على فعله - عندهم -، فان تقدم فهو مبتدأ، اذاً، لا بد من ضمير يقدر ليكون فاعلاً، ولا بد لهذا الضمير من عائد يعود عليه، فهو بغيره مبهم، ولست ادري ما قيمة

(١) انظر: الفنى ١٤٤/٧، اسرار العربية: ٧٩، اللغضب ١٧٨/٤.

الحكم بالاسمية او الفعلية في خدمة المعنى الذي يسعى للوصول اليه كل من المتكلم والسامع، امام هذا التشابك بين «المحل»، و«التقدير»، وهكذا الحال في «أن أحد من الشركين استجارك...»، جملة فعلية لأن الاداة مختصة بالدخول على الفعل، لا غير، فلا بد من تقدير ما تختص الاداة بالدخول عليه والاختصاص به، ويجب ان يكون تفسيره في الفعل المذكور بعده، ولا بد ان يكون فاعل هذا المفسر عائداً على ذاك المتقدم (ليتحقق قانون تبادل المنافع)، ولا يجوز ان يعد الفاعل المتقدم فاعلاً للفعل المتأخر، خشية كسر القاعدة التي تنص - عند أهل البصرة - على ان الفاعل لا يتقدم فعله وان تقدم فهو مبتدأ!!! وقد ثار الأخفش والكوفيون على هذه القاعدة وصنفوا الجملة فعلية فاعلها تقدم على فعلها، والاداة مختصة عند الكوفيين، ومختصة تارة وغير مختصة اخرى عند الاخفش، كما ذكرنا تفصيل هذا سابقاً، وكذا القول في: «والانعام خلقها» جملة فعلية فعلها الذي عمل في كلمة (الانعام) محذوف مع فاعله، يفسر الفعل المحذوف الفعل المذكور، ويفسر الفاعل المحذوف الفاعل المذكور (خلقها الله)، ذلك لأن في الفعل المذكور ضميراً (هو المفعول به للفعل)، والفعل لا يعمل في مفعولين، ولا يجوز ان يعد بمائلاً للجملة: الانعام خلق الله، وبذا فانك ترى ان هذا الخلط قد اوقع النحاة في كثير من المشكلات، وحلهم على القول بأن الاسم المتقدم مبتدأ وليس فاعلاً، او على القول بأنه مفعول لفعل محذوف وليس للمذكور، واذا اصبح الفعل بلا فاعل لتقدم فاعله اضطر الدارس الى تقدير فاعل. وحلهم كذلك على ان يعدوا الجملة البسيطة جملة مركبة مكونة من جملتين، المسند اليه في الاولى هو المقدم المرفوع، والمسند اليه في الثانية هو الضمير المائد على المبتدأ، وهذا يحملنا على ان نرجع ثانية فتحوله من مبتدأ الى فاعل اذا دخلت عليه احدى ادوات الشرط، كأن يقال: «اذا البدر طلع كان كذا وكذا، وذلك لأن (اذا)

في الشرط لا يليها الا جملة فعلية، ويكون البدر حينئذٍ فاعلاً، ولكن ليس للفعل الملقوط به، ولكنه فاعل للفعل الذي يدل عليه الفعل الملقوط به، ويكون هذا الفعل واجب الحذف، لا يذكر في حال، ولو ذكر، فقليل: اذا طلع البدر طلع كذا وكذا، لكان من سخيفة ومردولة، واللغة العربية ودارسوها في غنى عن هذه العمليات الذهنية المعقدة التي لم توضح معنى ولا فصرت اسلوباً^(١).

ويتضح اثر هذا الخلط كذلك في الجملة: يا عبدالله، وفي: يا محمد، بنصب الاسم بعد الياء مرة وبرفعه مرة اخرى، فاما ان تكون الاداة عاملة او مهيمة، فان عملت فيجب أن يكون عملها فيما يليها واحداً، وليس الامر كذلك، فليست عاملة اذاً، ولكنها تسد مسد عامل، وهو فعل النداء ادعو او انادي، وهذا يجب ان يكون عمله فيما يليه واحداً، وبخاصة اذا كان ما يليه معرباً في الاصل وليس من الاسماء المبنية في لسان العرب، ولما لم يكن كذلك فقد جعلوا الرفع مبنياً في محل نصب، معمول للفعل الذي سدت مسده اداة النداء، دون ان نعرف السر في بناء هذا الاسم العرب (محمد)، وتأخذ مثلاً آخر نبين فيه شيئاً مما ترتب على هذا الخلط في الحكم على الجملة بحسب صدرها، قوله تعالى: ﴿والليل اذا يفتشى﴾، فكلمة الليل مجرورة، وقد سبقها حرف الواو، والواو ليست من حروف الجر، جاء بعد الاسم التالي لهذا الحرف جملة فعلية، اذا يفتشى. فكان التقدير: واقسم والليل، فالواو ليست من حروف الجر لانها من حروف المطف،....، فان قدرت: قسي والليل، فان الليل مجرور لفظاً مرفوع هلاً، ولكنه مجرور بغير عامل، أليست الحركة هنا هي حركة اقتضاء، ولنا نجد تعبيراً لماذا كانت في مثل هذه الجملة فعلية (اقسم والليل)، وهي في الجملة: والله ان محمداً لرسول، جملة اسمية،....

(١) انظر: مهدي الخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه: ص ١٢ - ١٣.

هذه نقاط تشير بوضوح الى ما ترتب على القول بالاسمية او الفعلية اعتقاداً على تحديد وتعريف قسري، لا يزيد الباحث الا بعداً عن المعنى واعتقاداً على الشكل القائم على الصنعة والاسراف فيها.

واما قول النحاة في الجملة الظرفية، وفي جملة الشرط، فسنعرضه في موضعة اثناء مناقشتنا للزيادة من عناصر التحويل في الجملة النواة او التوليدية.

قلنا: سار اللغويون العرب في القرون الاولى لدراسة اللغة على منهجين: اهتم الاول منها بالبنية الشكلية للجملة وما على اواخر كلماتها من حركات اعرابية، فبحثوا واطالوا البحث في اسباب تلك الحركات وعواملها. ولعل الموجد الفعلي الاول (المعروف) لهذا المنهج هو الخليل ابن أحمد، ثم جاء بعده تلاميذه الذين حلوا المعضلة في كل من البصرة والكوفة (سيبويه والكسائي وغيرها). واهتم اصحاب المنهج الثاني بقواعد وقوانين استنباط المعنى من التراكيب الجمالية، كالقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتشبيه وفتونه.... الخ. وبعد كل من: ابي عبيدة، صاحب مجاز القرآن، وعبد القاهر الجرجاني، صاحب دلائل الاعجاز، وامرار البلاغة، خير من يمثل هذا المنهج في مراحل المتقدمة، وبخاصة الجرجاني في نظرية النظم التي نرى انه استطاع بها ان يباري احدث ما وصلت اليه مناهج اللغويين المعاصرين، بل وبها كان له فضل سبق.

ما هو معلوم بداهة ان النحو العربي قد بدأ بداية تعليمية، هدفه حفظ اللسان من الزلل وعصمته من الخطأ، والاخذ بيد الداخلين في الاسلام من غير العرب لحنو العرب في كلامهم. ولكن النحاة قد تحطوا هذه الغاية وانصرفوا الى غيرها بحثاً عن العامل المسبب للحركة الاعرابية على اواخر الحكم، ولم يعد القول المشهور: «الاعراب فرع

المعنى « يبرز امامهم الا لاما، فاهتموا بوضع المصطلحات النحوية حتى غدت اعمالهم جلها تقوم على العامل والتعليل والتأويل والخوض في ما لا يحتاجه العالم المتقن فضلاً عن المتعلم الشادي. غير احد اصحاب ابي الاخفش له عما يحده من عمر في كتبه، قائلاً: يا ابا الحسن، انت اعلم الناس بالنحو، فلماذا لا تجعل كتبك مفهومة كلها؟ وما بالناس نفهم بعضها ولا نفهم اكثرها؟ وما بالك تقدم العويص وتؤخر المفهوم. ومقابل هذا الانصراف الى البنية الشكلية ودراسة ما يجري فيها، انصرف الفريق الثاني، وهم البلاغيون الى «المعنى» حتى إنهم اطلقوا اسماً لقسم من اقسام علمهم «المعاني»، ولكن التداخل بين دراسات العلماء وآرائهم في هذا المنهج وذاك قد وقع، فتأثرت احكامهم وتعريفاتهم بهذا التداخل، ومن امثلة هذا التداخل ذاك البحث الطويل الذي قدمه العلماء عن الجملة وتعريفها واقسامها، فمنهم من يراها رديفاً للكلام المفيد^(١)، ومنهم من عدّها «اللفظ الدال على معنى مفرد»^(٢)، ومنه من عدّها التركيب الذي ضمت فيه كلمة الى اخرى^(٣)، ومنهم من يرى أنّ شرطها الرئيسي ان تحمل معنى يحسن السكوت عليه^(٤). فاللفظ والمعنى عند هذا الفريق ركنان رئيسان بدونها لا تقوم الجملة^(٥)، وتابع قسم من هؤلاء القول بأن تسمية ما هو ناقص في معناه «جملة» لا يكون الا مجازاً^(٦)، ومنهم من يرى بأن العنصر الرئيس الذي يجب ان يتحقق لتكون الجملة جملة هو الاسناد، يقول علي بن محمد الجرجاني في تعريفاته: «الجملة عبارة عن مركب من كلمتين اسندت احداها الى الاخرى

(١) منار السالك: ١/٦ - ٧

(٢) حاشية السجاعي على القطر ص ٧.

(٣) شرح المفصل: ١٩/١، وانظر حاشية المطار على شرح الازهرية ص ١٤.

(٤) شرح التصريح على التوضيح: ١٩/١. والمج: ١١/١.

(٥) المج: ١٣/١.

(٦) المج: ١٣/١.

سواء أفاد كقولك: زيد قائم أو لم يفد كقولك: ان يكرمني، فإنه جملة...^(١). ونحن نرتضي ما جاء عن الزمخشري حداً للكلام^(٢) حداً للجملة، ونخالف بذلك من يرى ان الكلام هو الجملة، ومن يرى ان الكلام اخص من الجملة وهي اعم منه^(٣)، ونظمين الى ان الجملة «ما كان من الألفاظ قائماً برأيه مفيداً لمعنى يحسن السكوت عليه»^(٤)، ونقيد (ما) التي جاءت في اول هذا التعريف، فنقول: هي الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه، ونسميها الجملة التوليدية أو المنتجة (اسم قاعل)، بشرط ان تشير على نطق من افاط البناء الجملي في اللغة العربية، فهي توليدية يتفرع منها شقان: احدها نسميه الجملة التوليدية الاسمية، وله أطر نحصر اهمها - ولا نقول نحصرها - في ما يلي^(٥).

- أ - اسم معرفة + اسم نكرة.
 - ب - اسم استفهام + اسم معرفة.
 - ج - شبه جملة (ظرفية أو جار ومجرور) + اسم نكرة.
- والثاني، ونسميه الجملة التوليدية الفعلية، وله أطر نحصر أهمها في:
- أ - فعل + اسم (أو ما يسد مسده ظاهراً أو مستتراً كما في فعل الامر).
 - ب - فعل + اسم + اسم، (أو اسم مقترن بحرف جر).
- ولكن هذه الأطر جميعها قد يجري فيها تغيير، في مبانيها الصرفية

(١) التعريفات ص ٦٩.

(٢) شرح المفصل: ١٨/١.

(٣) الفنى اللبيب: ٣٧٤/٢.

(٤) الكتاب ط بولاق ٧/١.

(٥) خليل عايم: «رأى في بعض افاط التركيب الجملي لغة العربية»، المجلة العربية للعلوم الانسانية - جامعة الكويت عدد ٨.

(المورفيمات) او فيا فيها من فونيمات ثانوية (التبر والتنعيم) فيترتب على ذلك تغيير في المعنى وانتقال في تسمية الجملة، فتصبح الجملة جملة تحويلية في معناها اسمية او فعلية في مبناها. اما عناصر التحويل التي تدخل الجملة فهي:

عناصر التحويل

(١) الترتيب: يُعَدُّ الترتيب من ابرز عناصر التحويل واكثرها وضوحاً، لأن المتكلم يعتمد الى مورفيم حقه التأخير فبا جاء عن العرب فيقدمه، او الى ما حقه التقديم فيؤخره طلباً لاطهار ترتيب المعاني في النفس، فالكلمات كما يقول الجرجاني: تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس^(١)، والترتيب فن من الفنون التي يأخذ بها الفصحاء واصحاب البيان في الاساليب، واولئك الذين يجيدون التصرف في القول ووضعه الموضع الذي يقتضيه المعنى^(٢)، يقول الجرجاني: «هو باب كثير الفوائد، جمّ الحسن واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك الى لطيفه، ولا تزال ترى مشعراً يروقك سمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ان قُدِّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان الى مكان^(٣)»، وقد اشار سيبويه الى اهمية التقديم والتأخير (الترتيب) ودوره في المعنى، يقول: «فان قدمت المفعول واخرت الفاعل، جرى اللفظ كما جرى في الاول، وذلك قولك: ضرب زيداً عبداً الله، لانك انما اردت به مؤخراً ما اردت به مقدماً ولم ترد ان تشغل الفعل بأول منه وان كان انما يقدمون الذي بيانه اهم لهم، وهم ببيانه أعني، وان كانا

(١) دلائل الاعجاز: ص ٤٠.

(٢) دلائل الاعجاز: ص ٨٣.

(٣) اثر النحاة في البحث البلاغي - عبد القادر حسين: ص ٨٠.

(٤) دلائل الاعجاز: ص ٨٣.

جميعاً جهانهم ويعنيانهم^(١)». ويقول في موضع آخر: «والتقديم والتأخير فيما يكون ظرفاً أو يكون اسماً في العناية والاهتمام، مثله فيما ذكرت لك في باب الفاعل والمفعول، وجميع ما ذكرت لك عربي جيد كثير، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وأهل الجفاء من العرب يقولون: «وَلَمْ يَكُنْ كُفُوًا لَهُ أَحَدٌ»، وكأنهم اخروها حيث كانت غير مستقرة^(٢)»، وإذا كان سبويه قد اتخذ من التقديم والتأخير رمزاً للعناية والاهتمام، فإن عبد القاهر الجرجاني لا يقف به عند هذا الحد ويرى أن قصره على العناية والاهتمام يبعده عن أن يكون من عناصر ادراك اسرار التركيب اللغوي وفهمه والوصول الى كنهه وتذوق حلاوة ما فيه من معنى، يقول: «... فهذا جيد بالغ الا ان الشأن في انه ينبغي ان يعرف في كل شيء قدم في موضع من الكلام، مثل هذا المعنى ويفسر وجه العناية فيه هذا التفسير، وقد وقع في ظنون الناس انه يكفي ان يقال: انه قدم للعناية، ولأن ذكره اهم من غير ان يذكر من اين كانت تلك العناية ولم كان أهم، ولتخيلهم ذلك قد صغر امر التقديم والتأخير في نفوسهم وهونوا الخطب فيه حتى انك ترى اكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف، ولم تر ظناً ازرى على صاحبه من هذا وشبهه^(٣)»، فالتقديم والتأخير عند علمائنا من السلف النصالح يكون لأمر يتعلق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلم، وليس كما يرى بعض الباحثين المحدثين، يقول ابراهيم أنيس: «ولست اغالي حين اقرر هنا ان المفعول لا يصح ان يسبق ركني الاسناد في الجمل المثبتة كما يزعم اصحاب البلاغة في تلك الامثلة المصنوعة من نحو: زيداً ضربت، زيداً ضربته!!، اما التقديم في مثل

(١) الكتاب: ٣٤/١.

(٢) الكتاب: ٥٦/١.

(٣) دلائل الاعجاز ص ٨٥.

الآيات القرآنية «اياك نعبد واياك نستعين» و«قايي فاعبدون» و«ولكن كانوا انفسهم يظلمون» و«خذوه فقلوه ثم الجحيم صلوه»، و«فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر»، فالامر فيه لا يعدو ان يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية، فهي، اذاً، شبه بالقافية الشعرية التي يحرص الشاعر على موسيقاها كل الحرص^(١)، ولا تطيل الوقوف مع هذا الرأي بالتطبيق عليه او بيان صلته بفكرة وردت عند ابن الاثير، ونتابع رأي العلماء القدماء الذين يرون ان تقديم المفعول به يكون للاختصاص، فان قلت: زيداً ضربت، فانك تعني: ما ضربت الا زيداً، يقول الزعخشري في «اياك نعبد واياك نستعين»، والمعنى: لخصك بالمعبادة ولخصك بطلب المعونة^(٢)، ويقول القرطبي: «... ان قيل: لم قدم المفعول على الفعل؟ قيل له: اهتماماً، وشأن العرب تقديم الأهم....، وايضاً لئلا يتقدم ذكر العبد والمعبادة على المعبود^(٣)»، فالتقديم يكون دائماً لغرض يتعلق بالمعنى وليس لغرض يتعلق بالبنية الشكلية او بموسيقى الكلام، ولا هو تارة لمعنى واخرى لموسيقى الكلام، الامر الذي ذهب اليه ابراهيم انيس في تطبيقه على الآيات: «والله جعل لكم من انفسكم أزواجاً» «والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً...» الخ، فهذا التردد يمييه المخرجاني ويراه من الخطأ: «واعلم ان من الخطأ ان يقسم الامر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وان يعلل تارة بالعناية واخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرد لهذا قوافيه ولذاك سجعهم، ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا

(١) من اسرار اللفظ - ابراهيم انيس ص ٣٣٣، وانظر له رأياً آخر مخالفاً هذا الرأي في المرجع ذاته ص ٣١١.

(٢) الكثاف: ٦٢/١.

(٣) تفسير القرطبي ١٤٥/١.

بدل اخرى، فمق ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام انه قد اختص بفائدة، لا تكون تلك الفائدة مع التأخر، فقد وجب ان تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال، ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم سواء ان يدعى كذلك في عموم الاحوال، فاما ان يحمله بين بين، فيزعم انه للفائدة في بعضها وللتصرف في اللفظ من غير معنى في اللفظ فما ينبغي ان يرغب عن القول به^(١) .

وقد جاء التقديم والتأخر في كلام العرب واشعارهم كثيراً، فضلاً عما جاء منه في اروع كتاب بياني عرفته العربية (القرآن الكريم)، فجاء التقديم على صور متعددة، منها تقديم المفعول على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل، وجاء تقديم شبه الجملة على الفاعل، وعلى الفعل، وجاء تقديم الخبر، وتقديم الفضلات في حدود نص عليها النحاة. ووراء كل تقديم غرض يتعلق بالمعنى، ننظر الى الآيتين: «لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين^(٢)»، «لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل، ان هذا الا اساطير الاولين^(٣)»، بتقديم (هذا) في الاولى وتأخيرها في الثانية، يقول الزمخشري: «فان قلت: قدم في هذه الآية (هذا) قلت: التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر، وان الكلام انما سيق لأجله، ففي احدي الآيتين دليل على ان اتخاذ البحث هو الذي تمعد بالكلام، وفي الاخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد^(٤)». والى مثل هذا اشار ابو السعود بقوله: «وتقديم الموعود على نحن، لأنه المقصود بالذكر، وحيث آخر قصد به

(١) دلائل الاعجاز: ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) النمل: ٦٧.

(٣) المؤمنون: ٨٣.

(٤) الكتاب: ١٥٨/٣.

المبعوث، والجملة استئناف مسوق لتقدير الانكار، وتصديرها بالقسم لمزيد من التأكيد^(١). وفي تطبيقه على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ من أملاق نحن نرزقكم وإياهم^(٢)، و﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ أُمْلَاقٍ﴾ نحن نرزقهم وإياكم^(٣)، يقول: «في الآية الاولى قدم ضمير المخاطبين على الأولاد، وفي الثانية قدم ضمير الأولاد على المخاطبين، لأن الخطاب في الاولى للفقراء، بدليل: من أملاق، الذي يفيد أنهم في فقر، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم، لأنهم في حاجة إليه، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم، والخطاب في الثانية للأغنياء، بدليل: خشية أملاق، فإن الخشية إنما تكون من أمر لم يقع بعد، فكان رزق أولادهم في هذا السياق هو موضع الاهتمام دون رزقهم، فبرزقهم حاصل، فقدم الوعد برزق الأولاد على رزقهم^(٤)».

فما هو واضح من الامثلة السابقة تطبيقاً لما جاء في أقوال العلماء أن الترتيب أمر يراد به سرّاً من اسرار العربية، ووسيلة يقرب بها المعنى العميق والدلالة البعيدة. وقد سلك فيه العلماء سبيلين: سبيل النحو وسبيل البلاغة، فقد وضع ابن جني فصلاً كاملاً في كتابه الخصائص للعديد عن التقديم والتأخير بحث فيه اضربه وما يجوز فيه وما لا يجوز، وما يقبله القياس وما يُحمد اليه اضطراراً^(٥)، ونراه في هذا الفصل ينهج نهج البلاغي الذي يبحث عن المعنى، ولكنه لا يلبث ان يمود الى المعايير النحوية التي كانت قد تأصلت وارسيت دعائمها، يقول: «وكما لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل، فكذلك لا يجوز تقديم ما

(١) تفسير أبي السعود ٢/٢٩٨.

(٢) الانعام: ١٥١.

(٣) الامراء: ٣١.

(٤) وانظر: خصائص التراكيب - محمد ابو موسى، ص ٢٩٤.

(٥) الخصائص ٢/٢٨٢، ٢٨٥.

أقيم مقام الفاعل، كضرب زيد^(١)، ويضيف مؤكداً منهجه النحوي الذي يطبق فيه قواعد شكلية منبثقة من الحركة الاعرابية والبحث عن تبريرها: «وبعد فليس في الدنيا مرفوع يجوز تقديمه على رافعه، فإما خبر المبتدأ فلم يتقدم عندنا على رافعه» لأن رافعه ليس المبتدأ وحده، إنما الرفع له المبتدأ والابتداء جميعاً، فلم يتقدم الخبر عليها معاً، وإنما تقدم على أحدها، وهو المبتدأ، فهذا لا ينتقض^(٢)، وليس هذا بالامر الغريب فقد اختلط المنهجان البلاغي والنحوي عند كثير من علماء هذه الحقبة، فغلبيت الصنعة الشكلية المعنى في أبحاث قسم منهم، واستطاع آخرون أن يوازنوا بين اللفظ وما فيه من قرائن، والمعنى الذي يعتزم المتكلم أن يوصله إلى السامع، فمثلاً، يرى هؤلاء أنه إذا انتفى الإعراب اللفظي في الفاعل والمفعول معاً مع انشفاء القرينة الدالة على تمييز أحدهما عن الآخر، وجب تقديم الفاعل، لأنه إذا انتفت العلامة الموضوعية للتمييز بينها، والقرائن اللفظية والمعنوية التي قد توجد في بعض التراكيب دالة على الفاعل والمفعول، فإن كل واحد يقع في مكانه الذي هو له قياساً على ما جاء عن العرب في إطار الجملة الفعلية أو الاسمية، مثل: أكرم موسى عيسى^(٣).

قلنا إن الترتيب الذي هو نقل مورفيم من موقع أصل له إلى موقع جديد مغيراً بذلك نط الجملة، وناقلاً معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة، هو عنصر من عناصر التحويل، فالجملة^(٤)

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) انظر الكافية في النحو ٧٢/١، وانظر: قام حسان: اللغة العربية في معناها ومعناها: ٧-٢ وما بعدها.

(٤) وانظر في ترتيب الجملة الفعلية: الاشياء والنظائر ٢٦٦/١، وشرح التصريح: ٣٠٩/١.

(أ) اكرم خالد علياً هي جملة توليدية فعلية لا تركيز فيها على اي جزء من اجزاء المعنى، وهدفها نقل الخبر من صورته الذهنية في ذهن المتكلم الى صورة (فونولوجية) منطوقة تقع على سمع السامع فيدرك المطلوب منها وهو الاخبار لا غير، ولكن اذا قصد المتكلم نقل الخبر بتركيز على جزء من اجزائه ولاظهار عنايته واهتمامه به، فانه يقدم ذاك الجزء فيدرك السامع المعنى الجديد. اما ان كان المتكلم يقصد من الجملة (ب) خالد اكرم علياً. أو من الجملة (ج) علياً اكرم خالد، ما يقصده من الجملة التوليدية (أ) فانه قد اخطأ جادة الصواب، وعبر بغير ما كان عليه ان يعبر به، وقدماً قال سيويو وغيره «والعرب ان ارادت العناية بشيء قدمته»، فالجملة (أ) جملة توليدية فعلية جاءت طبقاً لنمط من أنماط الجملة الفعلية في اللغة العربية، اما الجملتان (ب، ج) فهما جملتان تحويليتان فعليتان كان التحويل فيها باستخدام عنصر الترتيب، للتركيز في أولاهما على محدث الحدث، وفي الثانية على من وقع له الحدث، فهما (الفاعل والمفعول) يؤكدان بالتقديم، وقد اجاز لحاة البصرة والكوفة ان تسمى الجملة (ج) جملة فعلية (علياً) فيها مفعول به مقدّم، ولكن لحاة البصرة رفضوا ان تسمى الجملة (ب) جملة فعلية فاعلها مقدّم، وذلك للتأثر في الحالة الاعرابية بين الفاعل المقدم والاسم الواقع في صدر الجملة (المبتدأ)، قياساً على ان الكلمة في النمط الجملي الاصل (وكلمة الاصل هنا فرضية قوية) تأخذ اسماً لا يتغير بتغير موقع المفعول به، واعتاداً على تحقيق المعنى، فاننا نرى ان الفاعل وهو المحدث للحدث الذي وقع على المفعول به، ارتضاءً لما جاء عن اهل الكوفة، هو الفاعل تقدم او تأخر، وما التغير الا لغرض يريد المتكلم في معنى الجملة وليس في مبنائها الشكلي الظاهر. فالجملتان (ب، ج) جملتان تحويليتان فعليتان مؤكّدتان، كان التوكيد في احدهما للفاعل، فهو فاعل مقدم لغرض التوكيد، وفي الثانية للمفعول به، فهو مفعول به

مقدم لغرض التوكيد^(١) وكذلك الحال في قولنا: الرسول محمد، فإن (محمد) هي المبتدأ تأخر أم تقدم ولا تكون كلمة (الرسول) مبتدأ، فهي جملة تحويلية اسمية الخبر فيها مقدم لغرض التوكيد. وجعلتها التوليدية هي: محمد رسول، ثم تحولت الى: محمد الرسول باستخدام عنصر من عناصر التحويل وهو الزيادة - وسنعرضه بعد قليل - ثم جرى فيها تقديم فاصبحت: ال + رسول + محمد.

خبر + مبتدأ

وبعد هذا العرض نقتبس عدداً من الآيات القرآنية التي جاء فيها الفاعل مقدماً على فعله، لينظر فيها القارئ ويتدبر ما فيها من معنى التوكيد، في قضايا لا يكون التوكيد فيها على الحدث، فالحدث قائم واقع لا يجادل فيه احد، ولكن الجدل الطويل كان في من يحدث هذا الحدث او يقدر عليه، ولو قرأنا القرآن مرة اخرى لوجدنا عدداً كبيراً من الآيات المماثلة ولكن ترتيبها جاء على المنهج الاصل، فلعل القارئ يتدبر النوعين ويرى ما جاء في كتب التفسير ليرى قيمة الترتيب.

يقول تعالى:

﴿والله يدعو الى دار السلام﴾ سورة التوبة الآية ٢٥.
 ﴿قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فاني توفكون﴾ سورة التوبة: الآية ٣٤.

﴿قل الله اذن لكم ام على الله تغفرون﴾ سورة التوبة الآية ٥٩.
 ﴿الله يعلم ما تحمل كل انثى﴾ سورة الرعد الآية ٨.

(١) انظر: خليل عايد: رأي في انماط الجملة في اللغة العربية، المجلة العربية للعلوم الانسانية - جامعة الكويت عدد ٨.

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ سورة الرعد الآية ٢٦ .
 ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ سورة الحج الآية ٢٥ .
 ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً﴾ سورة فاطر
 الآية ١١ .
 ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها﴾ سورة الزمر الآية ٤٢ .

٢) الزيادة: وتقصّد بالزيادة عنصراً من عناصر التحويل، ما يضاف الى الجملة النواة من كلمات يعبر عنها النحاة بالفضلات او التثاق او غير ذلك، ويعبر عنها البلاغيون بالقيد، يضاف الى الجملة الاصل Kernel Sentence^(١) لتحقيق زيادة في المعنى، فكل زيادة في المبنى تعني زيادة في المعنى، فنقول مثلاً: حضر محمد، ثم نضيف (باسماً)، لنبين حال محمد عندما حضر، ولا بد لكل كلمة تضاف الى الجملة ان تسير في خط المبنى قبل ان تعطي معنى، اذ أنها تمثل حرفي لباب نحوي، وبلاستقراء الذي قدمه سلفنا من النحاة واللغويين القدماء فاننا نعرف لكل باب نحوي حالة اعرابية يُعبر عنها بحركة، فكل كلمة (باسماً) جاءت مثلاً صرفياً لباب الحال ويمكن ان يكون غيرها فيه، فيقال ضاحكاً او مسروراً او غائباً او... الخ، فان لم تأخذ الكلمة الحركة الاعرابية المخصصة للباب النحوي فانها لم تحقق البند الاول من بنود كونها جملة صحيحة في اللغة العربية، وهو سلامة البنية الشكلية، اذ أن سلامة البنية الشكلية في الجملة العربية تقتضي ان تحقق الحركة الاعرابية قياساً على ما جاء عن العرب وبينه النحاة بوضع حركة اعرابية لكل

(١) وانظر E. Bach, syntactic Theory, P. 134.

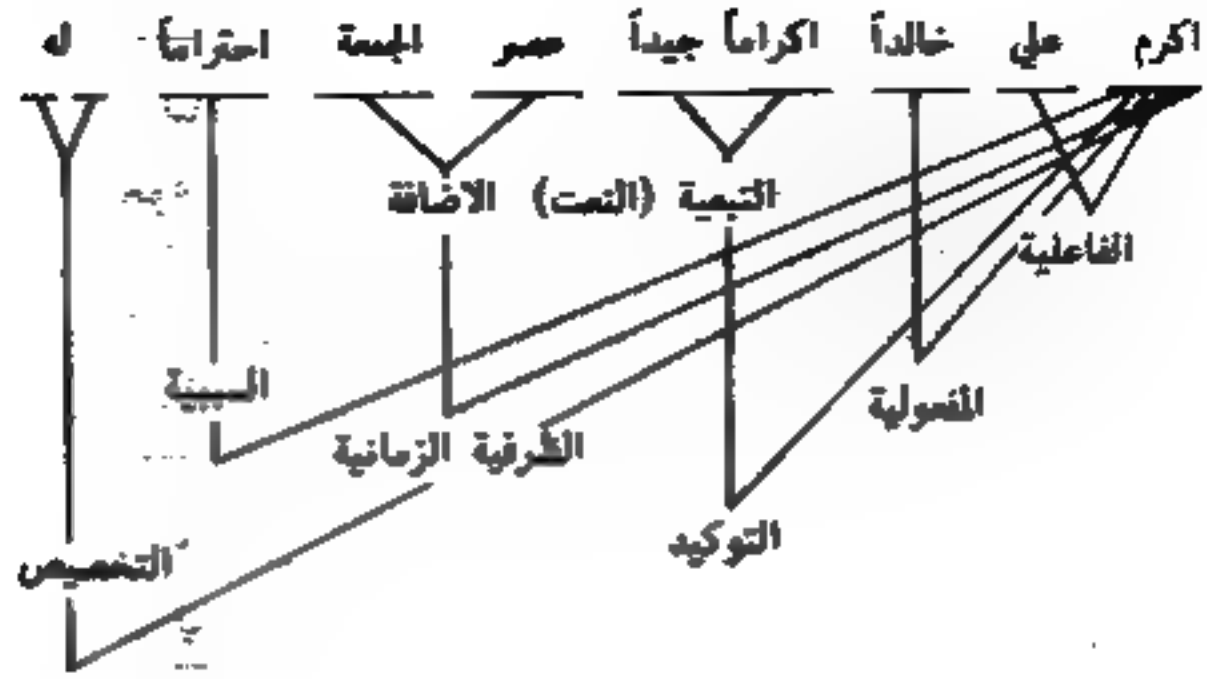
Jacobs and Rosenbaum, Transformations, Style and meaning, M. I. T. Press, 1971, P. 20.

باب يجب ان تأخذ الكلمة التي تأتي عملة للباب في الجملة، الا ان تكون مبنية فتكتفي بحركتها (حركة البناء) دون ان تكون في محل نصب او رفع او جر او جزم، وقياساً على ما جاء عن العرب في ترتيب هذه الكلمات وما يجوز فيه وما لا يجوز، وقياساً على ما جاء عن العرب من اوجه المطابقة في العدد والجنس، ونسبي هذا كله القياس اللغوي. فالجملة (أ) كتب محمد الكتاب، جملة توليدية فعلية يمكن ان تتحول قياساً على ما جاء عن العرب الى (ب) الكتاب كتب محمد، او الى (ج) محمد كتب الكتاب، او الى (د) كتب الكتاب محمد، ولكنها لا تتحول الى (هـ) محمد الكتاب كتب، مع ان كل كلمة قد اخذت حركتها التي يجب ان تأخذها، ولكن هذا الترتيب (SOV) او الترتيب (OSV) لم يردا في العربية الفصحى ليقاس عليهما. وكذلك عندما نقول: كتبت هذا فان (هذا) هي المفعول به اخذ حركة البناء لأنه وان كان مثلاً لباب المفعول به الذي حالته النصب وحركته مع المفرد الفتحة الا انه لا يقبل تغيير حركة البناء فهو مفعول به وكفى. ونقول: جاء من يتقي الله، فان (مَنْ) هي الفاعل ممثلة لبابه النحوي وان لم تأخذ حركته (الضمة) لأنها مبنية، ولا حاجة بنا الى القول هو مبني على... في محل.... لان الحركة هنا ليست بما يجب ان يظهر ولا دور لها في اداء المعنى، ولا في صحة المبنى، ومن ثم فذكرها مقدرة هو امر مخالف لما عليه اللغة ولما كانت عليه سليقة العربي وفطرته اللغوية. ونقول ايضاً: جاء الطالب، وجاءت الطالبة، وحضرت الطالبات، الطلاب حاضرون، فيتم التطابق قياساً لغوياً على ما جاء عن العرب، ولكن هذا التطابق قد يهدر، وذلك قياساً على ما جاء عن العرب ايضاً، فيكون ابرازه مخالفة لتحقيق سلامة البنية الشكلية للجملة العربية، فلو قال قائل: كُتبت البنات، جمعاً للجملة: كتبت البنات، لما كانت تلك جملة عربية، وهنا نضع الخطط التالي الذي يبين كيف تمثل الكلمة الباب النحوي.

حركة الباب النحوي	الرفع - الضمّة النون	الرفع - الضمّة الألف الواو -	النصب - الفتحة الألف الياء	النصب ...
الباب النحوي	الفعل المضارع	الفاعل	المفعول به	المفعول له
الممثل الصرفي	يكتب ، يدرس ، يلعب ، يضرب محترم ... الخ	علي ، خالد ، المهندسون ولدان الولدين .. الخ سمير ، هذا ، هو	الكرة ، اتاك ... الخ	اجلاً ، احتراماً تكريماً ، عقاباً

فبعد ان تأخذ الكلمة موقعها من الجملة محققة سلامة البنية الشكلية في الجملة قياساً على ما جاء عن العرب ، فانها ترتبط من حيث المعنى بمركز الجملة^(١) ، ومركز الجملة او يورثها في الجملة التوليدية او التحويلية الفعلية هو الفعل ولا نقول الفاعل (المسند اليه) وذلك لأن الفعل والفاعل كالكلمة الواحدة تحققان ما يسمى التلازم - وسنعرضه بعد قليل - فالفاعل يرتبط بالفعل ويصبح جزءاً منه ، وما يضاف الى الجملة من كلمات يرتبط بها ارتباط الدوائر المحيطة بالنواة بها هكذا :

(١) انظر: تحليل عابره: البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي ، مجلة الفيصل عدد ٧٠ ، ربيع الآخر ١٤٠٣ هـ .



يقول الجرجاني: «واعلم ان مثل واضح الكلام مثل من يأخذ قطعة من الذهب او الفضة، فيذيب بعضها في بعض حتى يصير قطعة واحدة، وذلك انك اذا قلت: ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له، فانك تحصل من مجموع هذه الكلم على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان كما يتوهمه الناس وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيد انفس معانيها، وانما جئت بها لتفيد وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه، والاحكام التي هي محمول التعلق، واذا كان الامر كذلك فينبغي لنا ان ننظر في المفعولية من (عمرو) وكون يوم الجمعة زماناً للضرب، وكون الضرب ضرباً شديداً، وكون التأديب علّة للضرب، أيتصور فيها ان تفرد عن المعنى الاول الذي هو اصل الفائدة، وهو استاد الضرب الى زيد واثبات الضرب به له حتى يعقل كون عمرو مفعولاً به وكون يوم الجمعة مفعولاً فيه، وكون ضرباً شديداً مصدرأ، وكون التأديب مفعولاً له من غير أن يخطر ببالك كون زيد فاعلاً للضرب؟ واذا نظرنا وجدنا ذلك لا يتصور لأن عمراً مفعول

لضرب وقع من زيد عليه، ويوم الجمعة زمان لضرب وقع من زيد، وضرباً شديداً بيان لذلك الضرب كيف هو وما صفته، والتأديب علة له وبيان أنه كان الغرض منه، وإذا كان ذلك كذلك بان منه، وثبت أن المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد لا عدة معان، وهو اثباتك زيدا فاعلاً ضرباً لعمر في وقت كذا وعلى صفة كذا ولغرض كذا، ولهذا المعنى نقول: أنه كلام واحد^(١).

فكل كلمة في الجملة ترتبط بالبوّرة فيها والتي هي الفعل مع فاعله بسبب وعلاقة معينة، وإذا يتحقق النظم في الجملة «ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض^(٢)»، «فلا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض ويجعل هذا بسبب من ذلك^(٣)» ويتحقق القياس اللغوي على ما قالته العرب ووصفه نحاة العربية القدماء في الجانب الوصفي من جهودهم التحوي العملاق، ولعل هذا هو ما قصده المخرجاني بقوله: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوائمه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيج عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها^(٤)»، وتعطي لكل كلمة حركتها التي وضمت لها بعد أن تضمنها الوضع الذي يجسد المعنى الذي في نفسك... «وانك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ...» وان العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق^(٥)، أو كما يقول علي بن محمد المخرجاني في تعريفاته معرفاً النحو

(١) دلائل الإعجاز: شرح خفاجي ص ٣٧٦.

(٢) دلائل الإعجاز شرح عبد النعم خفاجي - مكتبة القاهرة ١٩٦٩ م، ص ٤٤.

(٣) السابق: ص ٩٧.

(٤) السابق: ص ١١٧.

(٥) دلائل الإعجاز ص ٩٣.

او النظم بأنه «تأليف الكلمات والمجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل»^(١)، فقد يحصل تقدم او تأخير في مورفيات الجملة فتصبح-

علي اكرم خالداً اكراماً جيداً عصر الجمعة احتراماً له، او يتقدم فيها المفعول على الفعل والفاعل فتصبح:
خالداً اكرم على.....

او يتقدم الظرف على الفعل والفاعل والمفعول به متصديراً الجملة، وفي الحالات كلها تبقى الجملة جملة تحويلية فعلية قدم فيها الفاعل او المفعول او الظرف لفرض في المعنى، ويبقى ارتباط هذه المورفيات، تقدمت او تأخرت، باليؤرة هو ارتباطها السابق، وتبقى حركتها هي حركتها التي كانت لها اول مرة. فهي جملة تحويلية او مُنتجة من الجملة التوليدية اكرم علي خالداً (VSO).

وهناك عناصر تدخل على الجملة التوليدية الفعلية واخر تدخل على الجملة التوليدية الاسمية، فتؤدي معنى جديداً يضاف اليها، فتتحول الجملة الى تحويلية اسمية او فعلية، ويقتضي هذا العنصر الجديد حركة في المبتدأ او في الخبر او في الفعل، ولا يكون لهذه الحركة دور في المعنى وانما هي حركة اقتضاء ليس غير وانما الدور للعنصر ذاته، فنقول (في كان واخواتها وان واخواتها وفي قسم من افعال الشروع والرجعان والمقاربة): (أ) علي مجتهد، واذا ما دخلت عليها كان أو احدى اخواتها ومن عناصر زمن لا غير، ولذا فان ايّاً منهن حينما تشير الى حدث مع ما فيها من اشارة الى الزمن تنتهي علاقتها بهذا الباب وتصبح فعلاً تاماً محتاج الى ما يحتاج اليه الفعل التام، فانها تصبح مثلاً:

(١) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، ١٩٣٨، ص ٢١٦.

(ب) كان، أصبح، امسى، ما زال، علي مجتهداً، او
(ج) ان ليت، لعل، علياً مجتهداً،

فكلمة (علي) في (أ، ب، ج) هي المبتدأ ولكنها في (أ) اخذت
الضمة على الاصل في القياس اللغوي، وفي (ب) ظلت على ما هي عليه
واخذ الخبر (مجتهداً) الفتحة اقتضاء لكان.... وفي (ج) اخذ المبتدأ
الفتحة اقتضاء لان... واما الخبر فهو على ما هو عليه، وهذا بذكرنا بما
نقوله فته من النحاة في توضيحهم عمل كان واخواتها وعمل ان
واخواتها بان الاولى تدخل على الجملة الاسمية فتتصب الخبر ويسمى
خبرها ويبقى المبتدأ مرفوعاً ويسمى اسمها، واما الثانية فتتصب المبتدأ
ويسمى اسمها ويبقى الخبر مرفوعاً ويسمى خبرها^(١). فيكون تحليل
الجملة (ب) كما يلي:

كان: عنصر الاشارة إلى الزمن الماضي.

علي: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه.... (او مسند اليه مرفوع....)
مجتهداً: خبر اخذ الفتحة اقتضاء لكان، (او مسند اخذ
الفتحة....)، (قياساً على ما جاء عن العرب) ويكون تحليلها من حيث
المعنى كما يلي:

عنصر زمن ماض (مسند اليه مسند)

= جملة تحويلية اسمية تحولت في معناها الى الزمن.... ويكون
الترابط بين كلماتها كما يلي (يشير رأس السهم الى مركز الارتباط).



اما الجملة (ج) فتحليلها كما يلي:

(١) انظر السيوطي، المع ١/١١١.

ان: عنصر توكيد.

علياً: مبتدأ اخذ الفتحة اقتضاء لأن (مسند اليه اخذ...)

مجتهد: خبر مرفوع وعلامة رفعه... (مسند مرفوع....)

ويكون تحليل معناها كما يلي^(١):

عنصر توكيد (ونرمز له بالرمز: N°)

N° (مسند اليه + مسند)

= جملة مؤكدة بكاملها يؤكد واحد وهي جملة تحويلية اسمية. ويكون

الترابط فيها كما يلي:



وقد يضاف اليها عنصر آخر فتصبح (د) ان علماً لمجتهد، ويكون

اعرابها كالسابقة مع الاشارة الى ان اللام في المجتهد هي عنصر توكيد

تؤكد الجزء الذي تلتصق به، وهذا هو رأي اهل الكوفة الذين يرون

ان اللام عندما تدخل في خبر ان كما في قوله تعالى: ﴿أنا لقادرون على

ان نبدل أمثالكم﴾ وفي غيرها تكون لام توكيد تؤكد الخبر وحده و(أنَّ

تؤكد الاسم^(٢)، ولكننا نقول: إن (ان) تؤكد الجملة التي يرتبط فيها

الخبر بالبؤرة التي هي المبتدأ، وتؤكد اللام الخبر وحده، فيكون تحليلها

كما يلي:

√ (مسند اليه + √ (مسند)^(٣)

= جملة تحويلية اسمية مؤكدة يؤكد واحد، والخبر فيها (المسند) مؤكد

بمؤكدتين.

(١) انظر: خليل عابره، رأي في بعض اقاط التركيب الجمل في اللغة العربية في ضوء

علم اللغة المعاصر المجلد العربة للعلوم الانسانية الكويت عدد ٨.

(٢) انظر المسع ٤٠/١، الامات للرجائي: ص ٦٠.

(٣) √ تعني عنصر توكيد.

اما الجملة (ب) فانها قد تصبح: ليس علي بمجتهد، فيكون اعرابها كما يلي:

ليس: عنصر نفي

علي: مبتدأ (او مسند اليه) مرفوع وعلامة رفعه...

الباء: حرف توكيد.

مجتهد: مسند (خبر) اخذ الكسرة اقتضاء للباء

وليست هناك حاجة، بل ولا مبرر للقول بان الباء حرف جر زائد، ومجتهد مجرور لفظاً منصوب محلاً، وما دفع النحاة الى مثل هذا القول الا مطاردتهم بشغف لما يسمى تبرير الحركة الاعرابية بعمل عامل وان لكل عامل عملاً ان لم تظهر حركته قدرت، وان لم تقتضها البنية الشكلية او يقتضياها المعنى. وتحليل معناها كما يلي:

عنصر نفي (مسند اليه + لا (مسنداً))

= جملة تحويلية اسمية منفية، المسند فيها مؤكد في النفي.

ويكون ارتباط الكلمات فيها كما يلي:



وقد يحصل اجتماع عنصري تحويل او اكثر في جملة واحدة، يؤدي كل منها دوره في المعنى فنقول مثلاً.

(أ) علي كان مجتهداً.

(ب) علي كان هو مجتهداً،

(ج) علي ليس بمجتهد،

فالجملة (أ) قد جرى فيها تحويل بعد الزيادة فاصبحت كما يلي:

علي: مبتدأ تقدم للتخصيص او للتحديد أي ان من قد عُصَّ بالكلام

هو علي وليس غيره، وكان: عنصر اشارة الى الزمن الماضي.

ومجتهداً: خبر اخذ الفتحة اقتضاء لكان...

أما الجملة (ب) فقد ظهر فيها الضمير (هو) العائد على (علي) وهو (علي) في حقيقة الأمر، فالجملة في أصلها: علي مجتهد، ثم أراد المتكلم أن يؤكد (علي) فقال:

علي علي مجتهد، ثم أراد أن يدخل عنصر الإشارة إلى الزمن الماضي فأصبحت: كان علي علي مجتهداً، ثم أراد مزيداً من التوكيد لـ (علي) فقدمه فأصبحت: علي كان علي مجتهداً، ونحن نعلم أن العربية تفضل في مثل هذا التركيب استبدال الضمير بالاسم فتصبح الجملة:

علي كان هو مجتهداً.

فالضمير (هو) توكيد لـ علي كما أن (علي) الثانية هي توكيد لـ علي الأولى في التحويل السابق عليها (علي علي مجتهد)، وهذا يتفق مع ما يذهب إليه أهل البصرة في جواز تقديم خبر كان وأخواتها عليها، وفي جواز تقديم خبر كان على اسمها، وهو الأمر الذي يرفضه أهل الكوفة لأنهم يرون في خبرها ضميراً يعود على اسمها فلا يتقدم عليه^(١)، وهذا ما رده أبو حيان في تعليقه على الآية: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) قائلاً: «ان الله قدّم (حقاً) وهي خبر كان مبالغة في التحتم وتبشيراً للرسول وأمه، ولأن الخبر هو محط الاهتمام والفائدة»^(٣)، وينطبق هذا التحليل على الجملة (جـ) مع ملاحظة ما في ليس من نفي وما في الباء من توكيد النفي في المسند.

وقد تأتي الزيادة في الجملة التحويلية الاسمية بإضافة عنصري توكيد في صدرها:

والله ان علياً مجتهد.

(١) الجمع: ١١٧/١.

(٢) الردم: ٤٧.

(٣) البحر المحيط: ١٧٨/٧.

فتكون مراحل التحويل التي قد مرت بها الجملة كما يلي:

١ - مسند اليه + مسند = جملة توليدية اسمية.

٢ - $\sqrt{\text{ (مسند اليه + مسند) }}$ = جملة تحويلية اسمية مؤكدة بمؤكد واحد.

٣ - $\sqrt{\text{ (مسند اليه + مسند) }}$ = جملة تحويلية اسمية مؤكدة والمسند فيها مؤكد بمؤكدين.

٤ - $\sqrt{\sqrt{\text{ (مسند اليه + مسند) }}} =$ جملة مؤكدة بمؤكدين والمسند فيها مؤكد بثلاثة مؤكّدات.

وأما قول النحاة بأن: والله، جملة قسم مكونة من مبتدأ مجرور لفظاً مرفوع محلاً (الله) وخبر محذوف تقديره قسمي، فقول تنقصه الدقة من جوانب منها: ان كلمة (الله) مجرورة لوقوعها بعد الواو، ولم ينص احد من النحاة على ان الواو يمكن ان تدرج في باب حروف الجر، ولكنهم لحاجتهم لجعل هذا اللفظ جملة تامة، اسمية في تركيبها، فقد كان عليهم ان يجعلوا هذه الكلمة موضع نزاع بين اللفظ (بالكسرة) وما يجب ان تأخذه الكلمة في صدر الجملة الاسمية (المبتدأ) فقالوا: مجرور مرفوع، او في محل.... ومنها أيضاً انك لو سلمت جدلاً بأن (والله) جملة، فانها لا تعطي معنى يحسن السكوت عليه^(١)، ويقول ابن جني: «... وكذلك لو قلت في حكاية القسم: حلفت بالله، اي كان قسمي هذا لكان كلاماً (والكلام عنده رديف للجملة) لكونه مستقلاً، ولو اردت به صريح القسم لكان قولاً من حيث كان ناقصاً لاحتياجه الى جوابه^(٢)»، يقول: لاحتياجه الى جوابه وليس الى جملة، جوابه، ونرى

(١) وانظر سيبويه: ٧/١، الخصائص: ٣٢/١، شرح الفصل ١٨/١ - ٢٠.

(٢) الخصائص: ١٩/١.

ان السيوطي قد ادرك التعارض بين تعريف الجملة وشرطها الاول في افادة معنى يحسن السكوت عليه، وكون ما يسمى في عرف النحاة جملة.. جواب... فنص على ما بينها من تباين: «واما اطلاق الجملة على ما ذكر من الواقعة شرطاً او جواباً او صلة، فاطلاق مجازي^(١)». فما يسميه النحاة جملة قسم هو في حقيقة امره عنصر تحويل يفيد التوكيد، بل ويفيد درجة عالية من درجات التوكيد، ولا يكون الا لتوكيد حقيقة يحتاج السامع ادراكها فيؤكد بها المتكلم: «والعصر ان الانسان لفي خسر...» فالقسم هنا يؤكد الجملة الاصل التي هي: الانسان في خسر، بعد ان دخلها عنصر من عناصر التحويل للتوكيد (ان) مؤكداً الجملة كاملة، وعنصر التوكيد (اللهم) لتوكيد الخبر فاصبحت الجملة مؤكدة بمؤكدتين والخبر فيها مؤكد بثلاثة مؤكدات. وما الكسرة على كلمة (الله) المقسم به الا حركة اقتضاء للواو في معنى القسم وليس عملاً لها او بتأثير منها، لأن الذي يفيد القسم هو الحرف (الواو) مع المقسم به.

والعصر ان الانسان لفي خسر
 ل ل ل ل ل

وقد يأتي في صدر الجملة التوليدية الاسمية اداة تفيد التوكيد بدرجة أقوى مما تفيد (أن) حتى عدّها عدد من النحاة المفسرين مفيدة لأرفع درجة من درجات التوكيد^(٢)، وهي (أنا) وليست مكونة من كافة ومكفوفة كما ألفنا هذا عند النحاة، فالمرابي كان يتكلم بما في ذهنه سليقة، دون معرفة بالعاملة او الكافة، وما كان القول بهذين المصطلحين الا لتبرير الحركة الاعرابية التي هي الضمة - هنا - على

(١) المصح: ١٣/١.

(٢) انظر: البحر المحيط...

الاسم بعد انا في: انا الرسول محمد، فقد كُفِت (انَّ) عن العمل بدخول (ما) عليها، وفي حقيقة الامر هي اداة برأسها تفيد معنى بعينه، ولا تقتضي حركة، فيبقى كل من المبتدأ والخبر على حالهما. ويكون اعرابها:

اَنا: عنصر توكيد، وَاِعراب الجملة بعدها كما هو في اعراب الجملة التوليدية الأصل، ولكن الجملة بكاملها جملة مؤكدة وهي تحويلية اسمية، وهكذا الحال فيما يسمى أخوات (انَّ) عند وجودها ادوات على غير ما هي عليه مقتضية حالة النصب في المبتدأ باستثناء (ليتا) التي جاء الاستقرار لما جاء عن العرب بحركة اقتضاء على المبتدأ وبدونها. فتكون هذه الادوات في اعرابها محقة معناها، والاعراب فرع المعنى، فهي اداة تمن او ترج او استدراك او تشبيه.

ومن الادوات التي تضاف في صدر الجملة التوليدية الاسمية والفعلية، فتتحول الى تحويلية اسمية او فعلية، ولكنها تحمل معنى غير الذي كانت تفيد قبل دخول الاداة: هل والهمزة. فنقول: هل حضر علي، فالجملة التوليدية الفعلية هي: حضر علي (VS) فدخلت عليها

(هل) لتحوّلها الى جملة تحويلية فعلية تفيد الاستفهام ولترتبط تركيباً بما يرتبط به الفاعل: هل حضر علي، وكذلك في الجملة: (أ) محمد حاضر، وفي الجملة (ب) أحاضر محمد، فإن الجملة التوليدية الاسمية هي: محمد حاضر (مسند اليه + مسند) فدخلت الهمزة في الجملة (أ) لتفيد معنى الاستفهام ولتحويل الجملة الى جملة تحويلية اسمية، اما في الثانية (ب) فهي جملة تحويلية اسمية مكونة من (مسند + مسند اليه)، اي ان عنصر الترتيب قد حولها الى جملة تحويلية قدم فيها المسند للعناية والاهتمام، ثم دخلت الهمزة لتبقي الاهتمام بالمسند على ما هو عليه ولكنها لتفيد الاستفهام، وأنَّ من له حس لغوي لا يفوته الفرق بين الجملتين (أ)

وب)، وما القول: بفاعل مدّ مدّ الخير في الجملة (ب) إلا من تقاطع الخلط والاضراب بين الحكم بالاسمية والفعلية، فالاسناد قائم بين: حاضر ومحمد، في الجملة (ب) تماماً كما هو في الجملة (أ) ولكن النحاة يرون الشبه بين (حاضر)، اسم الفاعل، والفعل (حضر) وبينها وبين الاسم في قبولها خصائص الاسم ولجئتها على وزن الاسم، فجمعوا في حكمهم بين حكم الاسم الواقع في هذا الموقع (في صدر الجملة) فهو مبتدأ، وحكم الفعل الواقع في هذا الموقع فكانت حاجته إلى فاعل تقتضي أن تُمدّ كلمة (محمد) هي الفاعل فاخذ البابان (المبتدأ والفعل) يتنازعان كلمة (محمد) فكانت (فاعل مدّ مدّ الخير). وما هو جدير بالملاحظة أن ما يسمى اسماء الاستفهام إذا تصدرت الجملة التي تضم فعلاً، أي إذا دخلت على الجملة التوليدية الفعلية فهي أدوات ليس غير، هدفها تحويل معنى الجملة ولا أثر لها في التركيب في غير المعنى: كيف يحضر علي؟، متى يحضر علي؟... الخ، على غير ما الأمر عليه في الجملة الاسمية التي يكون اسم الاستفهام ركناً رئيساً من أركانها، فالجملة بدونها ناقصة، وليست جملة، إذ أن الجملة هي الحد الأدنى من الكلمات تحمل معنى يحسن السكوت عليه، فتأتي الزيادة لزيادة في المعنى بعد أن يكتمل إطار الجملة، يقول الجرجاني: «... لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك...» وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعتمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً، أو تعتمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خيراً عن الآخر، أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيداً له أو بدلاً منه، أو تجهيئ باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفة أو حالاً أو تمييزاً، أن تتوخى من كلام هو هو لاثبات معنى أن يصير نفياً أو استفهاماً أو تمنياً، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك...^(١)»

(١) دلائل الإعجاز - ص ١٠٢.

فالجمل: أين علي؟ كيف حالك؟ متى سفرك؟.... الخ هي جمل توليدية اسمية جاءت طبقاً لاطار من أطر الجملة التوليدية الاسمية، عبّر عنه النحاة بوجوب تقديم اسم الاستفهام، أما المبتدأ فهو في الجمل الثلاث، علي، حالك، سفرك، وهي كما ترى أسماء معرفة، فهي المبتدأ وأن تأخرت، وتلك: أين، كيف، متى،... الخ هي الخبر، ولم تأخذ حركة الخبر لأنها قد أخذت حركتها الأصل في لسان العرب، وليست هناك حاجة للقول بأنها مبنية في محل.... بل ومن فضول القول أن يقال بهذا على التأويل أو المحل أو التقدير.

ومن الادوات التي تضاف الى الجملة التوليدية الاسمية ما يسميه نحاة البصرة افعال المدح والذم (نعم وبئس وحبذا)، ولنا بصدد الحديث عن اسمية او فعلية هذه الكلمات، ولا بصدد القول بوجاهة هذا الرأي او ذاك، فهذا موضوع قد تحدث فيه كثير من الباحثين من القدماء ومن المحدثين، في كتب او رسائل جامعية او في فصول من كتب او في مقالات او اجاث قصيرة، ويكفي ان ننظر في كتاب الانصاف في مسائل الخلاف^(٥)، لنرى قرع الحجة بالحجة يدعم كل فريق وجهة نظره بحجج منطقية فلسفية يخرج منها بحكم قد اتخذ مسبقاً بالفعلية او الاسمية، والفريقان يدركان انه لا تنطبق عليها شروط الاسمية ولا شروط الفعلية، لا فيا وضعه ميبويه^(٦) من ان الفعل ما يشير الى حدث وزمن، والاسم ما يشير الى مسمى، ولا فيا وضعه ابن مالك بقوله^(٧):

بالجر والتنوين والنسب وأل مسند للاسم تميز حصل.

(٥) الانصاف للسائل رقم: ١٤.

(٦) الكتاب - بولاق ١ - ٢.

(٧) شرح التصريح على التوضيح - الازهرى ص ٢٩. وما بعدها.

بتاء قطعت وابتدأ وياض افعللي ونون اقبلن فعمل ينجنسلي.
ولا فيا يراء بعض المحدثين، نقلاً عن بعض القدماء، من ضرورة
الاسناد بين ما هو مبتدأ او في حكمه وخبره، وبين ما هو فعل او في
حكمه وفاعله^(١)، فهذا الصراع والجهد الطويل بين العلماء قائم على
احساسهم بضرورة تصنيف هذه الكلمات في الاسمية أو الفعلية اعتياداً
على عناصر شكلية هشة يلتصقون بها في مبادي الكلمات مع اغفال تام لمعناها
في تراكيبها، فالجمل:

أ/١) نعم القائد خالد

ب) خالد نعم القائد

ج) خالد نعم هو

أ/٢) حيذا القائد خالد

ب) خالد حيذا القائد

أ/٣) بشي المقر النار

ب) النار بشي المقر

(أ/١، أ/٢، أ/٣) هي جل تحويلية اسمية، اصلها التوليدي:

أ/١ - خالد قائد

أ/٢ - خالد قائد

أ/٣ - النار مقر

وهي جل اسمية جاء فيها كل من المبتدأ والخبر طبقاً لآطار من
أطر الجملة التوليدية الاسمية، ولكن دخلها عنصر من عناصر التحويل
لفرض في المعنى:

أ/١: خالد القائد

أ/٢: خالد القائد

أ/٣: النار المقر

(١) وانظر مهدي الخزومي: في النحو العربي ص ١٥ وما بعدها.

وذلك لتفيد في (أ/١، أ/٢) معنى التخصيص الذي فيه التعظيم أو التمجيل أو الثناء أو.... المدح، فكانما أراد التكلم ان يخص المتحدث عنه بمعنى خاص وبمرتبة خاصة في القيادة، فقال: خالد القائد وليس غيره مثله نجاحاً أو الهاماً أو مقدرة في القيادة:

خالد + ال + قائد = خالد القائد

فكان دور عنصر التحويل الذي هو دخول (ال) هو دور التخصيص للتعظيم، فتحوّلت الجملة من اطارها الاصل:

اسم معرفة + اسم نكرة

= مسند اليه (مبتدأ) + مسند (خير)

فكلمة القائد في هذا السياق هي موضع التركيز لإبراز ما فيها من معنى، فجرى عليها تحويل آخر بالترتيب (التقديم والتأخير)، .. وانك اذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج الى ان تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ،....، وان العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق^(١)، فقدم التكلم موضع الاهتمام والتركيز:

ال قائد خالد
↑ ↑

ولما أراد التكلم مزيداً من المدح والثناء أو التعظيم والاشادة بالتحدث عنه في موضوع معين، هو القيادة في هذين المثالين، فقد ادخل عنصراً جديداً من عناصر التحويل وهو الاداة التي تفيد ذلك وهي (نعم) بكسر وسكون أو حبذا، فليست الاولى مسأخوذة من (نعم) بفتح وكسر، ولا لقات فيها تصل الى تان كما يرى ابن جني وابن

(١) دلائل الاعجاز ص ٩٢.

عصفور وغيرها، ولا الثانية مكونة من حب التي هي فعل ماضي وفاعل الذي هو (ذا) فتصبح الكلمة بكاملها فعلاً لقوة الفعل أو اسماً لتعرف الاسمية^(١) فكل منها كلمة قائمة بذاتها لها دورها في المعنى ولا اثر لها في المبني، وهي عنصر تحويل بالزيادة ويكون ترابط كلمات الجملة كما يلي:



فالجملة جملة تحويلية اسمية دخلها ثلاثة عناصر تحويل: الترتيب + نعم + ال، وهكذا الحال في: بشى



فاصلها: النار مقر، ثم اضيفت اليها (ال) للتحويل ثم تقدم الخبر على المبتدأ للعناية والاهتمام، ثم دخلتها (بشى) التي هي اداة تفيد الذم أو المبالغة فيه وابرز هذا المعنى الذي انتقلت اليه الجملة في معناها وليس في مبناها وتسميتها، وليست هي اداة مأخوذة من (بشى) بفتح وكسر.

اما في الجمل (١/ب، ٢/ب، ٣/ب) فقد جرى تحويل باضافة (ال)

(١) انظر الانصاف مسألة ١٤.

التي تفيد التعظيم - كما ذكرنا سابقاً - ثم دخلت: نعم وحيداً وبش
لتلتصق بالخبر الذي هو موضوع التعظيم أو التهويل فتبقى كلمة: خالد
في الأولى والثانية، والثالث في الثالثة هي المبتدأ أو المسند اليه، وكلمة
القائد هي الخبر أو المسند، والمقر كذلك في الثالثة. فهي جملة تحويلية
اسمية كان التحويل فيها بالزيادة. أما الجملة (١/ج) فهي جملة تحويلية
اسمية كان التحويل فيها كما يلي:

خالد خالد،

وفي هذه الجملة معنى يحسن السكوت عليه وفيه شيء خفي من
التعظيم والاشادة، ثم دخل الجملة عنصر تحويل يفيد معنى التعظيم
وينص عليه بجلاء وهو (نعم) التي هي أداة براسها وليست مأخوذة أو
مشتقة من غيرها. فأصبحت الجملة:

خالد نعم خالد.

ومعلوم بدهي ان العربية تميز استبدال الضمير بالاسم فيعود
المضمر على الظاهر:



أما عناصر الزيادة التي تدخل على الجملة التوليدية الفعلية، فمنها
ما يقتضي حركة بيمينها ومنها ما لا يقتضي، وهي كلها تفيد معنى،
وتنقل الجملة من توليدية فعلية الى تحويلية فعلية، فنقول:
«قد أفلح المؤمنون» أصلها: أفلح المؤمنون، ثم دخلت (قد) لتفيد
التحقيق والتوكيد، فالجملة:

✓ (فعل + فاعل) = جملة تحويلية مؤكدة يؤكد واحد.
✓ (V + S)



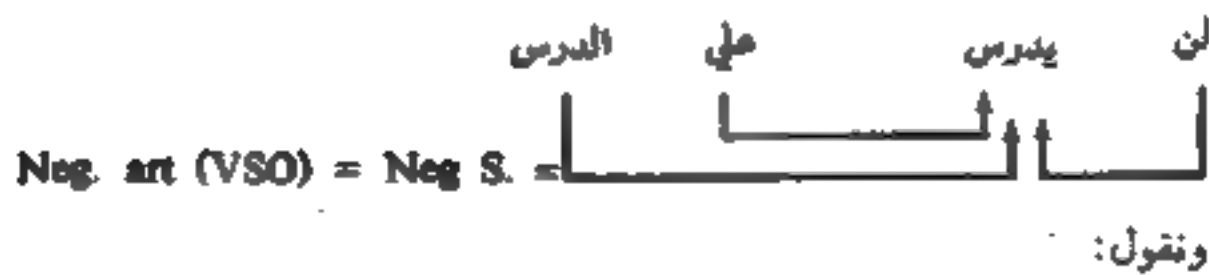
ونقول: قد ينجح القاسق، فهي جملة تحويلية فعلية جاء عنصر التحويل (قد) ليفيد التقليل والتشكيك.

ومن عناصر التحويل التي تقتضي تغييراً في الحركة الاعرابية وان لم يكن لهذه الحركة دور في المعنى الا في قليل من الحالات (مع لا التي للنهي وتقتضي السكون، فتكون السكون قيمة خلافية ولها دور في المعنى) وتبحث في بند الحركة الاعرابية عنصر من عناصر التحويل).

نقول: يدرس علي^١ الدرس = جملة توليدية فعلية (VSO)
 لن يدرس علي^٢ الدرس = جملة تحويلية فعلية وتحليلها كما يلي:
 لن: عنصر نفي المستقبل (يجوز الفعل المضارع الى منفي ويجعله يشير الى المستقبل).

يدرس: فعل مضارع منفي أخذ الفتحة اقتضاءً لـ (لن).
 علي: فاعل (مسند اليه) مرفوع وعلامة رفعه....
 الدرس: مفعول به....

ويكون ترابط المورفيات في الجملة كما يلي:



لم يدرس علي^٣ الدرس،

فدخول (لم) التي هي عنصر تحويل نقل معنى الفعل المضارع الى

معنى الماضي واقتضى حركة اعرابية غير الضمة التي على الفعل وهي السكون قياساً على ما جاء عن الناطقين باللغة سليقة وليس بأثر من (لم) أو بعمل منها، ويكون تحليلها.

لم: عنصر نفي وتحويل (بحول الفعل المضارع الى معنى الماضي المنفي).

يدرس: فعل مضارع منفي محول الى معنى الماضي، أخذ السكون اقتضاءً لـ (لم).

علي: فاعل....

الدرس: مفعول به.....

وهكذا الحال مع بقية الأدوات، التي تقتضي حركة والتي لا تقتضي، وكلها تكون لمعنى.

ومن عناصر التحويل، أو الأدوات، التي تدخل على الجملة التوليدية الفعلية، فتقتضي تغييراً في ترتيبها لتفيد معنى بعينه بالإضافة الى المعنى الذي يفيد الترتيب، هذه العناصر أو الأدوات المسماة كاد وأخواتها (أفعال المقاربة والرجاء والشروع، وقد اجاد نحاة العربية القدماء عندما وضعوا هذه الأدوات في باب مستقل عن باب كان وأخواتها مع أنهم في اعرابهم يعربونها اعراباً يماثل اعرابهم الجملة الاسمية التي خبرها جملة فعلية اذا ما دخلت عليها كان أو احدى اخواتها. وهي حقاً تماثلها في هذه الحالة، نقول:

أ - كاد علي بنجح، «يكاد زينها يضيء»، كاد علي أن بنجح.

ب - أوشك المطر أن ينهر، ينهر.

ج - كرب القلب ينوب.

د - «عسى ربكم أن يرحمكم».

هـ - أخذ البرد يشتد.

و - جعل الرجل يرسل رسولاً.

فهذه جمل تحويلية فعلية، التوليدية منها كما يلي: ينجح علي، ينهمر المطر، يذوب القلب، يرحمكم ربكم، يشتد البرد، يرسل الرجل رسولاً ولكن المتكلم أراد أن يعبر بالجملة (أ، ب، ج) عن معنى المقاربة، أي مقاربة وقوع الحدث الذي هو الفعل (ينجح، أو ينهمر، أو يذوب) فاستعمل الاداة التي تفيد ذلك صلاً على أن الحدث لم يحدث ولكنه وصل الى مرحلة قريبة جداً من الوقوع، الوقوع من هو مذكور بعد الاداة بعينه وليس من غيره ففي الجملة (أ) مثلاً، يتحدث المتكلم عن اقتراب علي وليس غيره من النجاح ولكنه لم ينجح، فيكون تحليل الجملة:

كاد: عنصر تحويل يفيد اقتراب وقوع الحدث.

علي: فاعل مقدم للعناية والإهتمام.

ينجح: فعل مضارع....

اذ لا فائدة في القول بأن (علي) اسم كاد التي هي فعل صلتة بالفعلية ليست قائمة فتتقصه إحدى الركيزتين الرئيسيتين اللتين يقوم عليهما الفعل وهي (الحدث) وليست أدري ان كانت الركيزة الثانية (الزمن) واضحة ام أن الكلمة تفتقر اليها أيضاً، ولا فائدة في البحث لكلمة (ينجح) عن فاعل مستقر تقديره (هو) يعود علي (علي)، فترابط الكلمات في الجملة:



أما الجملة (د) فاصلها: يرحم ربكم اياكم، فانتقل ضمير النصب المنفصل ليصبح ضميراً متصلاً تقدم علي فاعله، ثم تقدم الفاعل علي

الفعل للعناية والاهتمام وليبيان أنه هو المختص بمرحمتكم وليس غيره،
فأصبحت الجملة:

ربكم يرحمكم

ولكن هذه الجملة تحمل معنى الاختيار الذي فيه درجة من التوكيد
بتقديم الفاعل على الفعل عناية به واهتماماً بتقديمه، فان اراد المتكلم أن
يعبر عن معنى الرجاء بالرحمة من الفاعل المقدم للمفعول الذي جاء في
موقعه ترتيباً ولكنه أخذ صورة غير صورة الضمير المنفصل - كما
ذكرنا - والعربية تحبذ مثل هذا الاستبدال، فيكون تحليل الجملة
واحرابها كما يلي:

عسى: عنصر تحويل يفيد الرجاء.

ربكم: فاعل مقدم للعناية والاهتمام (لا تتعرض للضمير المضاف اليه
هنا، فهو مع المضاف كالكلمة الواحدة حكمها واحد محققاً
بذلك ظاهرة التلازم التي سنعرضها بالتفصيل في مكانها).
ان: رابط جاء إقتضاء لعسى.

يرحمكم: فعل مضارع اخذ الفتحة إقتضاء لـ (ان).... ومفعول
به.....

ويكون ترابط الكلمات في الجملة كما يلي:



في الجملة (هـ) وردت (أخذ) تشير الى زمن ولا تشير الى حدث، ولما
كان الفعل يركز على ركنين رئيسين يُعَدُّ فعلاً تاماً يأخذ فاعله أو
فاعله ومفعوله، هما الزمن والحدث، ولما كان ما يسمى بالفعل الناقص
عندما يشير الى حدث بالإضافة الى اشارته الى زمن، و(أخذ) في هذا

المثال (هـ) يختلف عن (أخذ) في: أخذ علي القلم... التي يتجسد فيها الركنان الزمن والمحدث ولا يكتمل معناها الا بذكر الفاعل والمفعول به، لتكون جملة مكونة من الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكون عليه، وتنظم فيها الكلمات طبقاً لإطار من أطر الجملة التوليدية الفعلية، فان (أخذ) في المثال (هـ) ليست بفعل ولا علاقة لها بالفعلية، وهي عنصر تحويل يفيد الإشارة الى زمن ليس غير، فالجملة في أصلها كما يلي:

يشتد البرد (VS) = جملة توليدية فعلية.

ولما أراد المتكلم أن يخص البرد بعناية واهتمام قدمه، والعرب إن أرادت العناية بشيء قدمته، فأصبح فاعلاً مقدماً للعناية والاهتمام، وأصبحت الجملة جملة تحويلية تم فيها التحويل بالترتيب: البرد يشتد، ولكن ليس هذا هو المعنى الذي يريده المتكلم فيتوقف عنده، بل يريد أن يشير الى زمن احساسه بالبرد يشتد، فأدخل عنصر تحويل جديداً (تحويل بالزيادة) لتصبح الجملة: أخذ البرد يشتد. (فأخذ) تشير الى الزمن لا غير، و (البرد) بتقديمها تلفت الانتباه الى ما أخذ يشتد، فهو البرد ليس غير، و (يشتد) هي المحدث الذي ترتبط به الكلمتان في الجملة:



أما الجملة (و) فان أصلها: يرسل رجل رسولاً، ولما كانت كلمة (رجل) نكرة مبهمه الإشارة لا ترتبط بانسان بعينه، والمتحدث يتحدث الى سامع قد سبق له الحديث اليه عن ذاك الرجل، فقد أدخل (ال) العهدية التي تشير الى رجل بعينه عند السامع الذي له عهد بالحديث مع المتكلم فهو عنده معرفة وان كان عند غيره ممن لا عهد له بهذا الحديث نكرة مبهمه وان كانت ال التعريف في أوله، فأصبحت الجملة: يرسل

ال رجل رسولا (VSO) وللناية والاهتمام قدّم المتكلم الفاعل الذي هو جوهر الموضوع ولب الحديث في هذه الجملة فأصبحت جملة تحويلية فعلية ثم فيها التحويل بالترتيب:

الرجل يرسل رسولا (SVO)

ثم دخل الجملة عنصر تحويل جديد يشير الى زمن ولا يشير الى حدث، (جعل) وكل زيادة في البنى تعطي زيادة في المعنى، فأصبحت الجملة:



وهكذا الحال في بقية ما يسمى بأفعال المقاربة والرجاء والشروع، يأتي كل منها عنصر تحويل بالإضافة، ليفيد معنى جديداً يحول الجملة اليه، فتصبح الجملة تحويلية وتحمل الاسم (فعلية) الذي كان لها قبل التحويل.

أما ما يسمى جملة الشرط، ويرى النحاة بأنها مكونة من جملتين تسمى إحداها جملة فعل الشرط، وتسمى الثانية جملة جواب الشرط، فإتينا نرى أن الذي دفع النحاة الى هذا القول هو أنهم يرون أنه حيثما كان فعل، وجب أن تكون هناك جملة، فالقائل: أن تدرس تنجح، يرى النحاة أنه قد وضع جملة مركبة من جملتين (إحداها: (تدرس) مع فاعلها المستتر والذي تقديره (أنت)، والثانية: (تنجح) وفاعلها مستتر تقديره (أنت)، بل وذهب النحاة الى أبعد من ذلك، الى القول بأن أداة الشرط العاملة (إن) تعمل الجزم في الفعلين أو في الجملتين، فالأولى مجزومة على أنها فعل الشرط، والثانية مجزومة على أنها جواب الشرط، ولا ينتهون عن هذا الحكم حتى عندما تكون (الجملة الأولى) فعلاً ماضياً وتكون (الجملة الثانية) اسمية:

ان حضرت فأنا مكرمك

فالفعل (حضر) مبني على السكون لإتصاله بضمير الرفع المتحرك في محل جزم فعل الشرط!!! ولو كان بدون ضمير لبني على الفتح وهو في محل جزم!!!، والجملة (أنا مكرمك) مكونة من مبتدأ وخبر، وهي في محل جزم جواب الشرط، في محل جزم مع أنها جملة اسمية!!! والذي نراه ان جملة الشرط هي جملة غير مركبة ولكنها جملة تحويلية اسمية أو فعلية، الجملة النواة فيها هو القسم الذي يسميه النحاة جملة جواب الشرط، نقول^(١):

(أ) أن تخرج أخرج.

(ب) أن خرجت خرجت.

(ج) ان تخرج فأنا خارج.

(د) أنا خارج إن خرجت.

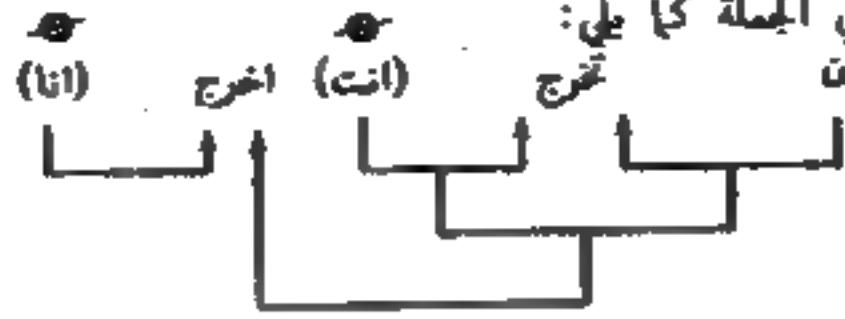
(هـ) أنا ان خرجت خارج.

(و) اذا الشمس غابت طلعت النجوم.

فالجملة النواة في الجملة (أ) هي: اخرج، مكونة من فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا، فهي جملة توليدية فعلية تفيد الاخبار، ولما لم يكن هذا هو قصد التكلم في هذا السياق، بل أراد أن يشترط لخروجه خروج السامع المخاطب فأقن بما يمر عن مراده فتحوّلت الجملة الى جملة تحويلية، ولكنها بقيت جملة فعلية، ولعل مما نود أن نلفت الانتباه اليه في هذا المقام استنتاجاً مما يقوله المبرجاني أن معنى الجملة بالفعل المضارع يختلف في درجة اليقين عنه بالفعل الماضي أو بالجملة الاسمية

(١) هذه الامثلة تأخذها من دلائل الاعجاز: ص ١١٨، وانظر اسرار البلاغة ٨٨ - ٨٩ والانصاف ٨٤، للكافية ٢٥٤/٢، المع ٦١/٢، معاني الفراء ٧٤/٢ - ٧٥.

أو بالتقديم والتأخير كما في الجمل (ب، ج، د، هـ) ويكون ترابط
الكلمات في الجملة كما يلي:



فتكون، ان: عنصر تحويل يفيد الشرط.

تخرج: فعل مضارع أخذ السكون اقتضاء لـ (ان) وفاعلها انت.
أخرج: فعل مضارع أخذ السكون اقتضاء لـ (أن) وفاعلها أنا
فالفعل (أخرج) مع فاعله (أنا) وهو الجملة النواة هو في الحقيقة فعل
الشرط يتم أن استجاب المستمع وخضع للشرط، وبهذا تكون (أن تخرج
انت) هي الجواب.

أما الجملة (ب) فإن الجملة النواة فيها هي (خرجت) وهي تماثل في
تحليلها تحليل الجملة السابقة، إلا أن المعنى فيها أرفع درجة في الاحتمال
بالخروج من الجملة الأولى وجاء عنصر التحويل (أن خرجت) فيها (ان)
التي تفيد الشرط وهي مرتبطة بالفعل خرج الذي يرتبط به الضمير
الذي يشير إلى المخاطب المستمع، ولكنها (ان) لا تقتضي هنا حركة،
فليس هناك من حاجة إلى القول: مجزوم محلاً مبني لفظاً.... فإن
الحركة لا تظهر في المبني وليس المعنى بحاجة إليها، بل ونرى أن من
الفضول القول بأن هناك حركة هي السكون مقدرة على عمل ما يسمى
بفعل الشرط وعلى عمل ما يسمى بجواب الشرط، في حين أن لا دور
للحركة على أي منها ولم ينطق بها عربي قديم لا في الشاذ ولا في غيره.

وفي الجملة (جـ) فإن الجملة النواة هي الجملة الاسمية: (أنا خارج)
وهي أقوى في احتمال الخروج الشروط من الجملتين السابقتين ثم جاء
عنصر التحويل: ان تخرج، فافتضى حركة السكون في المبني قياساً على

ما جاء عن العرب في الفعل المضارع مع (أن)، وأفاد معنى الشرط من حيث المعنى، واقتضت الجملة الاسمية: أنا خارج، رابطاً يربطها بالشرط (الفاء)، فالجملة جملة تحويلية اسمية جاء فيها التحويل لغرض في المعنى هو الشرط، وما يقوله النحاة: بأن جملة جواب الشرط المكونة من مبتدأ وخبر هي جملة اسمية في محل جزم جواب الشرط، إلا من الاسراف في الوقوع تحت تأثير العامل، وهي حقاً جملة اسمية، أخذت اسمها من مكوناتها ولأنها تمثل الحد الأدنى الذي يحمل معنى محسن السكوت عليه، وأما: أن تخرج فليست بجملة وهي كما ذكرنا عنصر تحويل ليس غير. «وأما اطلاق الجملة على ما ذكر من الواقعة شرطاً أو جواباً أو صلة فاطلاق مجازي^(١)»، وترايط الكلمات في الجملة السابقة كما يلي:

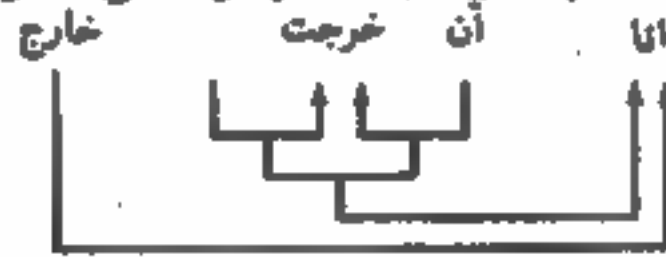


ومثلها الجملة (د) إلا أن المعنى أكثر احتمالاً في الوقوع من الجمل السابقة كلها، وذلك لأن المتكلم قدّم الجملة النواة وأخر عنصر التحويل: إن خرجت. يقول المخرجاني: لا نعلم شيئاً ينتفيه الناطم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب (من أبواب النحو) وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد،.... وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا إن خرجت خارج، وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيد مسرعاً، وجاءني يسرع، وجاءني وهو مسرع،.... فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويحيى به حيث ينبغي له، وينظر في التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلاً من ذلك في

(١) المص ١٣/١، وانظر الانصاف ٨٦، ٨٧. شرح الكافية ٢٥٥/٢ - ٢٥٦.

خاص معناه^(١).....».

أما الجملة (هـ) فإن القاريء يدرك، بلا ريب، ما فيها من تركيز على عنصرين أحدهما (أنا) وليس غيري، والثاني الشرط، الذي يود المتكلم أن يقرن خروجه هو عينه بشرط خروج السامع المخاطب، فوضع الشرط فاصلاً بين المسند والمسند اليه في الجملة التوليدية الاسمية، أنا خارج، والتي بقيت بعد تحويلها جملة اسمية ولكنها تحويلية اسمية كان التحويل فيها بإضافة عنصر الشرط في وسطها، ولا تقتضي أداة الشرط حركة في المبني، ولا أثر لهذه الحركة، وإن قدرت، في المعنى، وما الدافع إلى القول: في محل جزم، إلا القول بالعمل والعامل - كما ذكرنا سابقاً، وتترابط الكلمات في الجملة لتوصل معنى الشرط كما يلي:



وأما الجملة (و) فأداة الشرط (عنصر التحويل) هو (إذا) التي لا تقتضي حركة بمعناها في الفعل في أي زمن كان، فهي تفيد الشرط وليس لها أثر في مبني الجملة زيادة على ما تقوم به مع عناصر الزيادة الأخرى من تحويل الجملة من توليدية فعلية إلى تحويلية فعلية، وقد جرى في عناصر التحويل تحويل آخر، بالترتيب، هو تقديم فاعل الفعل (غابت)، فاصل ترتيب عناصر التحويل: إذا غابت الشمس، فتقدم الفاعل (الشمس) للعناية والاهتمام ولتمييزه من غيره في هذا المقام، وبذا بقيت (إذا) أداة تدخل على الفعل كما يرى الاخفش^(٢) في أحد رأيه،

(١) دلائل الاعجاز: ص ١١٨ وانظر الحماض ١٩/١، الجمع ٥٨/٢ - ٦١ معاني القراء ٧٤/٢ - ٧٥.

(٢) انظر معني اللبيب: ٥٨١/٢.

وفي الرأي الثاني^(١) يرى أنها ليست أداة مختصة فتدخل على الاسم كما تدخل على الفعل. فالجملة النواة في هذه الجملة: طلعت النجوم، ولكن ذلك مشروط بغياب الشمس ليس غير، فأصبحت: إذا غابت الشمس طلعت النجوم، وللناية والاهتمام أصبحت: إذا الشمس غابت طلعت النجوم. فالجملة تترابط كليتها كما يلي:



ولما كنا لسنا معنيين في هذا المقام بتتبع عناصر التحويل بالزيادة فإننا نكتفي بما ذكرنا للقياس عليه، وسنفرد موضعاً آخر لدراسة تطبيقية في ضوء هذا المنهج لجعل ميدانها عدداً من كتب التراث القديمة من دواوين الشعر وكتب الأمثال.

ونرى أن نبين أن الزيادة تكون في أول الجملة أو في وسطها أو في آخرها، وهذه العناصر إما أن تكون حرفاً مجيء للمعنى، وكل تحويل يكون لفرض في المعنى، أو كلمة، ويجب أن تأخذ حركة الباب الذي تشله وتنتظم في المكان الذي يريده لها المتكلم ويسمح به القياس على ما جاء عن العرب، أو فعلاً وما يقتضيه من فاعل أو فاعل ومفعول... الخ، أو شبه جملة، وقبل أن نتوقف قليلاً مع شبه الجملة وما يراد بهذا المصطلح نرى أن نشير إلى أننا نقوم بأعداد دراسة لآبواب النحو كلها على أساس المعنى نجمع فيها عناصر التحويل التي تفيد معنى معيناً بصرف النظر عن الحركات التي تقتضيها هذه العناصر في مورفيات الجملة التوليدية أو فيما تحصل به من عناصر التحويل (بالزيادة) الأخر.

(١) انظر معاني القرآن - الاختصاص: ٢٧٣/٢، وانظر مجالس ثعلب ٤١٩/٢، اللوقي في النحو الكوفي ١٢١، الجمع ٦٠/٢ - ٦١، أوضح المسالك ١٩٠/٣.

شبه الجملة (عنصر من عناصر التحويل بالزيادة).

نقصد بشبه الجملة الجار والمجرور والظرف وما يضاف اليه، سواء كان في صدر الجملة، وهذا ما دأب النحاة على تسميته بالجملة الظرفية، ذكرها المبرّد في المقتضب^(١)، والزحشري في مفصله^(٢)، وابن هشام في المنى^(٣) أو كان في وسط الجملة أو في آخرها. فقد جرى النحاة على عدّ الجار والمجرور الذي يكون دخول الجار فيه ليس كخروجه، شبه جملة، أما ما كان دخوله كخروجه فليس ذاك بشبه جملة، ومثلوا للجملة الظرفية بقولهم: اعنذك زيد، في الدار زيد، إذا قدرت زيدا فاعلاً بالظرف والجار والمجرور، لا بالاستقرار المحذوف، ولا مبتدأ مخبراً عنه بها، ومثل الزحشري بفي الدار من قولك: زيد في الدار، وهو مبني على الاستقرار المقدر فعلاً لا اسماً، وعلى أنه حذف وحده وانتقل الضمير إلى الظرف بعد أن عمل فيه^(٤)، والحديث في هذه الأمثلة يقع في قسمين، أحدهما يتعلق بتلك التي يتقدمها الظرف أو الجار والمجرور، وما أن كانا يُعدّان خبر المبتدأ أم أنها يسدان مسد الخبر، فالظرف عند البصريين بلا خلاف بينهم^(٥) ليس بالخبر على الحقيقة، وإنما الظرف معمول للخبر ونائب عنه، والتقدير «استقر أو وقع أو حدث»^(٦)، ومنهم من يرى أن المقدر اسم، فالأخبار بالظرف من قبيل المفردات، فتقديره مستقر أو كائن، ذلك لأن الأصل في الخبر أن يكون مفرداً^(٧)، وقد ترتب على هذا الخلاف خلاف آخر، أتكون

(١) المقتضب: ١٩/١.

(٢) شرح المفصل: ٨٨/١ - ٨٩.

(٣) المنى: ٣٧٦/٢.

(٤) شرح المفصل: ٩٠/١ والمنى: ٣٧٦/٢.

(٥) شرح المفصل: ٩٠/١ وانظر الانصاف، مسألة.

(٦) السابق.

(٧) السابق.

الجملة مع هذا التقدير جملة مركبة ام بسيطة؟ اي، أهي صغرى ام كبرى؟ وان كانت مركبة فهي مركبة من اسمية وفعلية، مدّ الظرف مسدّ الفعلية، او قام الظرف او الجار والمجرور مقامها لا فيها من الدلالة عليها^(١)، والذي يبدو واضحاً ان الظرف والجار والمجرور يشيران الى المعنى المراد منها بتحديد الجهة التي فيها الجثة او الحدث - كما يرى ابن يعيش - وكما يرى ابن السراج الذي ينص على انها يقفان خبراً عن المبتدأ وليس نيابة عن مفرد او جملة^(٢)، ومن الواضح كذلك ان الجملة المقدرة، «استقر او حدث او وقع» لا تعبر عن المعنى الذي يعبر عنه الظرف او الجار والمجرور، فان قلت: زيد عندك، أعندك زيد؟ زيد في الدار، أفي الدار زيد؟ فان السامع لا يحتاج ليفهم المعنى الى الفعل المقدر مع فاعله، ولا هو محتاج الى اية اضافة تضاف الى الجملة يتعلق بها الجار والمجرور او الظرف، فالمعنى واضح دونما لبس او معاناة، ولكن عند النطق بالجملة: زيد استقر (هو) أو وقع أو حدث، و، استقر أو أوقع أو أحدث زيد، فانت، ولا ريب، بحاجة الى الظرف او الجار والمجرور (عندك، او، في الدار) لتوضيح المعنى ولتصبح الجملة: زيد استقر عندك، أعندك استقر زيد؟ افي الدار استقر زيد؟ زيد استقر في الدار، ولذا فان النحاة لا وجدوه في الظرف والجار والمجرور من توصيل المعنى نصوا على عدم جواز اظهار الاستقرار للاستغناء عنه بالظرف او الجار والمجرور خلافاً لابن جني الذي يرى جواز اظهاره، وقد صرح بذلك^(٣)، والذي نراه ان الظرف او الجار والمجرور هو خبر المبتدأ، والجملة إما توليدية اسمية كما في: في الدار رجل، زيد في الدار، امام الحديقة طفل، زيد عندك. او تحويلية اسمية

(١) السابق.

(٢) انظر اصول ابن السراج ٦٨/١، شرح ابن عثيل ٢١١/١، المع ٩٩/١.

(٣) شرح الفصل: ٩٠/١.

ان تقدم الظرف او الجار والمجرور في الاطار الجملي الذي تسمح قوانين اللغة بتقديمه فيها مثل: أفي الدار رجل، عندك زيد، أفي الدار زيد... الخ. ولا يمنع من القول بهذا الا المجري وراء نظرية العامل^(١)، فالجبر مرفوع، وليس الجار والمجرور او الظرف ومضافه كذلك، فعمد قسم منهم الى القول... وهو في محل رفع خبر المبتدأ، مع ان هذه الحركة (حركة الرفع) لم تظهر في المبني ولا يحتاج اليها المعنى، وذهب قسم آخر وهم الكوفيون^(٢) مذهباً آخر في البحث عن تبرير للحركة الاعرابية على آخر الظرف بخاصة في: زيد عندك، او امامك او خلفك... فهو غير منصوب باضمار فعل او بتقديره، وانما هو منصوب على الخلاف، فانك ان قلت: زيد اخوك، فزيد هو الأخ، وكل واحد منها هو الآخر فرفعه، اما ان قلت: زيد خلفك، فان خلفك مخالف لزيد لأنه ليس اياه، فنصب بالخلاف^(٣)، وقد كفانا ابن يعيش تنفيذ هذا الرأي، فقال: «وهذا قول فاسد لأنه لو كان الخلاف يوجب النصب لانتصب الاول كما ينتصب الثاني، لأن الثاني اذا خالف الاول فقد خالف الاول الثاني، لأن الخلاف عدم المائلة، فكل واحد قد فعل بصاحبه مثل ما فعل صاحبه به، وايضاً فان من مذهبهم ان المبتدأ يرتفع بعائد يعود اليه من الظرف اذا قلت: زيد عندك، وذلك العائد مرفوع، واذا كان مرفوعاً فلا بد له من رافع، واذا كان له رافع في الظرف كان ذلك الرفع هو الناصب^(٤)»، فانت ترى ان الذي دفع النحاة الى ان يمدوا هذا النوع من الجمل (التي يتصدرها ظرف او

(١) انظر: K, AMAIREH, Various elements uncertaining meaning, in Journal of Sematic studies

(٢) الانصاف مسألة

(٣) شرح المفصل: ٩١/١.

(٤) شرح المفصل: ٩١/١.

جار ومجرور) جلاً ظرفية، وان الذي يقف وراء عدم الجهر بأن الظرف او الجار والمجرور هما الخبر (أو المسند) هو عامل شكلي يتعلق بالحركة الاعرابية، بالبحث عنها وبمحاولة ايجاد تبرير لها، وانت ترى كذلك ان القول بتقدير استقرار او استقرار عندك لا يفيد المعنى، بل ويبتعد به عما اراد له المتكلم، وينحرف به نحو ركافة التعبير وضعفه، فان من يستعمل مثل هذه الجملة لا يقصد: زيد عندك واقف او جالس^(١)، ولست ادري ما الذي يضيفه قولنا: مبني في محل رفع خبر، او، متعلق بالخبر المحذوف...، ما الذي يضيفه الى مبني الجملة او الى معناها، فزيد هو المبتدأ او المسند اليه، سواء كان الخبر ظرفاً او جاراً ومجروراً او اسماً مفرداً، وقد نطقت العرب بها جميعاً على حد سواء، فالجار والمجرور والظرف في هذه الجملة (التي يسميها النحاة الجملة الظرفية) هما ركنان رئيسان فيها وهي جملة اسمية (توليدية او تحويلية).

اما القسم الآخر، فيقودنا الى الحديث عما اصطلح النحاة العرب على تسميته «شبه جملة»، ونقصد شبه الجملة من الجار والمجرور، والظرف للزمان كان أو للمكان، وقد سميت بهذا الاسم لأنها تتألف من كلمتين او اكثر لفظاً وتقديراً، فهي مركبة كالجملة وتغني بذكرها عن ذكر الجملة فتقوم مقامها وتدل عليها - كما جاء في القسم الاول السابق -، وقد عبر النحاة عن هذه العلاقة بالتعلق فتكون الجملة التي يتعلق بها شبه الجملة - في الأمثلة السابقة هو الفعل استقرار، ويرى بعضهم أنه يتعلق بمقتّر واجب الحذف - على اختلاف بينهم^(٢) - تقديره كائن، وبذا فهو يمد مد المفرد وليس الجملة^(٣)، ومنهم - كما ذكرنا - من يرى ان شبه الجملة قسم برأسه وليس ساداً مد المفرد او

(١) السابق: ٩١/١ - ٩٢.

(٢) شرح ابن عقيل: ٢١٠/١.

(٣) السابق: ٢١٠/١ - ٢١٢.

الجملة، وهذا هو رأي ابن السراج^(١)، ويضع النحاة للجار والمجرور شروطاً يهينها ليطلق عليها «شبه جملة»، ومن أهم هذه الشروط ان يكون حرف الجر في سياقه ليس عما يمكن ان يطلق عليه حرف جر زائد دخوله كخروجه^(٢) مثل: كفى بالله شهيداً، هل من خالق غير الله، والا يكون حرف الجر من تلك التي ليست زائدة زيادة محضة، ويؤتى بها عندما يرى في العامل من الضعف ما ينزله منزلة القاصر احياناً غير القادر على العمل بغير واسطة، او ان عمله بالواسطة افضل، ﴿فعمال لما يريد﴾، ﴿مصدقاً لما معهم﴾^(٣). فترتب على هذا كله أن تكون حروف الجر مرة الصيلة في موقعها، واخرى زائدة، دخولها كخروجها من الجملة، فالجار والمجرور في الجملة: عليّ في الدار، ركن رئيس لا يمكن الاستغناء عنه، أما في الجملة: وما تسقط من ورقة....، فعرف الجر زائد دخوله كخروجه، وبذا فالجار والمجرور هنا ليسا شبه جملة، وترتب على هذا ايضاً ان يكون للجار والمجرور في الجملة الاولى محل من الاعراب، او ان يكون متعلقاً بما له محل من الاعراب، اما في الجملة الثانية فلا محل للجار والمجرور معاً من الاعراب، واما الجار فأثره واثار عمله واضح على اخر المجرور الذي يليه، ولما كان هذا المجرور يحتاج اليه عامل آخر (كفى، تسقط في الجملتين السابقتين) فان الجار زائد واثره موجود والمجرور مجرور لفظاً، مرفوع او منصوب محلاً، وذلك لأن (كفى) تحتاج الى فاعل ليكمل، وكذلك يحتاج الفعل (تسقط) الى فاعله، لأنه لا بد لكل فعل من فاعل، والفاعل يجب ان يكون مرفوعاً، والاسم هنا مجرور بمعامل آخر (حرف الجر) فعلم على الحرف بالزيادة، وأصبح

(١) اصول النحو - ابن السراج: ٦٨/١، ابن عقيل: ٢٩٩/١.

(٢) اللع في العربية: ابن جني: ص ٧٣، وانظر سر صناعة الاعراب: ١٤١/١.

(٣) ابن عقيل: ٤٤-/١.

المجرور مجروراً لفظاً مرفوعاً محلاً على أنه فاعل، ولم يعد الجاز والمجرور شبه جملة لأنه حيثث وجب أن يتعلق بالفعل أو بما يشبهه، أو بما يؤول بما يشبهه، أو بما يشير إلى معناه، أو بواحد من هذه مقتر أن لم يكن^(١). وهنا يبدو واضحاً أن الذي دفع النحاة إلى القول بحرف الجر الزائد، الذي يعرفونه: دخوله كخروجه، هو الحاجة إلى الاسم المجرور معمولاً لمعامل آخر غير حرف الجر، ولا ادل على هذا من قولهم إن الباء في إحدى صيغتي التعجب القياسي «افعل بـ» حرف جر زائد، وإن الاسم بعدها مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل لفعل التعجب، أو منصوب محلاً على أنه مفعول به للفعل ذاته بعد أن نقلته الهمزة من اللزوم إلى التعدي على مذهب الفراء^(٢) والزمخشري وابن كيسان وابن خروف، في حين أن الباء في كلتا الحالتين ركن رئيسي في التركيب لا يجوز الاستغناء عنه وليس دخوله كخروجه. والذي فراه أن كل حرف جر هو حرف جر أصيل في التركيب الذي يكون فيه، وأنه يعني معنى ولا وجود في العربية ■ يسمى بحرف الجر الزائد الذي يكون دخوله في الجملة كخروجه منها، وما كان هذا الحكم إلا تحت وطأة تأثير العامل والعمل على حساب المعنى الذي هو الهدف، في حقيقة الأمر، من إنشاء البناء الجملي الذي يضم حرف الجر ويعتمد عليه قالباً من قوالبه^(٣)، فتأخذ من حروف الجر حرف الباء - مثلاً - لبيان دوره في تغيير المعنى الذي تؤديه الجملة، يقول ابن جني: «واعلم أنهم قد سموا هذه الباء في نحو قولهم: مرتت بزيد، وظفرت بيكر، وغير ذلك بما تصل فيه الأسماء بالأفعال، مرة حرف الصاق، ومرة حرف استعانة،

(١) مفتي الليب: ٤٣٣/٢.

(٢) الانصاف، مسألة.

(٣) انظر: Khalid AMAIREH, The affective meaning of some exclamatory styles in: Arabic grammar, Al - Arabiyya, Vol 15, 1982, PP. 66 - 81

ومرة جرف اضافة....، فاما الالتصاق فتعبر قولك: امسكت زيدا، يمكن ان تكون مباشرة نفسه وقد يمكن ان تكون منعته من التصرف من غير مباشرة له، فاذا قلت: امسكت يزيد؛ فقد اعلمت انك مباشرة والصفت محل قدرك او ما اتصل بمحل قدرك به او بما اتصل به، فقد صح اذن معنى الالتصاق، واما الاستعانة، فقولك: ضربت بالسيف، وكتبت بالقلم، وبرت بالمدينة، اي استعنت بهذه الادوات على هذه الافعال. واما الاضافة، فقولك: مررت يزيد، اضفت مرورك الى زيد بالباء، وكذلك: عجبت من بكر، اضفت عجبك من بكر اليه بن^(١)، فالباء في الامثلة الواردة في هذا النص كلها متعلقة هي والاسم الذي دخلت عليه بكلمة في الجملة التي بها فيها. وهنا نعرض نقطة تساؤل: لماذا عدّ حرف الجر في الامثلة السابقة قد جاء لمعنى، فهو اصيل وليس بزائد، وهو مع مجروره شبه جملة؟ ان كان السبب هو ما يفيد من معنى (الالتصاق او الاستعانة او الاضافة او غيرها)، فلماذا هو زائد في الجمل التالية، ولا يمد مع مجروره شبه جملة، في حين انه قد جاء لمعنى تفتقر اليه الجملة في حال عدم وجوده فيها: «لست عليهم بمسيطر»، «وما له من ولد»، «وما تسقط من ورقة الا يعلمها الله» وفي: «كفى بالله شهيداً»، يقول ابن جني: «ولولا ان في الحرف اذا زيد ضرباً من التوكيد لما جازت زيادته البتة»^(٢)، ويضيف قائلاً: «فقد علمنا من هذا اننا متى رأيناهم قد زادوا الحرف فقد ارادوا غاية التوكيد»^(٣)، ونعجب هنا كيف يذهب ابن جني - رحمه الله - بمد هذا الادراك العميق لبنى الجملة ومعناها، الى القول - عند تعليقه على الآية «ألم يربكم»: «واعلم ان هذه الباء قد زيدت في اماكن، ومعنى قولي

(١) سر صناعة الاعراب: ص ١٢٩.

(٢) السابق ص ٢٧١/١.

(٣) السابق ٢٧١/١.

زِيدت، انما جيء بها تأكيداً للكلام^(١)، ثم يضيف قائلاً: ولم تحدث معنى^(٢)، اليس التوكيد معنى كما ان الالتصاق والاستعانة والاضافة معان، ولكن ابن جني مع ادراكه الدقيق لهذا الامر فقد كان الجانب الشكلي لنظرية العمل والعامل يشده الى القول بحرف الجر الزائد، وذلك ليقع الاسم بعد هذا الحرف فاعلاً او مفعولاً... الخ. والقاعدة تنص على ان شبه الجملة لا يقع موقع المسند اليه، فشغل آخر الاسم الواقع بعد حرف الجر بالكسرة، واقتضاء الموقع لياخذ حركة اخرى هي حركة الموقع. ولكننا عندما ندرس الجملة على اساس المعنى وعناصر تحقيقه، فان الجملة: «أأنت ربكم»، تكون الجملة النواة فيها: انا ربكم، ثم دخلت عليها الهمزة بعد النفي لتفيد الانكار والتوبيخ، فبقيت (انا) هي المسند اليه و(ربكم) هي المسند ودخلت الباء على المسند لتفيد التوكيد في المعنى الذي افادته الهمزة والنفي بليس وموضعه الخبر، فالجملة تحويلية اسمية. ويكون تحليلها كما يلي:

الهمزة: للانكار (عنصر تحويل).

ليس: عنصر تحويل يفيد النفي.

التاء: مسند اليه.

الباء: حرف توكيد يؤكد الخبر المنفي.

ربكم: مسند اخذ الكسرة اقتضاء للباء، وهي مضاف والضمير مضاف اليه مخصص.



(١) السابق ص ١٥٠/١.

(٢) السابق ص ١٥٠/١.

وهكذا في: «كفى بالله شهيداً».

فإن الباء حرف توكيد يقتضي حالة الجر (عنصر تحويل)، ولفظ الجلالة مؤكّد مجرر وهو فاعل الفعل كفى اخذ الكسرة اقتضاء لعنصر التحويل (الباء) ولا حاجة بالمعنى ولا بالمبنى الى الضمة التي تعطي محلاً للفاعل^(١). وكذلك في: «وما تسقط من ورقة...» فين هنا حرف توكيد يقتضي الكسرة وهو عنصر تحويل، وورقة فاعل مؤكّد اخذ الكسرة اقتضاء لمن. وهكذا في الامثلة التي يرى النحاة بان فيها حرف جر زائد.

٣ - الحذف: هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فأنك ترى به ترك الذكر افصح من الذكر، فالصمت عن الافادة ازيد للافادة، وتجدك الطف ما تكون اذا لم تنطق، واتم ما تكون ابيناً اذا لم تبين، وهذه جملة قد تنكرها حق تخبر، وتدفعها حق تنظر^(٢)، ونقصد بالحذف عنصراً من عناصر التحويل نقيضاً للزيادة عنصراً من عناصر التحويل، فكما ان الزيادة هي أية زيادة على الجملة التوليدية النواة لتحويلها الى جملة تحويلية لغرض في المعنى، فان الحذف يعني ايّ نقص في الجملة النواة التوليدية الاسمية او الفعلية، لغرض في المعنى، وتبقى الجملة تحمل معنى يحسن السكوت عليه، وتحمل اسمها الذي كان لها قبل ان يجري عليها التحويل. فان سأل احدهم قائلاً: من حضر؟ واجيب: خالد؛ فان كلمة (خالد)، في سياقها، تحمل معنى يحسن السكوت عليه، فهي جملة، ولكنها جملة قد حذف ركن من اركانها، وهو (حضر)، فهي جملة تحويلية القصد من التحويل فيها هو الانجاز،

(١) وانظر: خليل عاينة: رأي في بعض اخطاء التركيب الجملي في ضوء علم اللغة المعاصر،
المجلة العربية للعلوم الانسانية - جامعة الكويت، عدد ٨.

(٢) دلائل الاعجاز: ص ١١٢

والإيجاز تهتم به العربية وتسمى لتحقيقه، وهو عنصر من عناصر بلاغة المتكلم. فانك ترى به ترك الذكر افصح من الذكر^(١)، فهي جملة تحويلية فعلية. اما في الاجابة عن السؤال: مَنْ القادم؟ خالد، فكلمة (خالد) جملة تحمل معنى يحسن السكوت عليه، وقد حذف منها ركن رئيس من اركانها، فأصلها: علي قادم ~~علي~~ القادم ~~علي~~ القادم علي = جملة تحويلية اسمية التحويل فيها للإيجاز وبالحذف. وقد جاء التحويل بالحذف في كتب التراث وفي القرآن الكريم في كثير من المواضع: يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، لَيَقُولُنَّ: اللَّهُ...﴾ ومثلها كثير، ويقول المرحاني: «وانا اكتب لك بديناً امثلة مما عرض فيه الحذف ثم انبهك على صحة ما اشرت اليه، واقم الحجة من ذلك عليه:

اعتاد قلبك من ليل عوائده وهاج اهواءك المكنونة الطلل
ربيع قواء اذاع المصبرات به وكل حيوان سار ماؤه خضل
اراد: ذاك ربيع قواء او هو ربيع. قال ومثله قول الآخر:

هل تعرف اليوم رسم الدار والطلل كما عرفت بجفن الصيقل الخلل
دار ثوة اذ أهـلي واهلهم بالكائنية نرعى اللهو والفزلا
كأنه قال: تلك دار. قال شيخنا رحمه الله: ولم يحصل البيت الاول على ان الربيع بدل من الطلل لأن الربيع اكثر من الطلل، والشئ يبدل بما هو مثله او اكثر منه، فاما الشئ من اقل منه ففاسد لا يتصور^(٢). ويذكر المرحاني ان مثل هذا كثير في لغة العرب وهم عليه مستمرون، يحذفون المبتدأ ويحذفون الفعل، اي انهم يحذفون الاركان الرئيسة في

(١) السابق.

(٢) دلائل الاعجاز: ص ١١٢.

الجملة النواة، يقول: «وهذه طريقة مستمرة لهم اذا ذكروا الديار والنازل، وكما يضمرون المبتدأ فيرفعون، فقد يضمرون الفعل فينصبون كبيت الكتاب ايضاً:

ديار ميه اذ مي^١ تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

انشده بنصب ديار على اضرار فعل كأنه قال اذكر ديار ميه. ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستئناف^(١)...، ويعد السياق او المقام الذي تقال فيه الجملة من الأدلة التي تقوم بدور رئيس في تحديد المنصر (المورفع) المحذوف. يقول ابن هشام: «ان دليل الحذف نوعان، احدهما: غير صناعي، وينقسم الى حالي ومقالي،...، والثاني: صناعي، وهذا يختص بمعرفة النحويون، لأنه انما عرف من جهة الصناعة^(٢)»، وقد اوضح ابن جني القرينة الحالية باطالة واطناب مبيناً دورها في الدلالة على المحذوف، يقول: «... وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب، من قولهم: سير عليك ليل، وهم يريدون: ليل طويل، وكأن هذا انما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك انك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل، او نحو ذلك، وانت تحس هذا من نفسك اذا تأملت، وذلك ان تكون في مدح انسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً، فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة، وتتمكن من قطيعة اللام واطالة الصوت بها وعليها، اي: رجلاً فاضلاً كريماً، او نحو ذلك، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه انساناً! وتمكّن الصوت بانسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: انساناً سمحاً او جواداً، او نحو ذلك، وكذلك ان ذمته

(١) دلائل الاعجاز: ص ١١٣ وانظر، سيبويه، الكتاب.

(٢) مخي اللبيب: ٦٠٥/٢. وانظر فصل «النحو بين الصناعة واللمعة» في كتاب الاصول: تمام حسان.

ووصفته بالضيق قلت: سأثناء وكان انساناً، وتزوي وجهك وتقطبه،
 فيعني ذلك عن قولك: انساناً لثياً او غزراً او مبعجلاً او نحو ذلك^(١)،
 ففي هذا النص يبين ابن جني القرائن الدالة على المحذوف (في الصفة)،
 فبالإضافة الى السياق يشير الى النبر الذي هو زيادة في الضغط على
 مقطع معين من مقاطع الكلمة ليصبح بارزاً واضحاً في جهاز سمع
 السامع أكثر من بقية مقاطع الكلمة^(٢) «فتزيد في قوة اللفظ... وتتمكن
 في تخطيط اللام^(٣)»، والى التنغم، وهو ارتفاع الصوت وانخفاضه اثناء
 النطق بالجملة للتعبير عن معنى وتحويل الجملة من معنى في باب نحوي
 معين الى معنى في باب نحوي آخر، «وتمكن الصوت وتنفخه... فتزيد
 في قوة اللفظ وتتمكن في تخطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها^(٤)»،
 وسنعرض بعد قليل النغمة الصوتية وكيف تؤدي دورها في تحويل
 الجملة.

ويشير ابن جني كذلك الى حركات المتكلم بشفتيه او بوجهه او
 بالعينين او اليدين... معبراً عما يريد مستغنياً عن ذكر بعض اركان
 الجملة بهذه القرائن او باحداها «لأنه لا يكون المحذف الا عن دليل
 عليه، والا كان فيه ضرب من تكليف الغيب في معرفته^(٥)»، وكما أن
 المحذف يقع في الصفة - كما بين ابن جني - فإنه يقع في كثير من
 المباني الصرفية التي تثل ابواباً نحوية في التراكيب الجمالية، ولعل من
 نافلة القول: إن الامثال الواردة في كتب الامثال وفي لسان العرب على

(١) الخصائص ٣٧٠/٢ - ٣٧١، وانظر شرح للفصل: ٦٣/٢.

(٢) وانظر: الاصوات اللغوية ابراهيم انيس ص ١٧٠، ومناهج البحث في اللغة، نام
 جان ص ١٦.

(٣) الخصائص: ٣٧٠/٢.

(٤) السابق.

(٥) الخصائص ٣٦٠/٢.

وزن «افعل من» هي بما حذف فيه ركن المسند اليه ليفيد التعميم والتوسيع. اعز من كليب وائل، اجود من كعب مامة، ابقى من حجر، اشد حمرة من مصعة، اسرع من فكاح ام خارجة^(١)، والدليل لما نقول نأخذه من كتب الامثال ذاتها، اذ ان هذه الامثال ترد تارة كما اسلفنا بدون مسند اليه، واخرى يأتي المسند اليه في صدرها، فيقولون: هو اسأل من قرئح، انت اسقى من حاتم طيء، هو اطيش من فراشة، هذا آبل من منيف الخناتم^(٢)، فحذف المسند اليه في المرة الاولى لدلالة الحال عليه، يقول ابن يعيش «واعلم ان المبتدأ والخبر جملة مفيدة، تحصل الفائدة بمجموعها (جملة نواة مكونة من الحد الأدنى من المورفيات تحمل معنى يحسن السكوت عليه)، فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبر محل الفائدة، فلا بد منها، الا انه قد توجد قرينة لفظية او حالة تغني عن النطق باحدها، فيحذف دلالتها عليه، لأن الألفاظ انما جيء بها للدلالة على المعنى، فاذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز ان لا تأتي به ولا يكون مراداً حكماً وتقديراً^(٣)». فيكون ترابط الكلمات في جملة حذف منها المبتدأ كما يلي:



فالجملة تحويلية اسمية كان التحويل بالحذف، وكان الحذف في ركن رئيس من اركان الجملة، فلا بد من تقديره، فنضع مكانه الاشارة التي تعني Zero morpheme

(١) هذه الامثال من كتاب الامثال للسوسي من ص ٦٣ - ٧٣.

(٢) انظر كتاب الامثال للسوسي من ص ٦٦ - ٧٨ وانظر: معجم الامثال والاقوال في لسان العرب، خليل عابرة: ص.

(٣) شرح الفصل: ١/٦٤.

أما السند إليه في الجملة الفعلية (الفاعل) وهو الذي يحقق مع فعله ما نسميه بظاهرة التلازم - والتي سنعرضها في الفصل التالي - يقول ابن هشام: «الفعل والفاعل كالكلمة الواحدة، فجعلها أن يتصلا، وحق المفعول أن يأتي بعدها»^(١)، وقد يحذف أحد هذين الركنين أن دل عليه دليل، وكثيراً ما يقع الحذف في الفاعل، وقد يقع في نائبه، وإن كان بعض النحاة يرون أنها لا يحذفان بل يضرمان!! يقول ابن هشام: «أنها لا يحذفان وذلك لأنها عمدتان ومتزلان من فعلها منزلة الجزء، فإن ورد ما ظاهره أنها فيه محذوفان، فليس محولاً على ذلك الظاهر، وإنما هو محمول على أنها ضميران مستتران»^(٢)، وقد أجاز حذف الفاعل كل من الكسائي والسهيلي وابن مضاء^(٣)، يقول الشاعر:

لممرك ما يفني الثراء عن الفنى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فحذف فاعل حشرجت (أي النفس أو الروح)، ومثله قوله تعالى ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الثَّرَاقِي^(٤)﴾ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ قَطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ^(٥)﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَى الْآيَاتِ لَيْسَ جَنَّتْهُ حَتَّى حِينٍ^(٦)﴾، وغيرها كثير، ففي الآية الأولى حذف الفاعل وهو الروح، وفي الثانية والثالثة حذف الفاعل مع أن الظاهر يشير إلى وجوده متصديداً بما بعده^(٧). ولعل من الطريف أن نذكر أن النحاة يفرقون بين الفاعل المحذوف والفاعل المستغنى عنه، والفرق بين

(١) قطر الندى: ص ١٨٤ وانظر: الأشباه والنظائر، السيوطي، ٦٣/٢ - ٦٤.

(٢) شذور الذهب ص ١٦٥، وانظر: شرح التصريح: ٢٧١/١.

(٣) وانظر الموفي في النحو الكوفي: ص ١٨، وشذور الذهب: ص ١٦٦، والمجمع ١٦٠/١.

(٤) القيامة: ٢٦.

(٥) الانعام: ٩٤.

(٦) يوسف: ٣٥.

(٧) وانظر: المجمع ١٦٠/١.

المحذف والاستثناء، ان المحذف يكون من الموجود، ولما لم يكن موجوداً في بعض التراكيب اللفوية، ووجوده اساس لسلامة التركيب والاصل فيه ان يوجد، فانهم يقدرونه ويضمون مكانه عنصراً آخر، اما ما يستغنى عنه فلا حاجة لتقديره اذ بغيره يستقيم التركيب. ويجملون للمحذف مواضع يحذف فيها الفاعل وجوباً وأخرى جوازاً، فيحذف الفاعل وجوباً^(١):

(أ) اذا بني الفعل للمجهول..

(ب) في المصدر اذا ذكر بدون فاعل (وهذا عند البصريين لانهم يرون ان المصدر غير مشتق^(٢)) «او اطعام في يوم ذي مسغبة يتياً ذا مقربة»^(٣)...

(ج) اذا اتصل بالفعل واو الجماعة او ياء المخاطبة.... الخ.

(د) وفي الاستثناء المفرغ، ما حضر الا على..

(و) في صيغة التمجيد القياسي، افعل، اذا دلّ عليه دليل متقدم^(٤)، «اسمع بهم وابصر»^(٥)..

واما المحذف جوازاً فقد رصد له النحاة مواضع منها:

(أ) في مواضع حذفه مع فعله في مثل الاجابة بذكر المفعول والاكتفاء به مشيراً الى الركنين المحذوفين، مثل: «وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم، قالوا: غيراً»^(٦) اي: انزل ربنا غيراً فقام المفعول مقام الفعل وفاعله في الاشارة الى المعنى المطلوب، بكلمة غيراً، هي في الحقيقة

(١) انظر المص ١٦٠/١، الاشياء والنظائر ٦٥/٢.

(٢) انظر: الانصاف: مسألة.

(٣) البلد: ١٤.

(٤) شرح التصريح ٢٧٢/١.

(٥) مرع: ٣٨.

(٦) النحل: ٣٠.

جملة في سياقها؛ لأنها تشير الى معنى يحسن السكوت عليه.
(ب) ان يحذف وحده ويكتفى بالفعل مشيراً اليه مأخوذاً من سياق
سابق، مثل: ماذا يفعل علي؟ يدرس، فالتقدير: يدرس علي-
واما حالات الاستغناء عن الفاعل فقد رصدتها النحاة في نقاط
اهمها:

(أ) في حال تكرار الفعل مؤكداً الفعل السابق عليه على سبيل
التوكيد اللفظي

يدرس يدرس علي، يدافع يدافع الجنود،

فقد استغنى عن ذكر الفاعل لواحد من الفعلين بذكر فاعل الآخر،
فالفاعل في الثاني مستغنى عنه.

(ب) في الفعل المقترن بما الكافة (قل، كثر، طال)، كقول الشاعر:
قلنا يـبرح اللـبيب الى ما يورث المجد داعياً او محيياً
وقول الآخر:

صددت فاطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود بدوم،
فهم يرون ان قلّ فعل ماضٍ، كَفَّتْهُ (ما) عن طلب الفاعل، ومنهم
من يرى انه لم يكف عن طلب الفاعل انما تؤول (ما) مع ما يليها بمصدر
يكون فاعلاً للفعل (قلّ). وما هو واضح من المثالين السابقين ان الفعل
(قلّ) قد جاء بعده (يبرح) في الاول وهو فعل، و(وصال) في الثاني وهو
اسم، وهذا موضع خلاف بين النحاة^(١). والذي نراه في هاتين
النقطتين (أ، ب) ان الفعل اذا كرر كما في (أ) هو تكرار لفظي للتوكيد
وهو ما نسميه عنصر التحويل بالزيادة يزداد فيه مورفيم الى الجملة ممثلاً
باباً محوياً فيأخذ حركة الباب، فالفعل الثاني (يدرس، يدافع) هو عنصر

(١) انظر سيويه ٢٥٩/١، ١٢/١، المنعي ٤١٦/١.

التحويل جاء زيادة على الجملة التوليدية او النواة: يدرس علي، يدافع الجنود، لغرض في المعنى، وهو هنا التوكيد، اذ أن المتكلم قد اراد ان يؤكد الفعل لا الفاعل فكرره، والتكرار من اهم عناصر التوكيد اللفظي، اما في النقطة الثانية (ب) فان ما يسميه النحاة فعلاً ماضياً (قل، كثر، طال) هي في حقيقة امرها ليست بافعال، فلا تشير الى زمن ولا الى حدث، وهما الركيزتان الاساس اللتان لا بد من توفرهما ليكون الفعل فعلاً، فالجملة في البيت الاول هي: يرح اللبيب الى ما... اراد المتكلم ان يحدد هذا الاطلاق في المعنى فوضع اداة تفيد ذلك (قل)، فعلاً ليست هي قل + ما، اذ أن قل كما في: قلّ مالي... هي فعل ويحتاج الى فاعل، ومن الخط ان نعد قللاً وطالاً وكثراً، مأخوذة من قلّ وطال وكثّر التي هي افعال. اما في المثال الثاني فان كلمة (وصال) هي فاعل للفعل يدوم قدم لغرض العناية والاهتمام، فالجملة في تركيبها قبل التقديم تكون هكذا: يدوم وصال على طول الصدود، ثم دخلت الاداة التي تفيد هذا الاطلاق، فأصبحت الجملة: قللاً يدوم وصال على طول الصدود، ثم تحولت بخطوة تحويل اخرى الى: وصال يدوم على طول الصدود، قللاً وصال يدوم... هكذا:



(ج) في كان الزائدة وتزاد كان بلفظ الماضي^(١) - الا ما شذ بلفظ المضارع - اذا وقعت بين متلازمين:

(١) وانظر شرح التصريح ١٩٢/١، وتحويل النواتج من ٥٥.

- (١) بين المبتدأ والخبر: علي كان كريماً.
 - (٢) وبين الصلة والموصول: رأيت الذي كان قابلاً.
 - (٣) وبين الصفة والموصوف: قابلت رجلاً كان كريماً.
 - (٤) وبين الجار والمجرور، مثل:
سراة أبي بكر تسمى علي كان المسومة العراب.
 - (٥) وبين ما التعجبية وفعل التعجب: ما كان اجل السماء.
- وان الناظر في الامثلة السابقة كلها يرى أنَّ (كان) فيها ليست فعلاً، فلا هو بالتام ولا بالناقص، وانما هو اداة تقيد زمناً بعينه لا غير، ولا اشارة للحدث فيها، فهي تقف على ركيزة واحدة من ركيزتين رئيسيتين يجب ان يتوفرا في الفعل ليعدَّ فعلاً محتاج الى ما يحتاج اليه الفعل، الحدث والزمن.
- ففي المثال الاول يتحدث المتحدث بالجملة التوليدية: علي كريم، ثم يريد ان يعبر عن صفة بعينها (خبر) يتمتع بها (علي)، ولكن في زمن غير هذا الزمن، فالتحدث عنه هو هو، ولكن الخبر هو الذي بحاجة الى تحويل، فدخلت كان لتنقل الزمن من المطلق الذي يفيد الحال، الى الماضي فأصبحت جملة تحويلية اسمية: علي كان مجتهداً^(١)
- {السند اليه + عنصر الاشارة الى الماضي (السند)}
- وينطبق هذا القول على ما حكم عليه بالشنوذه، اقصد، ان ورود الفعل فيها كان بصيغة المضارع:
- انت تكون ماجد نبيل اذا ذهب شال بليـل.
- فتكون هنا تماثل فعل الكينونة في الانجليزية (Verb to be) فالشاعرة (أم عقيل بن ابي طالب) تتحدث عن تتحدث عنه لتقيد حصر
- (١) انظر: خليل عابدة: رأي في بعض انماط التركيب الجملي في اللغة العربية في ضوء علم اللغة الطاهر، المجلة العربية للعلوم الانسانية عدد ٨.

كونه (ماجد نبيل) في وقتها الذي انشئت فيه، بصرف النظر عن الماضي الذي قد يكون الحال امتداداً له.

وفي المثال الثاني يتضح قصد التكلم من استعمال عنصر الزمن (كان) ليشير به الى الحدث الذي به يعرف (الذي)، فجاءت كان مخصصةً لزمن المقابلة، وهذا هو ما يراد لها ان تؤديه، فلا حاجة بها الى فاعل او اسم او خبر. وكذلك الحال في المثال الثالث الذي اراد فيه التكلم الصاق صفة بعينها بالفعل به في زمن (كان) وليس في زمن الحديث، ولا اظن ان مثل هذا التركيب يمكن ان يقصد به الا الزمن الماضي الا بلي عنه، بالقول كان وما يزال...!!!، اما المثال الرابع فليست ادري ان كان غير ضرورة الشر يمكن ان يقذف به في دوامة الاستعمال اللغوي، اذ ليس ثمة مواد لغوية مأثورة تؤيده، وسنعرض بعد قليل كيف يكون التلازم بين العناصر التي جاءت في الامثلة (٢، ٣، ٤) وفي عناصر اخر تحت عنوان ظاهرة التلازم. اما ما جاء في المثال الثالث، فاننا لا نرى ما يسميه النحاة فعلاً هنا هو فعل ولا ما يسمونه (ما) نكرة تامة!! أو نكرة ناقصة!! أو اسماً موصولاً!! تتلون الجملة بعده في اعرابها بلون المنظار الذي يُنظر اليها به، فهي خير قارة، واخرى صلة الموصول لا محل لها من الاعراب، واما خبر ذاك المبتدأ (ما) الذي لا يشير الى مسمى ولا الى شيء البتة، فهو شيء عظيم، وكذلك الحال عندما تعد الجملة نعتاً لهذه النكرة الناقصة التي لا نرى الفرق بين تمامها ونقصها!!^(١).

اما الركن الرئيسي الثالث في الجملة التوليدية الفعلية، فهو المفعول به، ويرتبط ببؤرة الجملة (بالفعل) ارتباط الفاعل بها وان حال الفعل

(١) سنعرض تحليل باب التعجب في فصل تطبيقي لاحق، نأخذ مادته من ديواني لبيد وامرئ القيس وبعض كتب الامثال القديمة.

مع المفعول الذي يتعدى اليه حالة مع الفاعل، وكما أنك قلت: ضرب زيد، فاستندت الفعل الى الفاعل، كان غرضك من ذلك ان تثبت الضرب فعلاً له، لا ان تفيد وجود الضرب في نفسه وعلى الاطلاق، كذلك اذا عدت الفعل الى المفعول فقلت: ضرب زيد عمراً، كان غرضك ان تفيد التباس الضرب الواقع من الاول بالتالي ووقوعه عليه، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في ان عمل الفعل فيها انما كان من اجل ان يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بها^(١)، فالفعل هو البؤرة ويرتبط به الفاعل بملاقة الفاعلية التي علامتها الرفع....، ويرتبط المفعول به به بملاقة المفعولية التي علامتها النصب.... هكذا:



ومن المعلوم ان هذا الركن الرئيس قد يمحذف، فتتحول الجملة التوليدية الى جملة تحويلية فعلية، ويكون الحذف لأغراض، ومن هذه الاغراض الاطلاق في الحدث الذي يشير اليه الفعل ويربطه بالفاعل، «... فاعلم ان اغراض الناس، تختلف في ذكر الافعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم ان يقتصرُوا على اثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير ان يترضوا لذكر المفعولين، فاذا كان الامر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلاً في أنك لا ترى له مفعولاً لا لفظاً ولا تقديرأ، ومثال ذلك قول الناس: فلان يمل ويعقد... المعنى في جميع ذلك على اثبات المعنى في نفسه للشيء على الاطلاق وعلى الجملة حتى كأنك قلت صار اليه الحل والمقد^(٢)»، فالفعل في مثل هذه الحالة لازم وليس متعدياً، لأن الجملة اكتملت معنى ومبنى وهذا هو الحد الأدنى

(١) دلائل الاعجاز: ص ١١٨.

(٢) دلائل الاعجاز: ص ١١٨ - ١١٩.

من الكلمات التي تحمل معنى محسن السكوت عليه، وهو الجملة،
 «وهكذا كل موضع كان القصد فيه ان يثبت المعنى في نفسه فعلاً
 للشيء وان يخبر بأن من شأنه ان يكون منه، او لا يكون الا منه، او
 لا يكون منه، فان الفعل لا يعدى هناك، لأن تعديته تنقض الغرض
 وتغير المعنى، الا ترى انك اذا قلت: هو يعطي الدنانير، كان المعنى
 على انك قصدت ان تعلم السامع ان الدنانير تدخل في عطائه او انه
 يعطيها خصوصاً دون غيرها، وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما
 تناوله الإعطاء لا الاعطاء في نفسه، ولم يكن كلامك مع من نفى ان
 يكون كان منه إعطاء بوجه من الوجوه.... فهذا قسم من خلو
 الفعل عن المفعول وهو ان لا يكون له مفعول يمكن النص عليه^(١)،
 فهذا القسم وان كان يبدو انه لا يعد في الجملة التحويلية، الا انه، في
 حقيقة امره، يتضمن تحويلاً بلاغياً ويقود الى معنى، ويمثل اصلاً كبيراً
 عظيم النفع في البناء اللغوي.

فلان يحمل ويمقد، اصلها: يحمل فلان ← يحمل فلان ⑤

ويمقد ⑤ ← فلان يحمل ⑤ ويمقد ⑤



وأما النوع الثاني فهو المفعول الذي له قصد معلوم في الجملة، الا
 انه يُحذف من اللفظ لدليل الحال عليه^(٢)، وذلك لأن القصد بين

(١) السابق: ص ١١٩.

(٢) السابق: ص ١٢٠.

قابل + ت + علياً

فعل + فاعل + مفعول

فكانت الزيادة هي (ما + الا) واقتضت ترتیباً معيناً لا يتغير، لغرض يتعلق بالمعنى، وهو المحصر الذي يأتي في درجة عالية من درجات التوكيد، والتوكيد معنى يسمى اليه المتكلم ويتوق له السامع، فتكون الكلمات في ترابطها في الجملة كما يلي:



ورصد النحاة كذلك عدداً من النقاط التي يكون حذف المفعول به فيها جوازاً، ثم بينوا المعاني التي يكون الحذف لها، فمنها الاعجاز، ومنها الاحتقار والازدراء، ومنها الاستهجان... الخ^(١) وانت ترى ان هذه معان يكون البناء الجملي لتحقيقها هدفاً عند كل من المتكلم والسامع، وكثيراً ما يكون الحذف ابلغ في تحقيقها من الذكر، يقول المخرجاني: «... الا انك تجد المعنى يلزمك ان لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه الى لفظك، والسبب في ذلك ان تعديتك له توهم ما هو خلاف الفرض، ... فلم ينطق بالمفعول لتخلص العناية لاثبات (الفعل للفاعل)^(٢) » وان اردت ان تزداد تبيناً لهذا الاصل، اعني وجوب ان تسقط المفعول لتتوفر العناية على اثبات الفعل لفاعله ولا يدخلها شوب فانظر الى قوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، ووجد من دونهم امرأتان تفودان، قال ما خطبكما قالتا لا نستقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى الى الظل﴾ ففيها حذف مفعول في اربعة مواضع...^(٣)

(١) انظر شرح التصريح: ٣٦٤/١ - ٣٦٥.

(٢) دلائل الاعجاز: ص ١٢١.

(٣) السابق: ص ١٢٤.

٤ - الحركة الاعرابية: «إن العرب قد نطقت على سجيتهما وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقامت في عقولها عللة^(١)» فجاء النحاة في عصر الخليل بن أحمد، ووضعوا العليل النحوية يصفون الظواهر اللغوية، «فكل من فرق له عن علّة صحيحة وطريقة لتهجة كان خليل نفسه وأبا عمرو فكره^(٢)»، ولكن النحاة - بعد القرن الثاني الهجري - انصرفوا عن السير في خط وصف الظواهر اللغوية والنحوية كما هي، ينظرون الى المعاني «ويجملون الحركات دلائل عليها ليتسموا في كلامهم^(٣)». وأولعوا بكثرة البحث عن الاسباب التي تسبب هذه الحركات يقول أبو حيان: «والنحويون مولعون بكثرة التعليل، ولو كانوا يضمون مكان التعليل احكاماً نحوية مستندة الى السماع الصحيح لكان اجدى وأنفع»، فكان «من العليل ما يؤدي الى كلام العرب، كقولنا: كل فاعل مرفوع، وكل مفعول منصوب.....» و(منها) ضرب يسمى علّة العلة، مثل أن يقولوا لِمَ صار الفاعل مرفوعاً والمفعول منصوباً.... وهذا ليس بكسبنا ان نتكلم كما تكلمت العرب^(٤).....» وبقي منهم (النحاة) من ينظر الى الظواهر اللغوية نظرة وصفية يعتمد في حكمه على المعنى فيجعل المصطلح النحوي بمصطلحاً لغوياً يتضمن معنى تُعدُّ الحركة الاعرابية علامة عليه وإشارة له، يقول ابن الطراوة في العامل في المنصوبات (الاشتغال، والمنادى.....): «إن هذه الاسماء ولحوها منصوبة بالقصد الى ذكرها خاصة، من غير حاجة الى الاخبار عنها وتسليط عامل لفظي عليها^(٥)»، الا أن معظم النحاة قد أخذوا

(١) الايضاح في علل النحو، الزجاجي: ص ٦٦.

(٢) الخصائص: ١٩٠/١، وانظر ١٦٤/١، ١٧٣.

(٣) الايضاح: ٦٩.

(٤) نقلاً عن: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيويه - خديجة الحديشي: ص ٢٥٢.

(٥) الاقتراح: ص ١١٨، وانظر الخصائص ١٧٣/١ والايضاح في علل النحو ص ٦٤.

(٦) نقلاً عن: مقسمة الرد على النحاة بتحقيق محمد البنا ص ٢٢ - ٢٣.

يبحثون في المامل والمعمول والتعطيل والتأويل، يجعلون الحركة الاعرابية وتبريرها هدفهم، لا يجيدون عنه ولا يحاولون، فالحركة الاعرابية في اللغة العربية ظاهرة موجودة على أواخر كلماتها في تراكيبيها وفي أقدم النصوص العربية المعروفة، وكان لهذه الحركات معانٍ في نفس العربي المتحدث بالعربية على سجيته وطبيعته، ولم ينقل عنه شيء من أسماء الطل التي جاء بها النحاة فيما بعد لأغراض تعليمية في بداية الأمر، سئل الخليل عن العلة: «عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك، فقال: إن العرب نطقت على سجيته وطبعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتلت أنا بما عندي»^(١)، قلنا: هي ظاهرة موجودة في العربية منذ أقدم العصور المعروفة حافظت عليها لأنها تمثل أداة طيعة تساعد المتكلم ليتسع في كلامه معبراً عما في نفسه من معانٍ^(٢)، كسائر أخواتها من اللغات السامية وإن كانت تبدو قليلة كما في اللغة الأكديّة، وما يمكن أن يتأول في العبرية والحبشية والنبطية، فيبدو أن الأكديّة قد عرفت الحركات الثلاث التي تعبر عن حالات الرفع والنصب والجر في بداية أمرها، ولكنها تخلت عن واحدة واحتفظت باثنتين ووظفت واحدة منها لحالتي النصب والجر وهي الفتحة، وأبقت على الضمة للرفع، ثم اختزلت هذه الحركات لتنتهي إلى واحدة وهي الكسرة^(٣). أما الآرامية فيرى بعض الباحثين أن لا أعراب فيها^(٤)، مع أن صلة القرى بينها وبين أخواتها الساميات تشير إلى احتمال وجود الأعراب فيها في

(١) الأيضاح في علل النحو ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) السابق ص: ٦٩.

(٣) انظر: إبراهيم البامراني، لغة اللغة المقارن ص ٥١، وانظر محمود فهمي حجازي، علم اللغة ص ١٤٤، وانظر سر صناعة الأعراب، مقدمة الناشرين ص ٢.

(٤) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ص ٢١٢.

مرحلة من مراحل تطورها، أما النبطية فإن النقوش تشير الى حالات الاعراب فيها كاللغة العربية تقريباً فالضمة للرفع والفتحة للنصب والكسرة للجزم^(١)، وأما العبرية فيرى عدد من العلماء أن الهاء التي ترتبط بالكلمة أحياناً مشيرة الى الاتجاه هي بقية حركة الفتحة التي هي علامة للنصب، وإن كان قليل منهم قد رفض هذا القول^(٢). وهكذا كان الحال في تفسير العلماء للهاء التي جاءت في الحبشية^(٣)، ولكن دراسة العلماء للغة العبرية وتبعهم لما فيها من نصوص قديمة بين أن في الاسماء ما يشبه الضمة في الفاعلية وما يشبه الفتحة في المفعولية^(٤) ذلك مع أن فريقاً من الباحثين يرى أن الحركات في العبرية طارئة ومن اختراع النحاة في القرنين السابع والثامن، وضعوها في ضوء نظام الحركات في كل من اللغة السريانية واللغة العربية^(٥).

كما سبق، تبدو الصلة والمضاربة بين العربية وأخواتها اللغات السامية، واضحة جلية في استعمال الحركات الاعرابية للإشارة الى معاني لغوية وحالات يرمز اليها بأبواب محوية، بل وكانت العربية أوضح من غيرها في هذا المجال، وبقيت فيها الحركات ذوات دلالة على تلك المعاني الى يومنا هذا، في حين قلت أو انقرضت في غيرها من اللغات السامية التي كانت قائلها في كثير من جوانبها وكنعان بن سام بن نوح

(١) صهيبي الصالح: دراسات في فقه اللغة من ٥٧، وانظر: ابراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن: ص ١٥.

(٢) انظر ابراهيم أنيس من أسرار اللغة ص ٢١٥. وانظر

■ MORAG, The Vocalization Systems of Arabic, Hebrew and Aramaic, Mouton 1962 P.P.12-34.

(٣) انظر: ابراهيم السامرائي: فقه اللغة المقارن ص ١٦.

(٤) السابق.

(٥) انظر: ريجي كهل: اللغة العبرية: ص ٦٥ - ٦٦ وانظر يوهان فوك العربية: ص ٢٤٦.

ينسب اليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية»^(١)، ويقول ابن حزم: «من تدبر العربية والعبرانية والسريانية، ايقن ان اختلافها انما هو من تبديل الفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وانما لغة واحدة في الأصل»^(٢)، احتفظت العربية بالحركات الاعرابية دالة على الحالات الاعرابية التي جسدها نحاة العرب اعتياداً على استقراء قاموا به، يقول بروكلمان: «لقد احتفظت العربية القديمة بحالات الاعراب الثلاث الرئيسية سالمة، غير أن الحركات قد قصرت، ولا تحتفظ بطولها الا في الوقف والقافية أحياناً»^(٣)، ويقول في موضع آخر: «وقد ظل اعراب الاسم الموروث من قديم الزمان في اللغة البابلية القديمة كاملاً، غير أنه ضاع بالتدريج شيئاً فشيئاً منذ وقت مبكر، كما حدث ذلك في كل اللغات السامية الحديثة السن، أما اللغة العربية بحكم انعزالها في الجزيرة العربية فظلت تحافظ على صيغها القديمة وظواهرها اللغوية بما في ذلك الحركات الاعرابية»^(٤) وهكذا ظلت الحركات الاعرابية في اللغة العربية تشير الى معانٍ مرتبطة بحالات: الرفع والنصب والجر، في حين أنها في معظم أغوائها أخذت تشير الى الاتجاه المكاني أو الى اطار واسع كبير من أطر الحالات التي تشير اليها الحركات، أو أنها تلاشت في قسم منها وبقي منها قسم، يقول بروكلمان: «وفي الحبشية بقيت حالة الرفع في الاعداد مثل *ahad* واحد، أما حالة النصب بالنهاية (هـ) فقد بقيت حية كلية، غير أن دائرة استعمالها قد اتسعت، اذ تدخل في حالة الإضافة للدلالة على حالة

(١) الخليل بن أحمد، المين ١/٣٣٢.

(٢) ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام: ١/٣، وانظر: بروكلمان: فقه اللغات السامية ص ١٦، ١٧.

(٣) بروكلمان: فقه اللغات السامية ص ١٨.

(٤) السابق: ص ١٠٠.

الرفع، وفي العبرية لم تبق كذلك إلا في حالة النصب (h) غير أنها لا تدل على حالة المفعول المباشر، بل على الاتجاه المكاني نحو شيء ما، لا غير، نحو hūsā، أي: إلى الخارج، وفي الآرامية لم يبق قيا عدا حالة النصب في آرامية العهد القديم إلا بعض حالات الاعراب المتجمدة، وفي البابلية القديمة لا تزال حالات الاعراب الثلاث كما كانت منذ العهد القديم^(١). وقد استعملت العربية بالإضافة إلى الحركات الاعرابية القصيرة (Vowel signs) الحروف المسماة حروف العلة «الألف والواو والياء» تشير إلى حالات الاعراب الثلاث الرفع والنصب والجر، وحافظت على استعمالها بكيفية أو توزع معين لم تخرج عليه إلى يومنا هذا - إلا ما جاء في لهجات بعض القبائل مخالفاً لما جاءت عليه اللغة العربية المشتركة والتي كانت تلقى الأشعار بها في أسواقهم أو في منديلاتهم - في حين أنها قد تحولت في أخواتها الساميات وانصرفت لتشير إلى ما لا تشير إليه في العربية، يقول بروكلمان: «إن الواو والياء في العبرية والآرامية، قد فقدتا في بعض الأصول وظيفتهما الأصلية باعتبارهما صوتين صامتتين بعد أن تحولت الأصوات المركبة القديمة إلى أصوات بسيطة، فإن هذين الحرفين قد استعملتا كذلك في كتابة حركات مثل (هـ - و - ي - ن) ليست في الأصل أصواتاً مركبة، ويشبه هذا استخدام الهاء في العبرية والهمزة في الآرامية للتعبير عن الفتحة الطويلة (h)، وقد عمت رموز الحركات هذه في العربية أكمل تميم،.... مما يدل على أن هذه الأصوات، الواو والياء والهاء والألف ظهرت كمحركات في اللغات السامية، لكن باختلاف في الاستخدام، فالعربية استخدمت الواو والياء والألف، والعبرية استخدمت الواو والياء والألف والهاء، والآرامية استخدمت الواو والياء والهمزة

(١) السابق: ص ٣٧.

وهكذا دواليك^(١)، فالحركات الاعرابية التي هي من أهم الظواهر اللغوية في اللغات السامية، احتفظت بها اللغة العربية^(٢) المنطوقة والمكتوبة على حد سواء^(٣). فكان العربي ينظم كلمات الجمل التي ينطق بها يرفع الفاعل وينصب المفعول... دون أن يعرف هذه المصطلحات التي وضعت - كما ذكرنا - في عصر أراد فيه العلماء وضع القوانين والقواعد التي تجنب اللسان الوقوع في الخطأ، فان سمع كلاماً يخالف في نظمه ما ألفه في لفظه، أدرك أنه استعمال خاطيء يخالف السليقة اللغوية التي هو عليها، ودون أن يدرك ان هذا يجب أن يكون منصوباً لأنه... أو أن ذاك يجب أن يكون مرفوعاً لأنه.....، فهذه مصطلحات قامت على جمع الظواهر المتأثلة وتسميتها باسم عرفت به فيما بعد وكانت له حركة معينة بها يميز بين المعاني النحوية، اذ لولاها ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعموت ولا تعجب من استفهام.... ولا نعت من تأكيد^(٤)، فالحركة موجودة في اللغة، وما كان عمل النحاة الا محاولات لتبرير هذه الحركة، وليس كما يزعم بعض الباحثين من أن الحركات كانت من وضع النحاة^(٥)، بعد أن حبكت خيوطها وثم نسجها بطريقة محكمة في أواخر القرن الاول الهجري أو أوائل القرن الثاني على يد قوم من صناع الكلام عاشوا معظم حياتهم في البيئة العراقية، ثم لم يكد ينتهي القرن الثاني الهجري حتى أصبح الاعراب حصناً منيعاً امتنع حتى على الكتاب والخطباء والشعراء من فصحاء العربية الا على

(١) بروكلمان: فقه اللغات السامية: ص ٣٧.

(٢) وانظر: يعقوب بكر: دراسات في فقه اللغة العربية: ص ٦، وسر صناعة الاعراب، ابن جني، مقدمة الناشرين ص ٣، وانظر: أصول النحو العربي، محمد خير حلواني ص ١٣٢.

(٣) وانظر يوهان فاك: العربية ص ١٠ - ١١.

(٤) ابن فارس الساجي: ص ٤٢.

(٥) ابراهيم أنيس، من أسرار العربية: ص ١٩٨ - ٢١٥.

قوم سموا فيا بعد بالنحاة^(١)!!!!!! الحركات الاعرابية موجودة في اللغة العربية فونيات أصيلة فيها، ينطق بها العربي ليفيد معنى معيناً، ثم يغيرها ليفيد الفونيم الجديد معنى جديداً، وليس كما يرى بعض الباحثين «أنهم كثيراً ما يلجأون الى التحريك عند التقاء الساكنين أو لتيسير ارتباط الألفاظ ببعض^(٢)»!!!! فقد كان عمل النحاة الأول وضع وصف لهذه الحركات وكيف تنطق بها العرب، طلب أبو الاسود الدؤلي من كاتبه: خذ المصحف وضبطاً يخالف لون المداد، فإذا رأيتني فتحت شقي بالحرف فانقط واحدة فوقه، وإذا كسرتها فانقط واحدة أسفله، وإذا ضممتها فاجعل النقطة بين يدي الحرف، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين^(٣)، ثم تطور وصفها على يد الخليل ومن جاء بعده من تلاميذه الى ما هي عليه في أيامنا هذه في شكل الفتحة والضمة والكسرة وتنوين الفتح وتنوين الضم وتنوين الكسر، والألف والواو والياء في حالات، يصفون النطق بها، وبها يعربون عن المعاني المختلفة في أنفسهم «الاعراب هو الابانة عن المعاني بالألفاظ، الا ترى أنك اذا سمعت: أكرم سعيد اياه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع احدها ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحاً واحداً لاستبهم احدها من صاحبه^(٤)»، فإذا كان الاعراب هو الابانة أو البيان عما في النفس^(٥) والإفصاح والإيضاح عن القوالب الذهنية

(١) انظر: ابراهيم أنيس، من أسرار العربية: ص ١٩٨ - ٢١٥، وانظر رجحي كمال، اللغة المصرية: ص ٦٥ - ٦٧، وانظر: فقه اللغة للقارن، ابراهيم السمرالي ص ١٢١.

(٢) السابق ص ٢٣٧ وانظر: الكتاب ٢٤١/٤، داود عبده، أبحاث في اللغة العربية ص ٩٨، والإيضاح في علل النحو - الزجاجي ص ٧٠.

(٣) ابن التميمي، القهرست ص ٥٩.

(٤) الخصائص: ٣٥/١.

(٥) انظر شرح الفصل: ٧٢/١.

بأصوات منطوقة (فونيات) ومن هذه الأصوات أصوات صائتة وأخرى صامتة تتحد فيما بينها لتكون مورفيمات، تتحد وتتنظم فتكون بدورها جملًا تجسد المعنى الذهني وتكشف عنه، وإن أي تغيير في الفونيات يؤدي إلى تغيير في المورفيمات، ويتغير المورفيم بتغير الصورة الذهنية التي يشير إليها ذاك المورفيم، نقول مثلاً، أسد، فتقفز صورة ذهنية معينة هي صورة الحيوان المعروف (الأسد) فإن غيرنا (أ) ووضعنا مكانها صوت الفاء مرة، وصوت..... الخ فإن الصورة التي تقفز ليست هي الصورة الأولى، وهكذا لو غيرنا صوت السين إلى صوت الشين أو..... الخ فإن الصورة تتغير لا محالة، فتبين كل كلمة عما فيها من معنى ارتبطت به في ذهن كل من التكلم والسامع، وهذا هو الاعراب لغة، يقول ابن جني: «وأما لفظة الاعراب فإنه مصدر اعربت عن الشيء إذا أوضحت عنه، وفلان معرب عما في نفسه أي مبين له..... واصل هذا كله قولهم وذلك لما يميز إليها من الفصاحة والاعراب والبيان، ومنه قوله في الحديث: «الثيب تعرب عن نفسها»^(١) ومن الإبانة والافصاح عما في النفس استعمال الحركة المناسبة على أواخر الكلم في الجملة، يقول ابن يمشي:

«الاعراب هو الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها»^(٢)، ويقول ابن السراج في الاعراب: «إن يتعاقب آخر الكلمة حركات ثلاث، ضم وفتح وكسر، أو حركتان منها فقط، أو حركتان ومكون باختلاف العوامل، فإذا زال العامل زالت الحركة أو السكون»^(٣) ونقول لابن السراج وللسيطوطي الذي يقول:..... هو

(١) الخصائص: ٣٧/١، وانظر شرح الفصل: ٧٢/١.

(٢) شرح الفصل: ٧٢/١.

(٣) اللوجز في النحو: ص ٢٨، لنا هنا يحدد عرض نياية الحروف عن الحركات في التصير عن حالات الاعراب، لمزيد من المعلومات انظر: الخصائص: ١٢٥/٢.

أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في محل الاعراب^(١)، وللأشعوني الذي يقول: «الاعراب هو ما جاء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف^(٢)» هؤلاء يقولون: إن الحركة الاعرابية، شأنها شأن أي فونيم في الكلمة، له قيمة وأثر في الاقصاد والإبانة عما في النفس من معنى، فيكون تغييرها محققاً لما في نفس المتكلم من معنى يريد الإبانة والاقصاح عنه، (هذا فيما نسميه بالحركة الاعرابية التي لا تأتي اقتضاءً لنصر تحويل جديد، عنصر زيادة، كما ذكرنا سابقاً)، فإذا قال المتكلم، مثلاً: الأسدُ (بالضمة)، فإن السامع يدرك أنه قد أراد نقل غير ليس غير، ولكنه إن قال: الأسدَ (بالفتحة)، فإن المعنى يتغير إلى معنى التحذير الذي هو في ذهن المتكلم ويريد أن يفصح عنه، ولا يستطيع تغيير أي فونيم في الكلمة غير هذا الفونيم، فانه إن غير فونياً آخر في الكلمة تغيرت الصورة الذهنية التي ترتبط بها الكلمة بسبب - كما ذكرنا - فلا سبيل إذاً إلى التغيير إلا في فونيم الحركة الذي يؤدي إلى صورة ذهنية جديدة ولكنها تتصل بالأولى بسبب، فما كان التغيير في الحركة إلا نتيجة للتغيير في المعنى، يقول ابن جني: «ولا كانت معاني المسمين مختلفة كان الاعراب الدال عليها مختلفاً أيضاً^(٣)»، وليست الحركة نتيجة لأثر عامل كما يرى جمهور النحاة الذين أخذوا يبحثون في الظواهر اللفظية اللفوية المتائلة ويجمعون ما تماثل في الحركة بسبب علّة معينة ليضموها في قسم نحوي كبير (المرفوعات والمنصوبات والمجرورات

= ٣١٦/٢، الانصاف مائة: ٢، ٣، ابن خليل ٤٢/١ - ٧٩، الكتاب ١٣٠/١،

٥/٢ - ٤١٢/٣٠٧.

(١) المسح: ٤٢/١.

(٢) شرح الأشعوني ١٩/١.

(٣) الخصائص: ٣٧/١، وانظر: سر الصناعة ص ٣١ - ٣٤، مدونة الكوفة، مهدي

الحزومي: ص ٢٥٦.

والجزومات) ثم ليفصلوا القول فيها في أبواب نحوية، يضمها كل من هذه الأقسام، فنشأ عندهم ما يسمى بالعامل، الذي له أثره القوي في إيجاد حركة اعرابية معينة على آخر كل كلمة من كلمات الجملة، وتفننوا في أقسامه وأنواعه، فمنته العامل المعنوي ومنه العامل اللفظي. أما العامل المعنوي فهو الذي لا يظهر في البناء الجملي ولكن الحاجة اليه كبيرة لتبرير حركة اعرابية على كلمة من كلمات الجملة ولا وجود لعامل لفظي يمكن أن تسند الحركة اليه، وهو عامل يتعلق بالمعنى - في حقيقة الأمر - ولكن الرغبة في تبرير الحركة صرف النحاة عن المعنى إلى المبنى وتطبيق القاعدة "....." ولا بد لكل معمول من عامل لفظي أو معنوي، وكان أهل الكوفة يسمون هذا العامل الخلاف أو الصرف^(١).

والعامل المعنوي عند النحاة يكون في موضوعين:

١ - الابتداء وهو العامل في المبتدأ، وهو عامل معنوي يعني التجرد من الموامل اللفظية، فنقول: محمد مجتهد، يرفع (محمد) بدون عامل ظاهر في الجملة يسبب ذلك، في حين إذا دخلت عليها (كان) أصبحت مرفوعة بها، عند بعضهم، وإذا دخلت عليها (إن) نصبتها.... الخ. وقد ذهب بعضهم إلى أن العامل في هذه الحالة هو الاسناد^(٢)، وإلى هذا ذهب إبراهيم مصطفى^(٣) من المحدثين.

٢ - التجرد من الموامل، وهو عامل معنوي يعمل الرفع في الفعل المضارع، فإن سبقه ناصب نصب، وإن سبقه جازم جزم وإن لم يكن

(١) انظر الانصاف، مسألة: ٧٥ ومطايي القرآن - الفراء:

(٢) وانظر المسح ١/١٥٩، الاشياء والنظائر ١/١٤٩، مطايي القرآن - الفراء ٧٤/٢ - ٧٥.

(٣) إبراهيم مصطفى، أحياء النحو: ص ٥٣.

هذا أو ذاك رفع، ومن النحاة من يرى أن العامل هنا هو وقوع الفعل
موقع الاسم.

وأما العامل اللفظي^(١)، فقد طال حديث النحاة فيه، وكثر تقسيمهم
له، فمنه الأفعال التي تعمل في الأسماء، ولذا فهي أقوى العوامل
وأكثرها أثراً في كلمات الجملة، فهي تعمل في الفاعل وفي المفعولات وفي
الحال وفي التمييز.... وتعمل في المفرد، وفي الجملة، ومنها ما يعمل في
مفعول به واحد، ومنها ما لا يكفي إلا بثنين أو ثلاثة، ومنها ما يقع
تأثيره على مفعولة تقدم عليه أو تأخر عنه. ومنه الحرف ويبنى الفعل في
القدرة على التأثير (في العمل)، ومن الحروف ما يختص بالدخول على
الأفعال والعمل فيها، ومنها ما يختص بالعمل في الأسماء، ومنها غير
الختص، فمنها ما يسبب الكسرة، ومنها ما يسبب الضمة، ومنها ما
يجب أن تكون السكون (المجزم) من آثاره الظاهرة أو المقدرة، ومنها ما
ينصب.

ومن العوامل اللفظية قسم ثالث وهو أضعفها (وهو الاسم)، لأن
الأصل فيه أن لا يعمل إلا أنه لما مائل الحرف في قسم منه (أسماء
الشرط) عمل عمله، ولما مائل الفعل (المشتقات: اسم الفاعل واسم
المفعول والصفة المشبهة والمصدر...) عمل عمله.

فكان من نتائج الأسراف في البحث عن العامل وأثره أن أخذ
النحاة يبحثون عن مبرر لكل حركة أعرابية على أواخر الكلم في
الجمل، وأنصرفوا عن المعنى والبحث فيه انصرافاً كبيراً في حين
كان عليهم أن ينظروا إلى الحركة الأعرابية على أنها رمز لتغير في
المعنى وليست بأثر - كما ذكرنا -، لأن المتكلم عندما يتكلم إنما يقصد

(١) وانظر: شرح ابن عقيل ٣٧٣/١، شرح الأشموني ٤٦٣/١، الانصاف مسألة: ١٤،
١٨، عبد الحميد طاب: أصول النحو وتاريخه. ص ٢٨١.

ان يوصل الى السامع معنى بعينه، فان شاء ان يغير هذا المعنى غير الحركة، يقول الزجاجي: «ان الاسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافاً اليها. ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني... وليتسموا في كلامهم ويقدموا الفاعل ان ارادوا ذلك او المفعول عند الحاجة الى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني^(١)». ويقول ابن مضاء: «ان حركات الاعراب لم توجد لتدل على عوامل معينة، وانما جاءت لتدل على معان في نفس المتكلم^(٢)». ويقول ابن فارس: «من العلوم الجلية التي خصت بها العرب الاعراب، الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الجزء الذي هو اصل الكلام. ولولاه ما سُيز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعموت ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد^(٣)». وفي هذا كله ما يشير بجلاء ووضوح الى ان الحركة الاعرابية - في حالات - لها دور لا يقل في اهميته عن دور اي حرف من حروف الكلمة في الوصول الى المعنى الدلالي للجملة، نقول: اكرم علي خالد، بالرفع فيها، فلا يتبين السامع من وقع له الاكرام من وقع منه الاكرام، ولكن ان نصبنا احدهما فاننا نضع حداً للبس فيتضح الفاعل من المفعول، فضلاً عما تعطيه الحركة من مرونة للتقديم والتأخير فنقول: خالد اكرم علي، علي اكرم خالد، اكرم خالد علي، ولكل من هذه الجمل معناها الذي يود المتكلم ان يعبر بها عن اهتمامه بجزء من اجزائها - كما بينا

(١) الايضاح في علم النحو: ص ٦٩ وانظر: الزهر للسيوطي: ٣٢٧.

(٢) الرد على النحاة: ص ٨٧.

(٣) الصاحي: ص ٤٢. وانظر رأياً مختلفاً لهذا الرأي عند الحديثين والقديما في: الايضاح للزجاجي: ص ٧٠، الاشياء والنظائر: ٧٦/١، من أسرار اللغة، ابراهيم أنيس: ص ١٤٢، ١٥٨، ٢٢٤، في أصول اللغة والنحو، قواد تروزي: ص ١٨٧، أبحاث في اللغة العربية، داود عبده ص ١١٤.

سابقاً - وسنقصر الحديث هنا على دور الحركة الاعرابية التي هي عنصر من عناصر التحويل في الجملة التوليدية، في الابواب النحوية التالية: الاغراء، والتحذير، والاختصاص، واسماء الافعال وكم الاستفهامية والخبرية، والاسم المنصوب بعد واو المعية، والفعل المضارع المنصوب بعد الواو، يرى النحاة ان الناصب في التحذير والاغراء، وفي الاسم المنصوب بعد واو المعية وفي الفعل المنصوب بعدها وفي الاختصاص، هو عامل محذوف يقدرونه مرة فعلاً متعدياً تقديره احذر او الزم او اخص، ومرة اداة تأتي بعد الواو تقديرها ان، وثالثة يرون ان الفعل اللازم المذكور في الجملة هو الذي يعمل بعد ان مكنته الواو من ذلك!!

نقول: أ) الاسد

١/ب) السيارة السيارة

ج) اياك المراء

٢/أ) الكتاب

ب) اخاك اخاك

فالجملة (١/أ) جملة تحويلية لجملة توليدية هي: هذا الاسد، ثم جرى عليها تحويل بالمحذف اعتاداً على الاشارة او على السياق الذي تقال فيه، فبقيت كلمة (الاسد) في حالة الرفع لتشير الى جملة خبرية لا يقصد منها المتكلم غير الاخبار بما جاء فيها من معنى، ولكن المتكلم عندما اراد ان يعبر عن معنى جديد يختلف عن المعنى في الجملة التوليدية الاصل، وعنه في الجملة التحويلية بالمحذف، كان عليه أن يغير في أحد أجزاء هذه الكلمة الجملة (لأنها تحمل معنى يحسن السكوت عليه وليست بحاجة الى كلمة تفيد من السياق وترتبط بالاشارة، ولا بحاجة الى علاقة الاسناد التي هي ركن رئيس في بناء الجملة في اللغة العربية)، فان وقع التغيير - كما ذكرنا سابقاً - في أي من فونيمات الكلمة فانها تنتقل

لتعبر عن صورة ذهنية أخرى، فكان لا بد من إجراء التغيير في فونيم الحركة، فتستبدل الفتحة بالضمّة، وينتقل المعنى من الاختيار إلى التحذير، فالفتحة هي العنصر الذي حول الجملة من باب إلى باب ومن معنى إلى معنى جديد، فهي ركن في الكلمة تشير إلى المعنى وليست نتيجة لعمل عامل محذوف لا يجوز إظهاره في بعض الحالات (العطف والتكرار)، ولست أدري حقاً ما قيمة هذا العامل المحذوف الذي لا يجوز إظهاره، وإن ظهر فقد نقل التعبير إلى معنى غير الذي كان له، لست أدري ما قيمته غير محاولة تبرير الحركة الاعرابية التي هي الفتحة، والتي يجب أن تكون أثراً لعامل، والعامل يجب أن يكون هنا فعلاً متمدياً^(١). والذي نراه أن هذه جملة تحويلية اسمية جاء فيها التحويل بتغيير الحركة الاعرابية للتعبير عن معنى التحذير، ومثلها تماماً الجملة (أ/٢) ولكن التغيير جاء هنا لينقلها إلى معنى الحث على اخذ الكتاب وملازمته، فالمعنى هو الذي أوجب الحركة، فأصبحت دليلاً عليه ووسيلة له، ولعل من نافلة القول أن الجملة التحويلية (احذر الاسد، الزم الكتاب) كان النحاة واللغويون العرب قد صنفوها في الجملة الطلبية، التي تكون نفمتها الصوتية مستوية.

احذر الاسد 

في حين أننا عند النطق بالجملة التحويلية التحذيرية نطلقها بنغمة صوتية صاعدة.

الاسد الاسد 

ولعل الفتحة هنا تجسيد للنغمة الصوتية التي تقع الجملة في إطارها.

(١) انظر شرح الفصل ٢٩/٢، شرح التصريح ١٩٢/٢ - ١٩٥.

أما الجملتان (ب/١، ب/٢) فالقول فيها لا يختلف كثيراً عنه في الجملتين السابقتين، ولكن فيها عنصر تحويل بالزيادة، (السيارة الكتاب)، وكل زيادة في البنى تقابلها زيادة في المعنى، وما الزيادة هنا إلا للتوكيد، لتوكيد المعنى الذي جاء به التحويل في الكلمة الأولى، ولو كانت الكلمة الأولى قد أخذت الفتحة أثراً لعامل (محذوف) لجاز أن يبرز هذا العامل هنا، وهذا موضع ينص النحاة على عدم جواز ظهور العامل فيه، فالجملة تحويلية اسمية مؤكدة، مرة للتحذير (ب/١) وأخرى للأغراء (ب/٢).

أما الجملة (ج/١)، فإنها جملة تحويلية اسمية، جملتها التي تحولت عنها هي: أنت والمرأة، فيكون الثاني معطوفاً على الأول مرفوعاً والخبر (المسند) محذوفاً يفهم من السياق، ولكن لما كانت المعاني أكثر من القوالب اللفظية، فإنه لا بد من التعبير في سباني الكلمات لتؤدي معاني جديدة، فكان التعبير بنقل المرفوع إلى حالة النصب، فأصبحت: أياك والمرأة، لتفيد التحذير، ولو أظهرت أي فعل يفيد هذا المعنى في مثل هذه الجملة لخرجت عما تفيد من التحذير إلى الطلب الهادي^(١)، في حين أن ما فيها وفي الجمل السابقة عليها من معنى الانفعال (affective meaning) لا يخفى على متذوق هذه اللغة العالم بها^(٢).

أما جملة الاختصاص التي يرى النحاة أنها تأتي لعدد من المعاني، منها التواضع والفخر وبيان النوع أو العدد... الخ فأننا نرى أنها جملة

(١) وانظر G. W. Allport, Attitude, in Readings in Attitude theory and measurement, ed. by M. Fishbein, New York, 1967, P. 7 - 8

(٢) انظر Khalil AMARREH, The affective meaning of some exclamatory styles in Arabic grammar, in AL - Arabiyya, 15, 1982, P.P. 64 - 81

وانظر: عبد المجيد عابدين، المدخل إلى دراسة النحو العربي في ضوء اللغات السامية، القاهرة ١٩٥٦، ص ٦١ - ٦٢.

تحويلية اسمية وأما معناها فالرئيس فهو الفخر والتعظيم ليس غير، وما
جل التواضع أو بيان العدد أو النوع إلا لتشير إلى معنى التعظيم أو
لتوحي به، وجهلتها التوليدية الأصل هي: مسند إليه + مسند.

نحن + العرب، نحن الجنود، أنا المعلم... الخ

ومعناها هنا الاخبار، ونفعتها هي النعمة الصوتية المستوية، وهي تامة
المعنى والمبنى، فتحمل معنى يحسن السكوت عليه، ولكن إذا أراد
المتكلم أن يعتز بنفسه (فرداً أو جماعة)، فإنه يصد إلى تغيير حركة
الاسم الذي يلي الضمير، من الضمة التي كانت تحقق الاسناد بين الكلمة
التي هي على آخرها والضمير السابق، إلى فتحة^(١)، فيرتب على ذلك
شيئان: أحدهما: انتهاء الاسناد بين الضمير والاسم الذي يليه، الاسم
الذي أصبح مركزاً للفخر وبؤرة لعناء في الجملة، فاصبحت الجملة بغير
الاسناد لا تحمل معنى يحسن السكوت عليه، وبذا لم تعد جملة تامة، بل
ليست جملة، والثاني: حاجة المسند إليه إلى مسند، أي حاجة الجملة إلى
تتمة لتصبح جملة تحمل معنى يحسن السكوت عليه، فتتحول الجملة إلى
جملة تحويلية يكون تركيبها كما يلي:

نحن العرب نكرم الضيف

فاعل مقدم + موضع الفخر + فعل + مفعول به

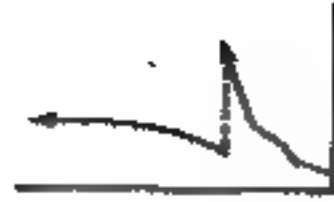


ويتبع هذا تغيير في النعمة الصوتية التي تصبح نعمة مرتفعة في
أولها (ماعدة) لتبر عن الأهمية والثناء التي جاءت بالتقديم، ثم تعود

(١) وانظر C. Darwin, Expression of Emotions, P. P. 71 - 72.

وانظر: C. E. Osgood and others, the measurement of meaning, P. 74.

لتسير في خطها الأصل:



ولا علاقة للفتحة على الاسم الذي يلي الضمير بعامل محذوف تقديره اعني او اخص، وما كان ذلك الا لرغبة النحاة في إيجاد مبرر لكل حركة على اواخر الكلم في الجمل، وانك ان اظهرت هذا العامل، فانك (المتكلم) لا تحسن بالفخر والاعتزاز الذي تجده عند عدم اظهار هذا الفعل المقدر، انا اعني الجندي احي الديار، نحن نحسن المسلمين اقوياء بالايان، ولا يجد السامع من معنى الفخر والتعالي ما يجده في الجملة في حال عدم ذكر هذا العامل، فالحركة الاعرابية (الفتحة) هي تمييز عن القصد والمعنى وليست اثرأ لتسليط عامل لفظي عليه^(١).

اما ما يسمى اسماء الافعال فمنها ما يرى النحاة انها قد جاءت اصلاً اسم فعل: كهيئات وصفه وافى، ومنها ما جاءت محوكة عن مصدر: نزال صبراً.. ومنها ما هو محول من ظرف او جار ومجرور، وقبل ان نقصر حديثنا هنا على القسم الاخير، فالتنا نلفت الانتباه الى المناقشات المطولة الكثيرة التي ناقش فيها اللغويون والنحاة من القدماء والمحدثين، دلالتها على الحدث والزمن، وقبولها علامات الافعال وعلامات الاسماء، وخروجهم من هذا بأنها تفتقر الى الحدث والزمن، وبأنها لا يمكن ان تدرج في باب الاسماء ولا في باب الافعال اعتقاداً على قبول العلامات

(١) وهذا هو رأي ابن الطراوة في عدد من المنصوبات: انظر الرد على النحاة، المقدمة، بتحقيق محمد علي البنا ص ٢٢ - ٢٣.

وانظر: D.Katz, «The functional approach to the study of attitudes» in,

Reading in Attitude, theory and measurement, P. 460

وانظر: J.Vendryea, Language, P. 140

المميزة لهذا أو ذاك^(١).

نقول: أ - اليك الكتاب

ب - امامك الفضيحة

فالجملة (أ) مكونة من حرف الجر + الضمير + الاسم المعرّف بال التعريف^(٢)، ويمكن ان يأخذ الاسم الضمة، فتكون الجملة خبرية: الكتاب اليك، ولكن لما كان المتكلم لا يريد الاخبار بل اراد معنى آخر هو من القوة في الحث على امر معين، ليس من السير التعبير عنها بغير مثل هذه الجمل^(٣)، فانه يغير حركة السند اليه (الكتاب) من الضمة الى الفتحة ليغير عن هذا المعنى، فالفتحة تعبر هنا عن معنى وليست اثرأ لعامل محذوف سدت مسده (اليك) التي هي بمعناه وهو (خذ) وهكذا الحال بالنسبة للجملة (ب) التي يرى النحاة انها اسم فعل منقول من الظرفية، وما نراه ان الجار والمجرور وكذلك الظرف قد بقي كل منها على ما هو عليه في الاصل، وقد جرى التحويل في الحركة الاعرابية على الاسم الذي يليه لتعبر عن المعنى الجديد. اما الاسم المنصوب بعد واو المعية، استوى الماء والخشبة فهو اسم فضلة تال لواو بمعنى مع تالية لجملة ذات فعل او شبهه^(٤)، وقد وقع

(١) لمزيد من التعميل انظر: الانصاف مسألة، شرح الفصل ٢٥/١ - ٥٢، شرح التصريح ١٩٥/٢.

(٢) وانظر شرح التصريح ١٩٧/٢.

(٣) وانظر: L. S. Vygotsky, thought and Language, The M.I.T. Press, 1974, P. P. 119, 131 - 132.

E. S. Bogardus, Fundamentals of Social Psychology, New York, 1931, P. 62.

N. Bull, The Attitude theory of motion, New York, 1951, P. 3.

B. Malinowski, The Problems of meaning in Primitive Languages,

supplement I in the Meaning of Meaning by Ogden and Richards, II. P. 311, 318.

(٤) انظر: شرح التصريح ٣٤٣/١.

خلاف طويل بين النحاة في العامل في الاسم بعد الواو، قال بصريون
 يرون ان العامل هو الفعل^(١)، ومن النحاة من يرى ان الواو هي
 العامل. ومنهم (وهو الجرمي)^(٢) من يرى ان العامل هو الفعل اللازم
 بواسطة الواو، واما الكوفيون فيرون ان العامل هو الخلاف، والخلاف
 عندهم عامل معنوي^(٣)، اي ان الاسم جاء مخالفاً في الحكم لما قبله
 فنصب. ولن تطيل الوقوف لمناقشة هذه الآراء التي يبدو منها القصد
 والمراد، وهو محاولة تبرير وجود الحركة الاعرابية (الفتحة) على آخر
 الاسم بعد الواو التي ليست هي واو الحال، ولا هي واو العطف، فلو
 كانت الواو للحال لوجب ان يأتي بعدها جملة اسمية صدرها مبتدأ
 مرفوع، ولو كانت للعطف لوجب ان يكون الاسم مرفوعاً على نية
 تكرار العامل: استوى الماء واستوت الخشب، ولو كانت بمعنى مع لوجب
 ان يكون الاسم بعدها مبروراً حال الاسم بعد مع، واما القول بأن
 الفعل اللازم (استوى) قوي على العمل بواسطة الواو، فقول ضعفه
 واضح لا يحتاج معه الى رد زيادة على القول بأنه لو كان الامر كذلك
 لوجب ان يقال حضر علي وخالداً.

ننظر الى المعنى في الجملة التالية: استوى الماء والخشب (بالضمة)

فانه - بلا ريب - يفيد ان الماء كان متموجاً فاستوى، وكذلك كانت
 الخشب معوجة فاستوت واستقامت، ولكن لما كان المعنى الذي يريد
 المتكلم ليس هذا، فقد كان عليه ان يغير في حركة الاسم بعد الواو
 ليصبح منصوباً، فالحركة هنا دليل على معنى، وعنصر من عناصر
 التحويل في الجملة الاصل، وليست نتيجة لتسلط عامل (بحار النحاة في

(١) انظر الانصاف: مسألة ٦٦.

(٢) وهو الجرجاني، انظر للمعامل المائة.

(٣) انظر الانصاف: مسألة.

تحديد) عليه، ولعل الكوفيين قد قصدوا بقولهم (الخلاف) ما نقصده
 اختلاف المعنى بين الرفع والنصب. ومن الجدير بالملاحظة ان الفعل
 يمكن ان يحمل في استاده الى فاعله على الحقيقة، ولكن تكراره بعد
 الواو امر غلط بالمعنى، نقول: سار علي والنيل، فإسناد الفعل (سار) الى
 الفاعل (علي) هو اسناد حقيقي ثم جاءت الواو رابطاً يربط ما بعدها
 محولاً لمعنى آخر يخالف المعنى القائم على الحكم المبني على الاسناد
 السابق:



ولا يختلف القول في نصب الفعل المضارع بعد الواو كثيراً عن
 القول في المسألة السابقة، نقول:

لا تأكل سمكاً وتشرب لبناً،

فاذا كانت السكون على آخر الفعلين، فان المعنى هو تسلط النهي
 على الاثنين بصرف النظر عن الزمن او المكان، فلو كان المتحدث
 الذي ينطق هذه العبارة طبيباً يلقيها على سمع مريضه، فان هذا
 سيدرك ان طبيبه يمنعه من تناول هذين النوعين من الطعام، في حين
 انه اذا نصب الفعل الثاني، فان المعنى سيكون بطلب النهي عن الجمع
 بين هذين الفعلين في آن واحد. فالمحركة هي الفونيم الذي عمد المتكلم
 الى تغييره ليعبر عن معنى جديد، وليست نتيجة لتسلط عامل مقدّر
 تقديره (ان)^(١)، وانت ترى معي ان تقدير (ان) بعد الواو وامام الفعل
 المضارع واضح الدلالة على رغبة القائلين بهذا في البحث عن مبرر
 لتبرير وجود الفتحة على آخر الفعل على غير ما تكون عليه لو كانت

(١) انظر: الانصاف، مسألة، وشرح التصريح ٣٤٣/١ وما بعدها.

الواو للعطف، وبذا يكون ترابط الكلمات كما يلي:



أما (ك)^(١) فهو عند النحاة اسم، وله في العربية استعمالان: يستفهم به عن العدد، ويخبر به عن معنى خبري بمعنى كثير، ولإيهامه فانه يحتاج الى تمييز مجيء بعده: كم كتاب قرأت، كم بلد زرت، فالتكلم يخبر عن كثرة الكتب التي قرأها، وعن كثرة البلدان التي زارها، اما عندما تكون للاستفهام عن عدد فانها تحتاج الى تمييز منصوب يكشف عنها غموض الإيهام، كم كتاباً قرأت؟ كم بلداً زرت؟، فالتكلم يسأل سامعاً مخاطباً عن عدد الكتب التي قرأها وعدد البلدان التي زارها، ويقول النحاة ان كم الاستفهامية تشترك مع كم الخبرية في أمور أهمها: أنها اسمان، وأنها مبهمتان يحتاج كل منهما الى تمييز، وأنها مبنيتان، وأنها يقعان في صدر الكلام، ولكنها يفترقان في أمور: ان الكلام مع كم الخبرية يشمل التصديق والتكذيب بخلافه مع كم الاستفهامية، وان الكلام مع الخبرية لا يحتاج الى اجابة، في حين ان الاجابة ركن رئيس في الحوار بين المتكلم والمخاطب مع كم الاستفهامية، وان تمييز كم الخبرية مجيء مفرداً ومجيء جماعاً، نقول: كم كتاب قرأت، ونقول: كم كتب قرأت، اما تمييز كم الاستفهامية فلا مجيء - عند البصريين - الا مفرداً، في حين يرى الكوفيون فيه الافراد والجمع. ومن اهم نقاط الافتراق بينهما، ان تمييز كم الخبرية واجب الجهر، وتميز كم الاستفهامية

(١) انظر: شرح الفصح، الكتاب.

واجب النصب الا اذا سبقت كم بحرف جر. والذي نراه ان الجملة قبل دخول كم عليها كانت جملة توليدية اسمية او فعلية، قرأت كتاباً. فدخلت عليها (كم) لتفيد معنى الاستفهام عن عدد الكتب التي قرأت، وليس عن امر يتعلق بالحدث او بما في الفعل من زمن، فقدم المفعول وجوباً فاصبحت الجملة جملة تحويلية فعلية جاء التحويل فيها باستخدام عنصرين من عناصر التحويل: الزيادة والترتيب، ولكل دوره في المعنى، ولكن لما كانت المعاني اوسع من المباني اللغوية، فان المبني يمكن ان يستعمل، بل ويجب ان يستعمل لاكثر من معنى، فاراد المتكلم هنا ان يعبر عن معنى الكثرة فاستعمل كم التي هي كم السابقة ولكنه غير حركة الاسم الذي يليها، من النصب الى الجر، فكانت الكسرة هي عنصر التحويل في هذه الجملة، اذ ان حركة (كتاباً) يجب ان تكون في الحالتين قياساً على قواعد النحو التي ترى ان الفعل (قرأ) فعل متعد يحتاج الى مفعول به، وان حركة المفعول هي حركة النصب، فجرى التغير في حركة المفعول ليفيد معنى جديداً، فالكسرة علامة معنى ودليل عليه، وليست حركة ناتجة من تسلط عامل عليها مقدر او ظاهر، وهكذا الحال مع الجملة التوليدية الاسمية: لك عمة (يا جرير) بضم (عمة) فعصل فيها تقديم للضاية والاهتمام بعد ان دخلت عليها كم، التي هي اداة وليست باسم بحال من الاحوال، اذ ليس فيها نقطة واحدة من نقاط الاسم وتحديد، ثم جرى فيها تحويل آخر وهو تغيير حركة المسند اليه الى الكسرة التي هي علامة لمعنى الكثرة مع (كم) التي تقتضي هذه الحركة قياساً على ما جاء عن العرب، واما قول البصريين بأن تمييز كم الخبرية يجب ان يكون مفرداً فالاستعمال اللغوي يقف ضده مناصراً قول الكوفيين.

يقول الشاعر:

كم ملوك ————— بآباد ملوكهم ونعمسم سؤقة بآبادوا

ويقول آخر (الفرزدق):

كَمْ عَمَةٍ يَا جَرِيرَ وَخَالَةٍ فِدَعَاءٍ قَدْ حَلَبَتْ عَلَى عَشَارِي.
ونرى ان الفرق الرئيس بين هاتين الاداتين يوجد في المعنى، الذي هو الفرق بين الاستفهام للعلم بما يجمله المتكلم ويعلمه السامع المخاطب، والاخبار الذي يعلمه المتكلم علم اليقين ويجمله السامع او المخاطب. ويوجد كذلك في المبنى، وهذا ماثل في الحركة الاعرابية كما فصلنا القول فيه سابقاً، وفي النغمة الصوتية التي هي في الاخبار نغمة صوتية مستوية بينما هي ذات نغمة صوتية صاعدة في معنى الاستفهام^(١).



٥) التنغيم

... وحد اللغة انها مجموعة من الاصوات يميز بها كل قوم عن اغراضهم^(٢)، فهي ظاهرة اجتماعية مكونة من مجموعة محدودة من الرموز الصوتية اللغوية، وتكتسب معناها عن طريق التداول بين افراد المجتمع الذي يتحدث بها. واما علم الاصوات كما يعرفه ترويتسكوي، فهو العلم الذي يتناول الجانب المادي للاصوات المتمثلة في التخاطب الانساني^(٣)، ويضيف علم النطق الى مهمة علم الاصوات جمع الظواهر الصوتية الدالة

(١) S. H. EL ANI, Arabic Phonology PP. 92-96

(٢) وانظر: الخصائص.

(٣) رونالد ايلوار: مدخل الى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق ١٩٨٠ م، ص ٨٦.

في التخاطب البشري، كالنغمة والنبر^(١).

وأما النبر، وهو أحد الفونيمات التي لها دور في مبنى الكلمات في بعض اللغات، ولها دور في معناها كذلك. ويكون بتقوية صوت في كلمة معينة ليرتفع على غيره من اصوات الكلمة ذاتها يعامل من عوامل الكمية والضغط^(٢)، وينتج عند مرور الهواء في الحنجرة محدثاً اهتزازاً في الاوتار الصوتية يتسم بالشدة والارتفاع في حدود الكلمة الواحدة، فينقلها - في بعض اللغات - من الاسمية الى الفعلية، او من الفعلية الى الاسمية، وتعد اللغة الانجليزية من افضل الامثلة لهذا، وان من عاش منا في الغرب، في بريطانيا خاصة، لا بد ان يكون قد ادرك في بداية حياته هناك شيئاً من المعاناة في كيفية النطق ببعض الكلمات وتحديد نبرها ليفهم سامعه انه يقصد الفعل وليس الاسم، او عكس ذلك، ولا بد ان يكون قد وقف امام الطريقة اللطيفة التي يعتمد اليها الانجليزي مردداً الجملة المنطوقة لتصويبها بوضع النبر في موضعه الصحيح مشدداً ليلفت انتباه المتكلم غير الانجليزي إلى موضع النبر الصحيح. ومن الواضح ان اللغة العربية لا تعتمد على النبر في تصنيفها الصرفي^(٣) فلا نستطيع الاعتماد على النبر في القول بأن كتب تحولت الى كاتب، كما يدعي بعض المنتظمين في قاعات الدرس في بعض الجامعات العربية، اما ان كان النبر على الكلمات في الجملة، او على كلمة واحدة في الجملة لاظهارها على بقية كلمات الجملة فان ذلك يكون نبراً سياقياً دلالياً نسبه التنغم «Intonation»، ولا يكون التنغم في الجمل الا لمعنى، فاذا قال قائل: حضر علي، فان الفرض من الجملة يختلف

(١) السابق: ص ٨٦.

(٢) وانظر: قام حسان، مناهج البحث في اللغة: ص ١٦.

(٣) انظر: خليل عابرة: نبر الكلام المنطوق وعوامله بين الوصفية والعيارية في اوزان الاتصال اللاحقة والمضاربة، مجلة الاقلام، عدد

باختلاف الكلمة التي ينبرها المتكلم، فان زاد نبر الكلمة الاولى (حضر) فانه يود ان يؤكد الحدث، حدث الحضور وليس غيره، ولكنه اذا نبر الكلمة الثانية (علي) فانه يؤكد ان الذي حضر هو علي وليس خالداً او غيره، ولكن المتكلم يستعمل النبر احياناً في اطار اوسع منه على الكلمة في الجملة، فيصحب كلمات الجملة كاملة - ان كانت الجملة مكونة من عدد من الكلمات، او يكون على الكلمة التي هي الجملة في الكلمة الجملة، فتنتقل الجملة من باب نحوي الى باب نحوي آخر، ويظهر ذلك بارتفاع الصوت وانخفاضه اثناء النطق بالجملة، للتعبير عن معانٍ مختلفة في نفس الانسان^(١)، وتقسم النغمة الى صاعدة وهابطة ومستوية، وقد قسم استاذنا الدكتور قام حسان هذه الأطر الى سلبية وإيجابية في كل^(٢). فنرى ان النغمة المستوية تكون في الجملة الخبرية، وتكون الصاعدة في الاستفهام والامر، وتكون الهابطة في الندة والتفجع. وقد ادرك النحاة العرب القدماء قيمة النغمة الصوتية في تحويل الجملة من باب الى باب ولكنهم لم يكتبوا عنه كثيراً، اذ أن هذا الميدان ما يزال في العربية بكرة يحتاج الى اقلام الباحثين الذين يدونون نتائج أبحاثهم في المختبرات الصوتية الحديثة^(٣)، فهم يفرقون بين الجملة التقريرية الخبرية والجملة الاستفهامية باحتواء الثانية على نغمة صوتية معينة وان كان في صدرها أداة من أدوات الاستفهام، كقوله تعالى ﴿هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ فهذه الآية تقرأ بنغمة

(١) انظر: ابراهيم أنيس الاصوات اللغوية ص ١٧٥، وانظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي: ص ١٩٥ وما بعدها.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر منابع البحث في اللغة: ص ١٦٥، وانظر:

K. AMAIREH, in, *Journal of semiotic studies*,

(٣) إن من أجود المحاولات في هذا الميدان هي محاولة الدكتور سلطان الطائي في كتابه «Arabic Phonology».

صوتية مستوية، فيقول المفسرون والنحاة ان هل هنا ليست للاستفهام وانما هي بمعنى (قد) التي للتوكيد والتحقيق، ويقول الشاعر:

حق اذا جن الظلام واختلط جاؤوا يهتق هل رأيت الذئب قط

وهي جملة خبرية تقريرية تعني «جاؤوا يهتق يشبه لون الذئب»، وذلك لان النغمة الصوتية تشير الى معنى الاخبار وليس الى معنى الاستفهام^(١)، وهناك جل ليس فيها اداة استفهام ولكنها يجب ان تقرأ بنغمة صوتية صاعدة لتكون النغمة في موقع الاداة من حيث الوظيفة والمعنى، يقول تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك. تبغى مرضاة ازواجك﴾ والمقصود: «أتبغى مرضاة ازواجك». ولو قرأها قارئ بنغمة صوتية مستوية لأخرجها من معناها الذي اريد بها، ويقول عمر بن أبي ربيعة.

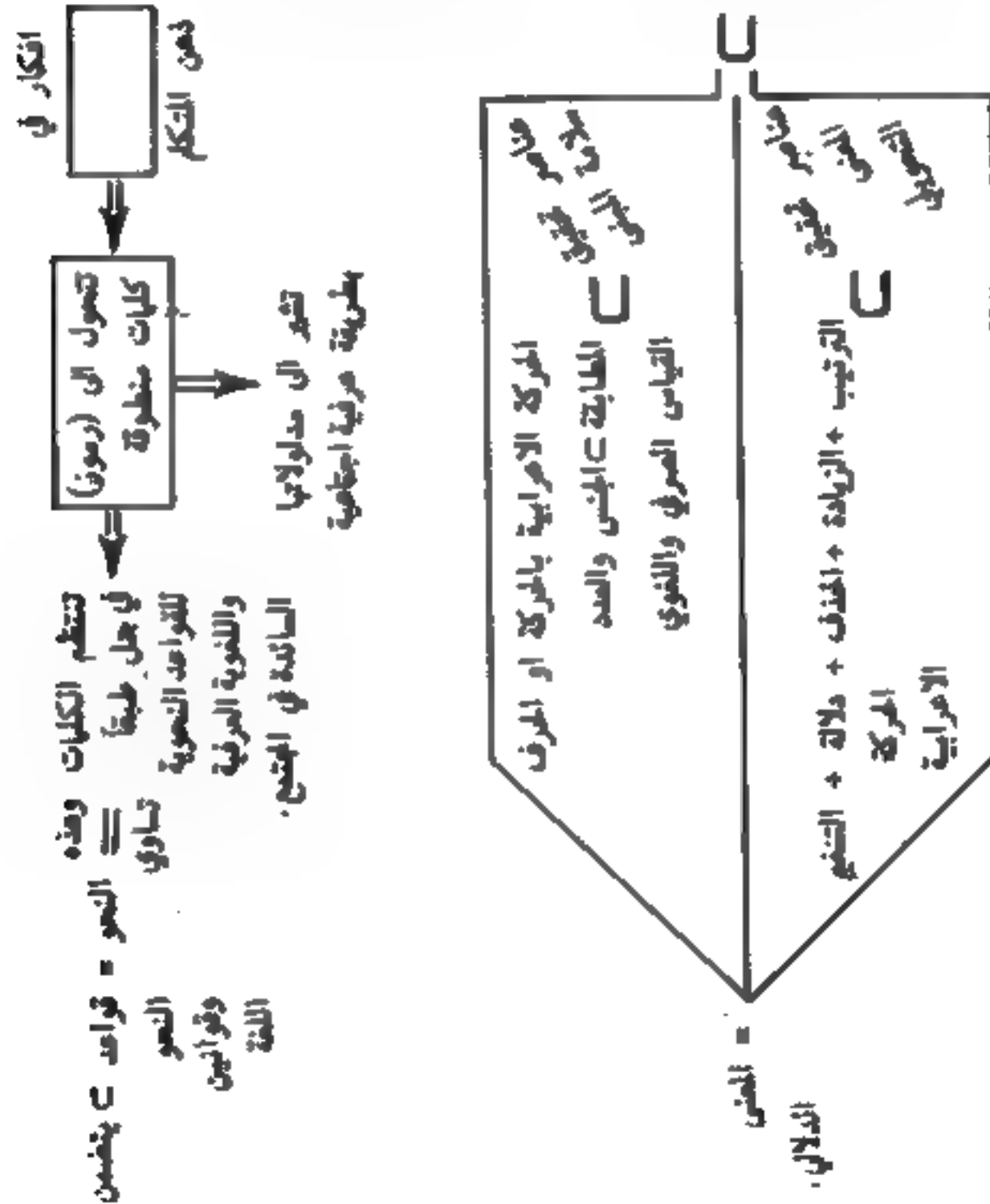
قالوا: تحبها، قلست بهراً عدد النجم والحصى والتراب.

فان «تحبها»، هي جملة استفهامية مع ان لا اثر لاداة تفيد هذا المعنى في الجملة، ومثل هذا كثير في كلام العرب وشعرهم، ولعل الاستعمال اللغوي المعاصر في مختلف انحاء العالم العربي قد هدر استعمال اداة الاستفهام معتمداً على النغمة الصوتية التي بها يحول الجملة من خبرية إلى استفهامية إلى تعجيبية إلى انكارية تقريرية، فالجملة التوليدية: كتب التلميذ الدرس، ونغمتها مستوية، يمكن ان تتحول الى: كتب التلميذ الدرس، بنغمة صوتية صاعدة لتفيد الاستفهام، وبنغمة صاعدة جداً مع نبر احدى كلمات الجملة لتفيد معنى الدهشة او الاعجاب، فالجملة في وضعها الثاني والثالث هي جملة تحويلية فعلية جاء التحويل فيها باستخدام النغمة الصوتية للوصول الى معنى بعينه، وانت تدرك ما تتحول اليه الجملة التالية من معنى بالنغمة الصوتية،

(١) وانظر، كمال بشر: علم الأصوات ص ١٨٩، ١٩٥.

نقول نعم، اجابة لسائل، ونقول: نعم، اجابة متحدث بالمخاطف، ونقولها انكاراً على من اتى بخير لا يرغب فيه، ونقولها تقريباً و... .

ونثبت هنا اللوحة التالية التي تبين اهم عناصر تحقيق سلامة البنية الشكلية (المبنى) في الجملة واهم عناصر التحويل للوصول الى المعنى الدلالي:



المبنى الدلالي < تطور من تركيب فونولوجي U تراكيب مورفولوجية L هلة > بنية سطحية = <
 توليدية
 طبقا لقوانين
 النحو وامورنه

هلة تحويلية
 باستخدام عنصر
 من عناصر التحويل
 > بنية صيغة = معنى ملائي
 <

مصطلحات لا بد من توضيحها

بيّنا فيما سبق ما نقصده بالجملة التوليدية أو النواة أو النتيجة، وقلنا: بأنها الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى محسن السكوت عليه، وبيّنا الأطر الرئيسة للجملة النواة، والمعنى الرئيس الذي تنتظم له الكلمات في جملة نواة، اسمية أو فعلية، وفصلنا القول في أن أي تغيير في الجملة النواة يحول الجملة إلى جملة تحويلية، وبيّنا عناصر التحويل التي تدخل الجملة فتؤدي إلى تحويل في المبنى يتفق مع التحويل في المعنى الذهني، وفصلنا القول في كل عنصر، وفي تداخل العناصر وتعاونها للوصول إلى المعنى الدلالي الذي تفيد الجملة، ويختلف هذا المعنى باختلاف التركيب، وقلنا بأننا نرى في وضع هذا المعيار القائم على الوصف ما يجنبنا البحث عن قصد المتكلم الذي يعمده تشومسكي نقطة رئيسة في نظريته - كما أوضحناه في موضعه - ف يرى تشومسكي أن على السامع أن يجتهد للوصول إلى حدس المتكلم الذي يُعد ركناً أساساً في الوصول إلى المعنى الدلالي للجملة، في حين أننا إذا وضعنا معياراً نبين فيه تحول المعنى من جملة إلى أخرى مأخوذاً من اللفظ وقياساً على ما جاء فيها على ألسنة المتحدثين بها سليقة، فإن ذلك سيغني عن البحث عن حدس المتكلم الذي ليس من اليسير الوصول إليه إن لم يكن من المستحيل، وقد عمل سابر E. Sapir جاهداً لتقنين الطرق أو تقعيدها للوصول إلى ما في ذهن المتكلم، ولكنه لم يتمكن من ذلك، وكانت هذه النقطة بخاصة من أهم ما ثار عليه زميله بلومفيلد L. Bloomfield، مبيّناً أن البحث عما في نفس المتكلم يمزج بالباحث في كثير من قضايا علم النفس التي لا تفيد البحث اللغوي، بل وتبعد كثيراً عن الوصول إلى المعنى الكامن في الجملة، والذي يمكن أن يؤخذ منها اعتقاداً على ما فيها من أصوات ومبانٍ صرفية تنتظم في تراكيب نحوية، ونرى بعد ذلك أن علينا أن نوضح ارتباط كل من الجملة

التوليدية والتحويلية بالمعنى الدلالي، أو أن نبين المعنى الذي يكون في كل منها، وصلته بالصورة الذهنية الكامنة في ذهن المتكلم.

ترتبط الجملة التوليدية بالصورة الذهنية الأولى للمعنى الذي يرمي اليه المتكلم أو يقصده، فيعبر عنها بجملة يمكن أن تدرج في أحد الأطر الرئيسة للجملة التوليدية - التي أوضحناها سابقاً - وتكون جملة خبرية بسيطة لا تركز فيها على شيء وإنما يهدف منها المتكلم أن ينقل خبراً يوصله إلى السامع، وبذا فإن الجملة النواة ترتبط بها البنية البسيطة للفكرة، ودعنا نسمي هذه خلافاً لما قصده تشومسكي «البنية السطحية S.S. Surface Structure»، ولا يقصد بالسطحية التركيب الظاهر أو الوجه المنطوق من الجملة، بل هو تعبير نقصد به قرب المعنى وعدم دخوله في التركيب الجملي الذي يشير إلى معنى محوّل من المعنى اليسير، أو إلى المعنى المركب، فالجمل:

علي مجتهد

محمد رسول

مجتهد علي

بلغ محمد رسالته

جمل توليدية تحمل خبراً أو معنى قريباً S.S.، ولكنها إن دخلها عنصر من عناصر التحويل، فإنها تتحول في معناها إلى جملة تحويلية وفي معناها إلى معنى آخر غير المعنى الذي كان لها سابقاً بزيادة عليه أو حذف منه أو.... فنقول:

إن علياً مجتهد

والله أن علياً مجتهد.

محمد الرسول.

علي مجتهد.

... الخ

فنقل المعنى الى معنى مركب هو التوكيد في جزء من أجزاء الجملة أو فيها كلها، وهكذا يجب أن يفهمها السامع، فلو سمع السامع مثلاً: علي يجتهد فانه يدرك ان المتكلم يقصد بتقديم الفاعل عناية واهتماماً به، وان لم يكن المتكلم يرمي الى ذلك، فانه قد اختار ترتيباً كان ينبغي أن يختار غيره، وهكذا لو نطق أحد الجمل في المجموعة الاولى (التوليدية أو النواة أو المنتجة) بنغمة صوتية صاعدة فانه قد نقل الجملة الى الاستفهام أو الانكار أو..... وهذا ما يجب أن يفهمه السامع، فان ذلك من شأنه ان يقن الماعى ويضعها في قوالب يتقنها المتكلم ولا يضل في طريق الوصول اليها السامع، ولا لحتاج معها الى البحث عن حدس المتكلم intuition، ويكون المعنى التحويلي الجديد الذي تضيفه الجملة التحويلية هو المعنى العميق، ونقصد بالمعنى العميق D.S. Deep Structure المعنى الذي يرمي اليه المتكلم ويهدف الوصول اليه أو يهدف توصيله الى السامع بعبارات يحاول أن يرتب كلماتها من جديد، أو أن يهدف منها، أو أن يزيد عليها أو أن يغير في الحركات الاصل التي كانت لها، أو أن ينطقها بنغمة صوتية جديدة تفيد المعنى الجديد. وما هو جدير بالذكر ان الجملة التوليدية المتضمنة S.S. تخضع لقواعد وقوانين النحو التوليدي التي هي علامات سلامة البنية الشكلية، فان قال قائل:

أحضر الولدين الكتابان

فان هذه ليست جملة؛ لأنها لا تراعي قواعد سلامة البنية الشكلية في اللغة العربية، وربما كان ما جاء به ابن مضاد القرطبي في قبول الملل الاول تحليل سليم مقبول لما يقبل من الحركة الاعرابية ودورها في سلامة البنية الشكلية. فان كانت الجملة سليمة في مبناها، فانها يجب أن تمر بمنطقة القياس اللغوي، ونقصد به أن يكون للجملة بعد التحويل نظير فيما نطقت به العرب، فلو قال قائل:

بلغ محمد الرسالة

لكانت جملة توليدية تحمل معنى يقصد بها الاخبار عنه، ولكن اذا غير المتكلم ترتيب الكلمات هكذا:

(أ) محمد بلغ الرسالة.

(ب) بلغ الرسالة محمد.

(ج) الرسالة بلغ محمد.

(د) محمد الرسالة بلغ.

فان لكل معناها العميق الذي في نفس المتكلم ويفهمه السامع، أما الجملة الاخيرة (د) فعلى الرغم من أن السامع يدرك ان فيها معنى، الا أنها لا تعد جملة لأنها لا تحقق القياس اللغوي، فتزد لأنه لم يرد في لسان العرب ما يمكن أن يقاس عليه هذا الترتيب، أما إن جاز الترتيب كما في الامثلة (أ، ب، ج) فان الجملة تخرج من منطقة النحو التوليد وقواعده Generative Rules لتدخل في منطقة النحو التحويلي Transformational Rules الذي له قواعده وقوانينه ومعناه، ونمثل هذه الدورة كما يلي:

بلغ محمد الرسالة		محمد بلغ الرسالة
G.R. \supset S.S. \Rightarrow	→ اللفظي	T.R. \supset D.S.
VSO \supset الاخبار \Rightarrow	→	OVS \supset التوكيد
محمد الرسالة بلغ \Rightarrow	X	X

فيبقى اسم الجملة بعد التحويل كما كان قبله، ولكن كلمة التحويل تشير الى أن معنى جديداً قد انتقلت اليه، ويبقى الاسم أو الوصف الذي أعطي لكل كلمة في تركيبها التوليدي هو ذاته في تركيبها

التحويلي، وهنا تبرز قيمة المعنى في التحويل، فكل تحويل يكون لمعنى، فالجملة: الرسالة بلغ محمد تكون فيها كلمة الرسالة هي المفعول به المقدم لفرض التوكيد والعناية. وفي الجملة: محمد بلغ الرسالة، تكون كلمة محمد هي الفاعل ولكنه مقدم لفرض التوكيد، وفي كل منها معنى عميق تضمنته جملة تحويلية فعلية. وبذا تكون البنية السطحية S.S. هي البنية التي تكون في الجملة النواة التي تضبطها القوانين والقواعد التي تتحكم في نظم الكلمات الرئيسية الظاهرة في تلك الجملة G.R. أما البنية العميقة D.S. فهو المعنى الذي تتضمنه الجملة التحويلية الخاضعة لقواعد النحو التحويلي T.R. والتي تهدف لتحقيق المعنى المراد التحول إليه أو التركيز على جانب من جوانبه ممثلاً في مبنى صرفي من مباني الجملة، وما لم تكن هناك حاجة للتغير في مواقع الحكم أو المباني الصرفية لأمر يتعلق بالمعنى، فإن المستويين يتطابقان،



فإن كانت تلك هي الحالة، فإن في الجملة عدداً من الكلمات، تعد الأركان الرئيسية فيها، وعليها تقوم قواعد بناء الجملة في الأصل، تلتحق بها بقية كلمات الجملة، فتأخذ مواقعها في ضوء قواعد النحو التحويلي^(١)، وقد يسأل مائل عن الأسس التي نعتمدها في الحكم بأن ما نسميه تركيب الجملة التوليدية هو الأصل وإن الجملة التحويلية هي

(١) وانظر M. Chomsky, Aspects of theory of syntax, M. I. T. Press, 1978, pp. 10.

16 - 138, 139

(٢) وانظر J. F. Stoll, word order in tashkūt and Universal grammar, Holland.

FF. 1967, p. 8.

جملة ناتجة، فنقول بأن النحاة العرب القدماء قد وضعوا الجملة العربية في قسمين: اسمية وهي التي تبدأ باسم أو بما يقوم مقامه، وفعلية وهي التي تبدأ بفعل، ويكون ترتيب كلمات الجملة في هذين القسمين غالباً مطابقاً للنظامين VSO, SVO، على حد سواء، وهنا يأتي سؤال آخر. أي النظامين إذاً يحقق البنية التحتية، وأياً يمثل البنية السطحية؟ للإجابة، لا بد من اتباع طريقة الاحصاء لجمع عدد كبير من الجمل، وهذه هي الخطوة الأولى في الدراسات اللغوية، والتي تقوم على احصاء الشواهد من أفواه الناطقين باللغة (أو من كتب التراث في حالتنا هذه)، ثم تكون الخطوة الثانية بدراسة النماذج التي قبلت فيها الشواهد والتراكيب اللغوية لبيان الفرض المقصود من كل تركيب، ثم وصف الكيفية التي انتظمت عليها المباني الصرفية في التراكيب لتحقيق ذاك الفرض، ومن ثم تأتي المرحلة الثالثة من الدراسة وهي المقابلة بين نظامي التركيب الواحد VSO, SVO، اللذين يثيران إلى المعنى ذاته مع الإشارة إلى الاختلاف في درجة التوكيد أو الافصاح أو الاهتمام أو العناية...، وأخيراً تأتي مرحلة استنباط القواعد النحوية والقوانين اللغوية التي يتم في ضوءها ترتيب الكلمات في كل تركيب لتحقيق المعنى المقصود، فالجمل التي تشير إلى تغير في ترتيب الكلمات لتغير في المعنى هي التراكيب التي تمثل البنية التحتية أو العميقة D.S، فتطرح منها مجموعة القواعد النحوية والقوانين اللغوية التي تمت الجملة الأولى في ضوءها G.R. ثم تتم ملاحظة ما يطرأ على هذه الجمل من تغيير في مواقع كلماتها وما يلحق بها من حذف أو إضافة.... فتوصف كل حالة وصفاً دقيقاً، ثم تتم دراسة هذا الوصف لرصد مجموعة قواعد وقوانين النحو التحويلي^(١) T. R.

(١) أنظر J. Greenberg, Some Universals of grammar with Particular reference to the order of meaningful elements, P. 103 FF.

يرى تشومسكي أن الركن الرئيسي الذي يجب أن تحققه النظرية اللغوية عند البحث في البنية التحتية هو تحديد الغرض (حدس المتكلم) من التركيب اللغوي وإظهاره من العلاقات النحوية القائمة بين الابواب النحوية التي تنتمي إليها كلمات التركيب^(١)، ولذا فإن القول بأن اللغة العربية تسير في بناء تراكيبيها الاصل على النظام SVO يبتعد بدرامتها عن المنهج الوصفي القائم على تتبع المعنى ووصف الكيفية التي تنتظم عليها المباني الصرفية للتعبير عن ذاك المعنى، وينحوي بها نحو التحليل القائم على:

$$S \rightarrow (S) NP + Pred.$$

ولا مبرر لهذا التحليل الا الوصف الظاهر السريع لكثير من الجمل شائعة الاستعمال في العربية المعاصرة: علي قدم من المدرسة، محمد سافر أمس، خالد قابلني في السوق.....، فيكون تحليلها كما يلي:

$$SVO = S(NP) + Pred (VP)$$

وهذا يقتضي البحث عن مجموعة من القواعد التحويلية التي يتم في ضوئها نقل الفعل الرئيس في الجملة (بؤرتها) .. ونقل الاسم المتقدم فيها، الى موقع آخر للوصول الى المعنى المراد، وإعادة هذين الركنين الرئيسيين الى موقعيهما الاصل في الجملة، فان المعنى يبدو أقل توكيداً، في ذلك الركن منه في الجمل في تركيبها الحالي. ويبدو كذلك ان مجموعة القواعد التحويلية التي تلزم في هذا التحليل تشملها قواعد التحليل الاول VSO، وتبقى بحاجة دائمة إليها، فيكون تحليل الجملة التالية مثلاً:

محمد بلغ رسالته

$$SVO = S(NP) + V (VP) \rightarrow V + S (Pron.) + o$$

(١) أنظر N.Chomsky, Aspects of theory of Syntax, P. 30 ff, 54 - 55

في حين يكون تحليل الجملة ذاتها طبقاً للمنهج الاول كما يلي:

$$VSO = VP \supset NV + O$$

ولو افترضنا منهجاً ثالثاً لتحليل مثل هذه الجملة كما يلي^(١):

$$? \rightarrow = VP + NP$$

لكان تحليل الجملة في ضوءه كما يلي:

$$? \rightarrow VP (VS) + NP (O)$$

وهذا يعني أنها تدير طبقاً للمنهج الثالث المذكور سابقاً، نوضعه
بالرسم التالي:

$$? \rightarrow = \begin{array}{c} \swarrow + \searrow \\ S \end{array} + V \rightarrow + O$$

وهذا يقتضي مجموعة كبيرة من القواعد والقوانين التحويلية التي يتم طبقاً لما نقل S من موقعه ليفصل بين الركنين الرئيسيين المتبقين في الجملة V, O، ولكن هذا المنهج وان بدا فيه الاعتماد على المنهج الوصفي، الا أنه يبقى قاصراً عن الوصول الى البنية العميقة للتركيب الا باستخدام مجموعة معقدة من قواعد التحويل لا تزيد البحث والباحث الا بعداً عن اليسر في الوصول الى المعنى.

ولنرى البنية العميقة وارتباطها بالجملة التحويلية، والبنية السطحية وارتباطها بالجملة النواة أو التوليدية، ننظر في الجمل التالية:

أ/١ - جاء علي VS

ب - مات علي VS

ج - قابل علي خالداً VSO

(١) وانظر F. Anshen and P. Schreiber, *On focus transformations of modern Arabic language*, 1968, PP. 44, 292 - 97, 793.

أ/٢ - علي حضر SV [S (Pron)]

↙e

ب - زيد مات SV [S (Pron)]

↙e

ج - علي قابل خالدًا SV [S + (Pron) + o]

↙e

فإن الجمل (أ/٢، ب، ج) طبقاً لمنهج اهل البصرة تكون من الجمل الفعلية، لأنها تبدأ باسم مرفوع، فالاسم في أولها مبتدأ والجملة بعده خبره، ومرتبطة به وجوباً برابط يعود عليه وهو الضمير المستتر، وقد وضعناه بين قوسين (Pron)، وبمرب فاعلاً للفعل، الفعل الذي هو في حقيقة الأمر موضع الحدث الذي قام به الاسم المتقدم^(١) كما هو الحال في (أ/١، ب، ج) وإنما كان التقديم لأمر يتعلق بتوكيد جزء من أجزاء الجملة، يقول ابن يعيش: (....) وذلك نحو قام زيد وسيقوم زيد، وهل يقوم زيد، فزيد في جميع هذه الصور فاعل من حيث أن الفعل مسند إليه ومقدم عليه، سواء فعل أو لم يفعل، ويؤيد اعراضهم عن المعنى عندك وضوحاً أنك لو قدمت الفاعل فقلت: زيد قام، لم يبق عندك فاعلاً وإنما يكون مبتدأ أو خبراً ممرضاً للعوامل اللفظية^(٢)، فإذا تأمعنا التحليل في ضوء هذا النظام فانتا منجد أن النظام اللغوي الذي جاءت عليه الجمل (أ/٢، ب، ج) هو SVO، وبذا فإن الجملة مكونة من

(١) وانظر S. Smith and D. Wilson, Modern Linguistics, the result of chomsky's revolution, Indiana Univ. Press 1979, P. 101 ff.

(٢) شرح للفصل ١/٧٤.

جملتين: اسمية، مكونة من مبتدأ وخبر، وفعلية، مكونة من فعل وفاعل مقدر ومفعول به. وهذا التحليل SVO هو وصف التركيب المنتج أو التوليدي الذي يضم المعنى الاول للصورة الذهنية عن المتكلم Surface Structure، ليس غير، في حين ادرك النجاة القدماء، معظمهم، البنية العميقة والتحول في المعنى الذي يتم له التحول في المبني، Deep Structure، يقول الجرجاني: «لا يتصور أن تعرف للفظ موضوعاً من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخي في الألفاظ من حيث هي الألفاظ ترتيباً ونظماً، وانك تتوخي الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك^(١)»، فيكون ترتيب الكلمات في تركيب جملي معين بطريقة معينة ليحقق معنى يريده المتكلم، وهكذا يجب أن يفهم السامع، فيقدم ويؤخر مباني التركيب ليصل الى ما يريده من معنى، ويقول رأيت Wirght: ان الفرق بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية في اللغة العربية، هو أن الاولى تصف حدثاً، أما الثانية فتصف شخصاً أو شيئاً، ويكون ترتيب الكلمات فيها بطريقة تحقق ذلك، الا اذا كانت هناك رغبة في تأكيد قسم من أقسام الجملة، فإن هذا يكفي لأن يكون سبباً للتفسير في مواقع الكلم^(٢)»، وبذا تبقى الجملة جملة واحدة تضم معنى يختلف في أهمية أجزائه وتوكيدها عما كان عليه قبل هذا التقديم.

واذا اعدنا دراسة الجملتين (أ/١، جـ) تبين انها تنطبقان على المنهج الاصل VS، وتحققان المعنى الذي يرمي اليه المتكلم من النظم بين الفعل (جاء) والاسم (علي). وبين الفعل (قابل) والاسمين (علي، خالداً)، فانطبقتا بذلك على قواعد الجملة التوليدية O.R، او ان

(١) دلائل الاعجاز: ص ٩٣.

(٢) W. Wright, A grammar of the Arabic Language, 3rd ed. Cambridge University Press, Vol. 2, P. 25

قواعد التوليد هي التي استعملت لبناء كل من الجملتين للتعبير عن
 للمعنى القريب أو البنية السطحية S.S.، ولكنها في (أ/٢، جـ) تحولتا
 إلى SVO باستعمال قوانين النحو التحويلي T.R. تتضمن معنى جديداً
 D.S. بتقديم الفاعل على الفعل أو بتقديم الجزء الذي يراد العناية به،
 وإذا احتاج المتكلم إلى مزيد من التوكيد وضع بعد الفعل ضميراً يعود
 على الاسم المتقدم يزيده عناية وتوكيداً، ويحرب توكيداً لفظياً، يصرف
 النظر عن القول بأن الظاهر لا يؤكد بضمير أو العكس^(١). ويكون
 تحليل الجملة:

$$SVO \Rightarrow S(NP) + V(VP) \supset V + NP(Pron) + O(NP) \Rightarrow \\ [S + [pred. \supset [V + Pron + O]]]$$

في حين أن تحليل الجملة في ضوء منهج أهل الكوفة يتفق مع وجهة
 النظر اللغوية المعاصرة كما يلي:

$$VSO \Rightarrow SVO \left\{ \begin{array}{l} S + V + O \\ Agent + V + O \end{array} \right.$$

فالاسم المتقدم هو فاعل الفعل الذي يليه، ولكنه قد قدم لغرض في
 المعنى، فهو فاعل مقدم في جملة تحويلية فعلية.

ويمكن أن يرتبط التقديم بعنصر تحويلي آخر، هو النغمة الصوتية،

$$VS \Rightarrow SV \quad \text{فنقول: طائر يتكلم؟!}$$

$$VSO \Rightarrow SVO \quad \text{عدوك يحترمك؟}$$

فالتركيبان في أصلها التوليدي: يتكلم طائر، يحترم عدوك أياك،
 ولكن موضع الدهشة والمجب لا يظهر في هذا النوع من التركيب
 فيجري تحويل في الجملتين بتقديم موضع المجرى والدهشة، ثم تنطق كل
 جملة بالنغمة الصوتية التي تحقق انتقال الخبر إلى الدهشة، بنغمة صوتية

(١) أنظر شرح للفصل ٤٢/٣، ٩٩، ٧٤/١.

صاعدة بعد أن كانت تنطق بنغمة صوتية مستوية، وقد عبّر النحاة عن النغمة الصوتية الصاعدة في مثل هذين المثالين بأنها من الاستفهام محذوف الاداة، والتقدير عندهم: أطائر يتكلم؟! أعدوك يحترمك؟!، ولا ريب، أن المعنى التحويلي العميق مع ما في الجملتين من الترتيب والنغمة الصوتية واضح مختلف عن المعنى القريب في الجملتين التوليديتين.

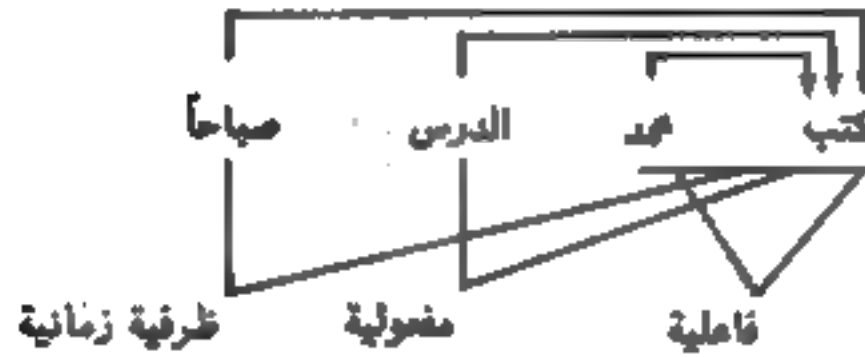
وأما أغراض التحويل فإبراز المعاني المتعددة المتباينة التي تؤديها اللغة بتراكيبها المختلفة، التوكيد والنفي والأخبار والتوسيع، والإيجاز للفصاحة والبلاغة،... الخ، بصرف النظر عن قائل عناصر الزيادة في الأثر الأعرابي الذي تركه على الكلمات التي قليها، فيمكن أن يجمع في النفي مثلاً كل الطرق التي تؤدي معنى النفي ولا أثر للحركة فيها في المعنى وهكذا في التوكيد وغيرها، وينظر إلى الحركة الأعرابية على أنها حركة اقتضاء لهذه الأداة أو تلك مع الاهتمام بالمعنى الذي يريده المتكلم بادخال هذه الأدوات في الجمل، وكذا المعنى الذي يفهمه السامع عند سماع الجمل التي فيها هذه العناصر.

ولننمذ دراسة تطبيقية، نطبق فيها هذا المنهج، ونجمع فيها الأساليب اللغوية من الأبواب النحوية المتعددة، ونأخذ مادة هذا التطبيق من دواوين الشعراء: لبيد، زهير بن أبي سلمى، امرئ القيس، قيس بن مقبل، وقد أعدنا قسماً كبيراً منها، فاستجابت المادة للمنهج بل وانطبق عليها مبرزاً ما فيها من جمال وحسن ومعنى، ونستعين بالله لنشره قريباً.

ظاهرة التلازم

نقصد بالتلازم اتحاد كلمتين أو أكثر اتحاداً وظيفياً حتى أنها تعتمد كالكلمة الواحدة في موقعها في التركيب الجملي، فتؤدي معنى واحداً،

تقسيمه يبعده عما اراده له المتكلم، فيكون الاتحاد بين الكلمتين بطلاقة نحوية معينة ثم ترتبطان ببيورة الجملة (الفعل في الجملة الفعلية والمبتدأ في الجملة الاسمية، التوليدية او التحويلية)، والتلازم نوعان: نوع يكون الفصل فيه بين المتلازمين ممكن سائغ، بل ويؤدي غرضاً بلاغياً أو يوصل الى معنى تحويلي، وهو القائم بين الفعل والفاعل^(١). فالعلاقة القائمة بينهما هي علاقة الفاعلية، ولكن الفاعل يمكن ان يتقدم او يتأخر وان كان الاصل فيه ان يلي الفعل - كما اوضحنا في الجملة التوليدية -، ولكنه قد يتقدم، فيكون ذلك لغرض التوكيد والعناية، وقد يتأخر لغرض العناية والاهتمام بما قدم عليه، ولكنه يرتبط بفعله حتى انها ليعدان كالكلمة الواحدة، ثم ترتبط بقية كلمات الجملة بها ارتباط الدوائر بالبيورة هكذا:



وربما كان هذا الترابط بين الفعل والفاعل هو الذي دفع النحاة الى القول بأنه لا بد لكل فعل من فاعل، مذكور او مقدّر، وهو الذي يدفع المحلل او المرب لان يبحث عن فاعل بمجرد ذكر كلمة (فعل). لأن الفعل بحاجة دائماً الى فاعل ليتحدد معه ويلازمه ليستقيم معناه، والفاعل

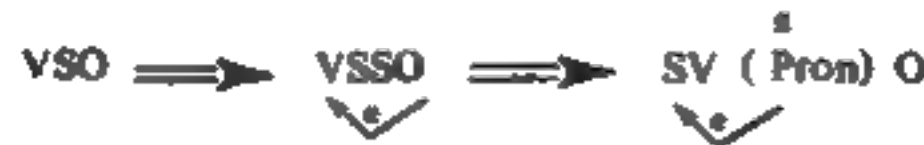
(١) أنظر: أسرار العربية، ابن الانباري ص ٧٩.

بحاجة الى ما يسند اليه فيكون له معنى يشير اليه ترتيبه مع ما يسند اليه وموقعه منه، فيبقى الفاعل فاعلاً وان تقدم أو تأخر، ولكن معناه في حالتى التقديم والتأخير ليس هو اياه. تركيزاً واهتماماً وعناية، قبل التقديم او التأخير، ويمكن ان يتقدم الفاعل او يتأخر ويذكر في الوقت ذاته مرة اخرى ولكن في صورة ضمير يعود على التقديم او التأخر. ويكون لمزيد من التوكيد والعناية والاهتمام. وهو الامر الذي يرفضه النحاة بحجة ان الضمير يجب ان يعود على ظاهر متقدم، وبحجة ان الظاهر لا يؤكد بضمير^(١)، نقول:

الطالب غادر / هو / الصف.



فيدرك المتحدث ان الاصل الذي يجب ان تكون الجملة عليه، (الجملة النواة) المتضمنة البنية السطحية S.S. وهو: غادر الطالب الصف، فاحتاج الى معنى اعنى من مجرد الاخبار، فكان عليه ان يقول: غادر الطالب الطالب الصف، واللغة تقبل استبدال الضمير بالاسم الظاهر، فاصبحت الجملة: غادر الطالب هو الصف، ولما احتاج المتحدث الى معنى عميق آخر، والمقام هنا مقام توكيد^(٢)، فقد قدم (الطالب) على الفعل فاصبحت: الطالب غادر هو الصف، فيكون تحليلها:



(١) وانظر شرح الفصل ٤٧/٣.

(٢) البحر المحيط ٤٧/١ - ٤٨.

ولعل في هذا ما يفسر لنا بوضوح اتساق لغة أكلوني البراغيث مع اللغة العربية السليمة، ولا يحول دون قبولها مع كثرتها في كتب التراث ومع وجودها في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف، يقول تعالى: ﴿فعموا وسموا ثم تاب الله عليهم، ثم عموا وصحوا كثير منهم﴾ ويقول تعالى في قراءة حمزة والكسائي: ﴿أما يبلغان عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ ويقول: ﴿واسرورا النجوى الذين ظلموا﴾.

وجاء في الحديث: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وجاء فيه أيضاً: «يمتزلن الخيض المصلى».

وقال الشاعر:

يلومونني في اشتراكي التخيل أهلي فلسمكم اليوم
ويقول آخر:

تولى قتال المارقين بنفسه وتسدد أسلماه مبعود وحيم
ويقول الشاعر:

فتح الربيع محاسناً القعنهما غر الحائث
ولعل من المفيد أن نشر هنا إلى رأي أحد الباحثين الغربيين Rabin في أن لغة أكلوني البراغيث هي لهجة قبيلة عربية قديمة كانت لغتها تسير في ترتيبها طبقاً للامطار الاصل للغة العربية VSO، فلا تسمح بتقديم الفاعل على الفعل، فيجب أن تبدأ الجملة الفعلية عندهم بفعل، ومع أننا لا نسلّم بوجهة نظر رايبين، إلا أننا نرى فيها درجة من الاتساق مع منطق اللغة، فهذه القبيلة كانت تذكر الفاعل بعد الفعل، فإذا أرادت أن تؤكد، فلا بد من تكراره لفظاً أو على صورة ضميره،

(١) C. Rabin, Ancient west - Arabia, London, 1951, P. 168.

فتكون الجملة التوليدية التي تتضمن المعنى القريب: اكل البراغيث اياي، VSO تتحول الى: اكل البراغيث البراغيث اياي VSSO أو: اكل البراغيث هم اياي: فالتحق الضمير بالفعل ولكن يرسم آخر وهو الواو التي هي لاصقة تعبر عن اسناد الفعل الى الجماعة وتؤكد المسند اليه في هذا المقام، فتصبح الجملة: اكلوا البراغيث اياي. ثم جرى في الجملة تحويل آخر طبقاً لقواعد النحر التحويلي، فاصبحت: اكلوني البراغيث، باضافة نون الوقاية التي لها وظيفة صوتية نص عليها علماء العرب في كثير من اعيانهم، فما كانت الواو الا لتوكيد الفاعل في هذه اللهجة.

ونأخذ نموذجاً آخر مما يتم فيه التحويل من جملة نواة الى جملة تحويلية او من بنية سطحية الى معنى عميق، نأخذه مما يتقدم فيه المفعول به، مرة بلا عائد واخرى بالضمير العائد فيما يسمى بباب الاشتغال، نقول: التلميذ اكرم المعلم $VSO \rightarrow OVS$ ، فهي في الاصل VSO ثم تحولت الى OVS لمعنى تحويلي عميق هو توكيد المفعول به عن طريق عنصر من عناصر التحويل (الترتيب)، والعرب ان ارادت العناية بشيء قدمته، فكلمة (التلميذ) مفعول به مقدم باجاء النحاة، وذلك لعدم وجود لبس بين حركة الاسم المتقدم (التلميذ) وحركة الاسم الذي يقع في اول الجملة (المبتدأ)^(١) كما هو الحال عند تقديم الفاعل اما في الجملة: الطالب اكرمه، فعلى الرغم من انه لا لبس في الحركة بين المفعول والمبتدأ الا ان نحاة البصرة يقدرون فعلاً يعمل فيها النصب يفسره الفعل المذكور بعده، لتكون (الطالب) مفعولاً به للفعل المقدّر^(٢)،

(١) وانظر: المجمع ١١١/٢، ١١٢، الكواكب المضيئة - محمد بن أحمد الاصل، دار

الكتب العلمية، بيروت، نشر دار الياز - مكة ٥/٢.

(٢) انظر رأي ابن مضاء في الرد على النحاة ص ٩٨.

لأن الفعل المذكور في الجملة قد حصل على مفعوله الذي هو الضمير، وليس هذا للفعل عما يتعدى إلى مفعولين فلا سبيل إلى تبرير الفتحة على (الطالب) إلا بالقول بعامل محذوف يضره المذكور بعده، فيكون تحليل الجملة عند أهل البصرة.

VSO /// + VSO ///

أي أنها مكونة من جملتين، وبذا فإنها من حيث المعنى تكون جملة مؤكدة. تؤكداً لفظياً، وينصب التوكيد على أجزائها كلها (الفعل والفاعل والمفعول به)، والقريب أن يكون النصب قد وقع على الاسم المتقدم بعامل محذوف وجوباً، لا يجوز إظهاره، ويشترط أن يكون مماثلاً للمذكور بعده^(١)، ومن الطريف كذلك أن هذا المقدم قد يشترط فيه الرفع الواجب، في حالات: خرجت فإذا زيد يضربه عمرو، ولو نصب بتقدير الفعل لفسد المعنى^(٢)، في حين يرى أهل الكوفة أن الفعل إنما يتصرف إذا كان متصرفاً في نفسه، فالاسم المتقدم على الفعل بالفعل الواقع على الماء^(٣)، يقول صاحب الكافية، يرى أهل الكوفة أن الفعل عامل في (زيد) كما أنه عامل في ضميره: «وإنما جاز عندها (الكسائي والفراء) أن يعمل الفعل الطالب لمفعول واحد في ذلك المفعول وفي ضميره معاً في حالة واحدة لأن الضمير في المعنى هو الظاهر، فتكون فائدة تسليطه على الضمير بعد تسليطه على الظاهر المقدم تأكيد إيقاع الفعل عليه ولو قيل على مذهبها أن المنتصب بعد الفعل الظاهر هو

(١) الكواكب النرية: ٦/٢.

(٢) السابق ٦/٢، وانظر الانصاف مسألة ١٢، وشرح الفصل ٢٠/٢.

(٣) الانصاف مسألة ١٢، الكتاب ٦٧/١.

بدل الكل من المنصوب المتقدم لكان قولاً^(١)، فيكون تحليل الجملة عند أهل الكوفة.

$$VSO \Rightarrow OVS (Pron) + Pron$$

ونحن نرى ان المتكلم انما أراد توكيد جزء من المعنى مثلاً بجزء من الجملة، وليس بالجملة كلها، بالفعل به، فقدّمه، يقول ابو حيان: «والتقديم عندنا انما هو للاعتناء والاهتمام بالفعل، وسب اعرابي آخر فاعرض عنه، فقال: اياك اعني، فرد عليه: وعنك اعرض، فقدّم الأهم^(٢)»، ولما أراد مزيداً من التوكيد (المتكلم) ذكره مرة ثانية في موضعه الاصل، فأصبحت الجملة: أكرمت الطالب الطالب، فاستبدل بالطالب ضميره، والعرب تجتنب اجتماع المشبهين^(٣)، وليس الاستبدال بالطالب المتقدم، لأنه حينئذ يحتاج الى ما يعود عليه، متقدماً عليه. فبدا تصل الجملة الى وضعها التحويلي الفعلي الاخير، الطالب اكرمته، فالجملة في قواعد النحو التوليدي هي VSO ثم تحولت طبقاً لقواعد النحو التحويلي ولتفيد معنى جديداً، الى OVS ثم جاءت زيادة لمزيد من التوكيد، هكذا:

$$VSO \Rightarrow OVSO \Rightarrow OVSO (Pron)$$

(١) انظر: الكافية ١٦٢/١ - ١٦٣، وانظر شرح التصريح: ٣٥٠/١، وحاشية الصبان: ٥٧/٢.

(٢) البحر المحيط: ٢٤/١.

(٣) الأشباه والنظائر - السيوطي ٢٣/١.

فتكون كلمة الطالبية: مفعولاً به مقدم لغرض التوكيد.
 واكرم: فعلاً ماضياً وقاعله...
 الهاء: ضميراً متصلاً ذكر توكيداً للغرض من
 تقديم المفعول به وهو توكيد له.

ولا يختلف القول كثيراً في الجملة السابقة عما يمكن ان يقال في
 الجمل ذات الفاعل المقدم المسبوق بإداة تختص بالدخول على الفعل^(١)،
 اذا، إن كما في: اذا السماء انشقت، اذا السماء انفطرت، ان احد من
 المشركين استجارك فاجره، و«ان امرأة خافت من بعلها نشوزاً او
 اعراضاً»^(٢)... نأخذ الآية الاولى لتحليلها طبقاً لمنهجي البصرة،
 والكوفة وليتضح ما نقصده بقولنا البنية العميقة القائمة على تحويل
 الجملة من توليدية منتجة الى تحويلية ناتجة.

«اذا السماء انشقت»، يرى اهل البصرة انها مكونة من جملتين،
 حيث ان السماء فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده: اذا انشقت
 السماء انشقت هي: [VSO///+ VSO///] = Art S وهذا
 يكون التوكيد توكيداً لفظياً، جملة بجملة، يقول سيبويه: أن حروف
 الجزاء يقبح أن تتقدم الأسماء فيها قبل الأفعال، وذلك لأنهم شبهوها بما
 يجرم^(٣). كما أنهم لا يميزون أن يكون الاسم الواقع بعد هذه الأدوات
 مبتدأ لأن الابتداء هو التمري من العوامل اللفظية المظهرة أو
 المقدرة^(٤)، ولكن الذي نراه أن الجملة هنا محاولة تحمل معنى عميقاً غير
 الذي كان لها عندما كانت توليدية: انشقت السماء، خبرية، اذ أنها

(١) وانظر: شرح التصريح: ٢٠٥/١، ٢٠٨.

(٢) وانظر الانصاف مسألة: ٨٥، ٨٦.

(٣) الكتاب ١٠٠/٣.

(٤) الانصاف مسألة ٨٥.

أصبحت تحويلية فعلية مؤكدة:

→ = Art [VS] ⇒ Art [SV]

فالسما فاعل مقدم للفعل انشقت لغرض التوكيد، ثم كانت التاء في آخر الفعل اشارة الى جنس المحدث اليه المقدم لتحديد والتذكير به، وبذا يكون التركيب بكامله جملة واحدة.

S → = Art [VS] ⇒ Art [SV + NM] ^(١)

وربما كان هذا الذي دار في ذهن الاخفش عندما قال برأين بخالف في احدهما الآخر، فقال في كتابه معاني القرآن ^(٢) بأن هذه الادوات مختصة بالدخول على الفعل، واما فيما ينقله عنه صاحب معني اللبيب فهو يرى ان هذه الادوات ليست مختصة، فتدخل على الاسم تارة وعلى الفعل اخرى ^(٣).

قلنا ان التلازم قسمان وقد عرضنا القسم الاول. اما الثاني فهو التلازم الذي لا يتم الفصل فيه بين المتلازمين وان تم فذلك قبيح، لا تأخذ به العربية الا في حالات قليلة ممدودة، ولها تخرج لغوي وان عدّها النحاة شاذة. ويمثل هذا القسم الظواهر اللغوية التالية:

١ - التلازم بين المضاف والمضاف اليه وبين حرف الجر

ومجروره:

يقول ابن جني: «والفصل بين الجار والمجرور لا يجوز، وهو اقبح منه الفصل بين المضاف والمضاف اليه» ^(٤)، وذهب البصريون الى انه لا

(١) Nonn Modifier = NM

(٢) معاني القرآن ٥٣٤/٢

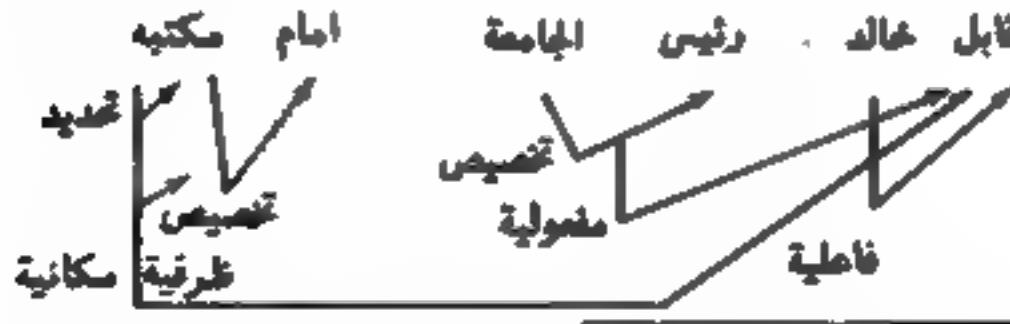
(٣) انظر معني اللبيب ٩٣/١

(٤) الخصائص: ٣٩٥/٢

يجوز الفصل بين المضاف والمضاف اليه^(١)، بغير الطرف وحرف الجر في حين يرى اهل الكوفة ان ذلك جائز بغير ما ذكره البصريون، ورجح ابو حيان رأي الكوفيين بقوله: «واجازها جمهور الكوفيين، وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة الى العربي المصريح الهض، ابن عامر، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل ان يظهر اللحن في لسان العرب^(٢)، وذلك في الآية: ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم﴾، والذي نراه ان المضاف والمضاف اليه كالكلمة الواحدة تتحدان برابط نحوي هو الاضافة ثم ترتبط الكلمة الناتجة (من حيث المعنى) بهيئة الجملة (المبتدأ او الفعل) نقول مثلاً:



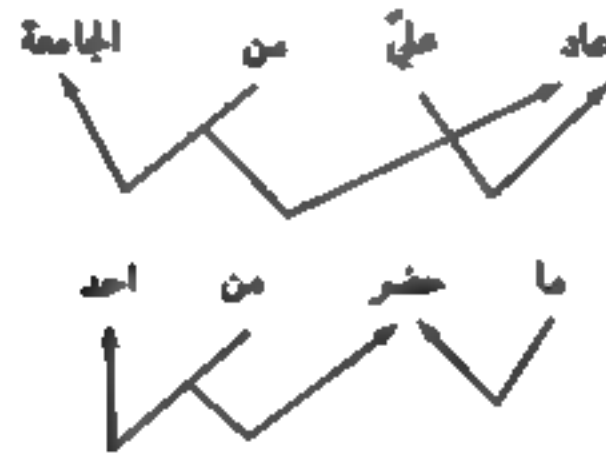
فعندما نحلل مثل هذه الجملة، نعدّها VSO، ولكن المفعول به فيها مكون من كلمة محدّدة مضمّنة لكلمة مبهمّة، والكلمتان في موقع واحد (رئيس الجامعة) مفعول به، ونقول:



- (١) انظر، الانصاف ٦٠، معاني القرآن - الفراء، ٢٥٧/١، وانظر البحر المحيط
٢٢٩/٤ - ٢٣٠، وشرح الفصل ٢١/٣ - ٢٣.
(٢) البحر المحيط: ٢٢٩/٤٠ - ٢٣٠.

رئيس الجامعة، ترتبط بالفعل ارتباطاً مكملًا بعلاقة المفعولية عوامام مكتبه، ترتبط بالفعل ارتباط الاشارة الى مكان، فالاسم المضاف مع الاسم الذي يضاف اليه يكونان في الحكم والاعراب بمثابة الكلمة الواحدة، تأخذ حكماً واحداً في الجملة وترتبط باليؤرة ارتباطاً يجمع بينهما.

٢ - وما ذكرناه عن المضاف والمضاف اليه نقوله عن الجار والاسم الذي يأتي بعده، فالارتباط بينهما لا يميز ادخال عنصر جديد، يقول ابن جني: «والفصل بين الجار والمجرور لا يجوز»^(١)، فيرتبطان بعلاقة الاقتضاء ولتعدد المعنى الذي يفيد حرف الجر: الغاية المكانية او الزمانية، او الواسطة، او الاستعانة او للتبويض او الاستعلاء... او غير ذلك^(٢)، ويكون ارتباطها بيؤرة الجملة ارتباط الكلمة الواحدة، فتأخذ حكماً واحداً بصرف النظر عن الحركة التي اخذها الاسم المجرور، فهي حركة اقتضاء، ولا اثر لها في معنى الجملة، فالحرف هو الذي يعطي المعنى المراد، التوكيد او الواسطة... اما الاسم فيأخذ الحكم، مع ان حركته هي حركة حالة الجر. نقول:



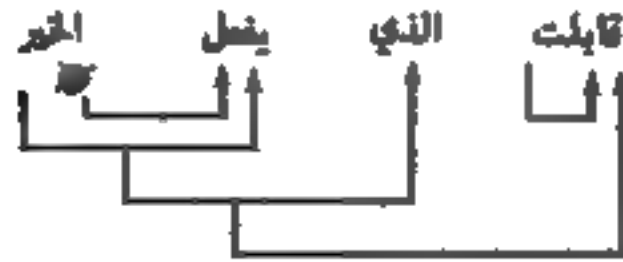
ونقول:

(١) الخصائص: ٣٩٥/٢.

(٢) انظر: معاني الحروف، الرماني، معاني القرآن، القراء ٧٨/٢، ٢١٥/٢، معني اللبيب ١٠٥/١، ٧٦/١، تفسير القرطبي ٩٠/١٨.

فجاء الجار والمجرور في الجملة الاولى تنمة او عنصر تحويل ليفيد عن المكان الذي عاد منه الفاعل، ولا اثر للحركة الاعرابية على آخر كلمة (الجامعة) لانها حركة اقتضاء لحرف الجر (من)، اما في الجملة الثانية فقد جاءت كلمة (احد) هي الفاعل وجاءت (من) للتوكيد. اما (احد) فهي الفاعل وان كانت حركته الكسرة، فالكسرة هنا كسرة اقتضاء ليس غير، ولا اثر لها في المعنى، كما فصلنا القول في شبه الجملة في «الزيادة عنصر من عناصر التحويل».

٣ - التلازم بين الموصول والصلة: لا نرى حاجة للحديث في امكان الفصل بين الموصول والصلة، فقد تحدث في هذا الموضوع عدد كبير من النحاة، من القدماء والمحدثين، والذي نعنيه هنا بالتلازم ان الاسم الموصول، لا يهامه وعدم اشارته الى مدلول بعينه، لا ينفك يحتاج الى ما يأتي بعده، جملة فعلية أو اسمية، ويكون مع صلته في المعنى والحكم كلمة واحدة، ترتبط بضرورة الجملة لتقوم بدورها في المعنى، وقد ادرك النحاة العرب القدماء هذا الذي نذهب اليه، وذلك بقولهم: «جملة الصلة لا محل لها من الاعراب»، وذلك لأنها جاءت لتحديد الاسم قبلها ولتخصيصه.



فالجملة تحويلية فعلية جاء التحويل فيها للتوسيع والكشف عن معنى مبهم. وما القول: لا محل لها من الاعراب، الا محاولة لتبرير العمل والفاعل والحركة الاعرابية.

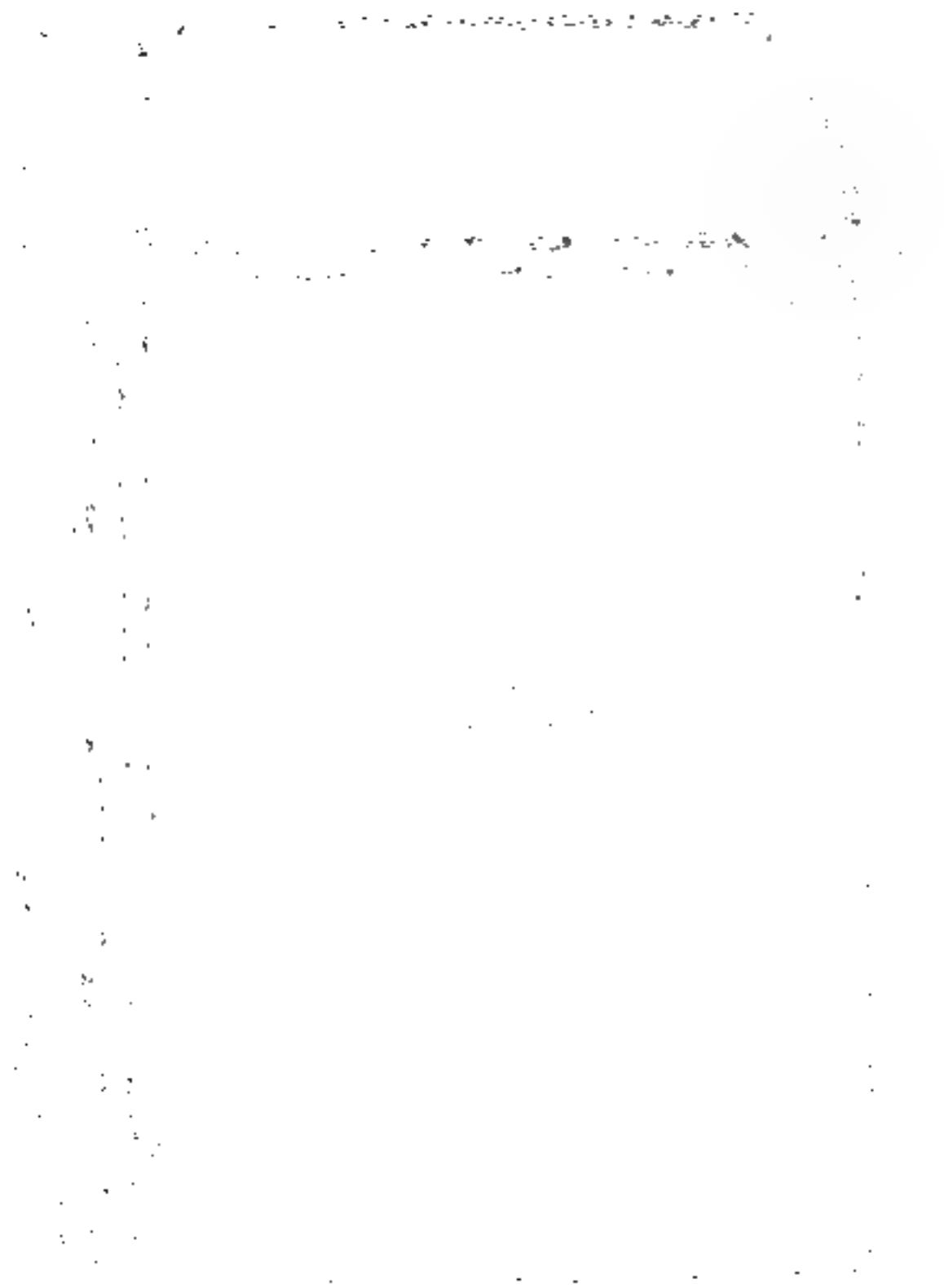
■ - التلازم بين التعت والمنعوت: لا نرمي من هذا العنوان ان
نناقش قضية الفصل بين التابع والمتبوع، ولا احلال احدهما مكان
الآخر، ولكننا نقصد انه ان وجدا في الجملة فوجب ان يكونا في الحكم
كلمة واحدة، لا يتم معناها في سياقها الا بذكر شقها الثاني، مثلها في
ذلك مثل المضاف والمضاف اليه، نقول:



فارتبطت (الطالب المجتهد) باكرمت كالكلمة الواحدة.
وربما كان توسيع هذا البند ليشمل بقية التوابع امراً تقبله اللغة،
ويسر امكان الوصول الى ما في التراكيب من معان.

استناداً الى فكرة التحويل، يستطيع الباحث ان يجمع المعاني
اللغوية الكبرى التي تكون لها التراكيب اللغوية في ابواب رئيسية، يجمع
فيها العناصر التي تؤدي معنى بيمينه بصرف النظر عن الحركات التي
تقتضيها هذه العناصر. فيمكن ان يجمع التوكيد بالتقديم والتأخير
والتوكيد بالاداة والتوكيد بالنبر او التنعيم... في باب واحد، والنفي
بليس وما ولا ولات وبغيرها في باب واحد... وهكذا في بقية المعاني.
والله نسأل ان يوفقنا لأن نفرغ من هذا العمل قريباً، وان يكتب
لنا عليه اجر النية الحسنة. انه نعم المولى ونعم النصير.





المراجع العربية

- ١ - الأخفش - صفاتي القرآن - ت. د. فايز فارس الحمد، الكويت، المطبعة العصرية، ١٩٧٩.
- ٢ - الأزهرى: شرح التصريح على التوضيح.
- ٣ - الاستنبولي، صدر الدين: الموفى في النحو الكوفي، شرح محمد بهجة البيطار.
- ٤ - الاستراباذي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، ت. محمد نور الحسن وغيره دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥.
- ٥ - الاستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية ط ٢، ١٩٨٢ م.
- ٦ - الاشموني: شرح الاشموني.
- ٧ - الاصفهاني - الدرة الفاخرة في الامثال السائرة: ت. د. عبد المجيد قطامش مطابع دار المعارف - القاهرة، ١٩٧١.
- ٨ - ابن الانباري: اسرار العربية.
- ٩ - ابن الانباري: الانصاف في مسائل الخلاف. تحقيق محمد عي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩.
- ١٠ - ابن الانباري: نزهة الالباء في طبقات الادباء، ت. ابراهيم السامرائي بغداد، ١٩٥٩.
- ١١ - أنيس، ابراهيم: الاصوات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية ط ٥، ١٩٧٩.

- ١٢ - أنيس، ابراهيم: من أسرار العربية، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥.
- ١٣ - الأهدل، محمد بن أحمد: الكواكب الدرية، دار الكتب العلمية بيروت، نشر دار الباز - مكة. ١٩٣٨.
- ١٤ - اهلوار، رونالد، مدخل الى اللسانيات، ترجمة بدر الدين قاسم، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٠.
- ١٥ - براجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، اخرجه وصححه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٢.
- ١٦ - بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف.
- ١٧ - بروكلمان، فقه اللغات السامية.
- ١٨ - بشر، كما محمد، علم اللغة العام - الاصوات - القاهرة ١٩٧٣.
- ١٩ - البقلي، محمد قنديل: وحدة الامثال العامية في البلاد العربية، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة، ١٩٦٨.
- ٢٠ - بكر، يعقوب: دراسات في فقه اللغة العربية.
- ٢١ - ترزي، فتواد: في أصول اللغة والنحو.
- ٢٢ - ثعلب، أبو العباس: مجالس ثعلب، ت: عبد السلام هارون ١٩٦٠.
- ٢٣ - المجراني، عبد القاهر: دلائل الاعجاز، نشر: عبد المنعم خفاجي، القاهرة ١٩٦٩.
- ٢٤ - المجراني، عبد القاهر، دلائل الاعجاز، نشر: محمد رشيد رضا.
- ٢٥ - المجراني، علي بن محمد، التعريفات، مكتبة الحلبي - القاهرة، ١٩٣٨.

- ٢٦ - الجمل، سليمان بن عمر: الفتوحات الالهية، عيسى الباي الحلبي - القاهرة.
- ٢٧ - ابن جني، ابو الفتح - الخصائص، ت: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة - بيروت.
- ٢٨ - ابن جني، ابو الفتح، سر صناعة الاعراب، القاهرة ١٩٥٤.
- ٢٩ - ابن جني، اللع في العربية، ت فايز فارس.
- ٣٠ - حجازي: محمود فهمي، علم اللغة، الخانجي، القاهرة.
- ٣١ - الحديثي: خديجة: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه.
- ٣٢ - ابن حزم: الاحكام في أصول الاحكام.
- ٣٣ - حسان، تمام: التراث اللغوي عند العرب، في مجلة فصول العدد الأول ١٩١٣.
- ٣٤ - حسان، تمام: اللغة العربية مبناها ومعناها، الهيئة المصرية العامة ١٩٨٠.
- ٣٥ - حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، ١٩٧٤.
- ٣٦ - حسان، تمام: الأصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢.
- ٣٦ - حسين، عبد القادر: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر، ١٩٧٠.
- ٣٧ - حلواني، محمد خير: أصول النحو العربي.
- ٣٨ - الحموي، ياقوت: معجم الادباء، دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٣٩ - أبو حيان، البحر المحيط. مطبعة الممادة - القاهرة ١٣٢٨ هـ.
- ٤٠ - خرما، نايف: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة ١٩٧٨.
- ٤١ - ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت ١٩٧٨.

- ٤٢ - زاده، طاس كبرى، مفتاح السعادة.
- ٤٣ - الزبيدي، ابو بكر، طبقات النحويين، ت ابو الفضل ابراهيم - دار المعارف.
- ٤٤ - الزجاجي، الايضاح في علل النحو، ت مازن المبارك ١٩٥٩.
- ٤٥ - الزجاجي، كتاب اللامات، دمشق ١٣٨٩ هـ.
- ٤٦ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٧.
- ٤٧ - زكريا، ميثال: الألفية التوليدية والتحويلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٢.
- ٤٨ - زهايم، رودلف. الامثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٢.
- ٤٩ - الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦.
- ٥٠ - الزمخشري: المستقصى في الامثال، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٧.
- ٥١ - السامرائي: ابراهيم، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٨.
- ٥٢ - السامرائي: ابراهيم: في النحو العربي نقد وبنساء، دار الصادق - بيروت ١٩٦٨.
- ٥٢ - السامرائي: مهدي صالح: المجاز في البلاغة العربية، دار الدعوة، حاة، ١٩٧٤.
- ٥٣ - السجاعي: حاشية السجاعي على القطر.
- ٥٤ - المدومي، ابوفيد، كتاب الامثال، تحقيق رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة، ١٩٧١.
- ٥٥ - ابن السراج، الاصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي،

- مطبعة النعمان - النجف ١٩٧٣.
- ٥٦ - سيوييه، الكتاب، ط، بولاق، وطبعة هارون، عالم الكتب.
- ٥٧ - السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، حيدر آباد، ١٣٥٩ هـ.
- ٥٨ - السيوطي، المزهري في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وغيره، دار احياء التراث.
- ٥٩ - السيوطي، معجم الهوامع، بيروت، دار المعرفة.
- ٦٠ - الشلقاني، عبد الحميد، مصادر اللغة، الرياض، ١٩٨٠.
- ٦١ - الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٦.
- ٦٢ - الصبان، حاشية الصبان.
- ٦٣ - الصمدي، عبد المتعال، النحو الجديد، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧.
- ٦٤ - ابو صوفة، محمد: الامثال العربية ومصادرها في التراث، مكتبة الاقصى - عمان.
- ٦٥ - طلب، عبد الحميد، أصول النحو وتاريخه، مكتبة الشباب، القاهرة.
- ٦٦ - عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ٦٧ - عبد النور، جبور، المعجم الادبي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩.
- ٦٨ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد المريان، دار الفكر.
- ٦٩ - عبده، داود، أبحاث في اللغة العربية، بيروت.
- ٧٠ - ابن عصفور، شرح جل الزجاجي، الجزء الأول، بغداد.

- ٧١ - المطار، حاشية المطار على شرح الازهري.
- ٧٢ - ابن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد، دار الفكر - ١٩٧٩.
- ٧٣ - الهادي، ابو السعود، تفسير أبي السعود، دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٧٤ - عمارة، خليل: البنية النحوية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي، في مجلة الأقلام بغداد عدد ٩، ١٩٨٢.
- ٧٥ - عمارة، خليل، معجم الامثال والاقوال في لسان العرب. تحت الطبع.
- ٧٦ - عمارة، خليل، نبر الكلام وعوامله بين الوصفية والمياريية في أوزان الافعال الماضية والمضارعة، الاقلام.
- ٧٧ - عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي - عالم الكتب القاهرة ١٩٧٦.
- ٧٨ - عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، دار المعارف، القاهرة.
- ٧٩ - عمر، أحمد مختار، من قضايا اللغة والنحو، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٤.
- ٨٠ - عون - حسن، دراسات في اللغة والنحو، الاسكندرية ١٩٦٦.
- ٨١ - الفارابي: ديوان الادب، تحقيق أحمد مختار عمر ١٩٧٤.
- ٨٢ - ابن فارس: الصحاح في فقه اللغة، ت أحمد صقر، القاهرة ١٩٧٧.
- ٨٣ - الفارسي، ابو علي: المسائل السكريات، ت اسماعيل عمارة عمان ١٩٨٠.
- ٨٤ - الفراء، ابو زكريا: معاني القرآن، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ١٩٧٢.

- ٨٥ - القراييدي، الخليل بن أحمد: المعين بغداد ١٩٦٧.
- ٨٦ - فك، يوهان: العربية دراسات في اللفظة واللهجات والأساليب - القاهرة ١٩٨٠.
- ٨٧ - الفيروزآبادي: القاموس المحيط.
- ٨٨ - القالي، أبو علي: الامالي، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٥.
- ٨٩ - ابن قتيبة، أذب الكاتب، ت محمد عبي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ١٩٦٣.
- ٩٠ - القرطبي: الجامع في أحكام القرآن، مصور من طبعة دار الكتب، دار الكاتب العربي القاهرة، ١٩٦٧.
- ٩١ - القرطبي، ابن مضاء: الرد على النحاة، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٧٩.
- ٩٢ - القزويني، جلال الدين: التلخيص في علوم البلاغة، ت عبد الرحمن البرقوقي، دار الكاتب العربي - بيروت.
- ٩٣ - كمال، ربحي: اللفظة العبرية.
- ٩٤ - ابن مالك، تسهيل الفوائد وتقرير المقاصد، القاهرة.
- ٩٥ - المبرد، أبو العباس: المقتضب، ت محمد عبد الحلق عضية، عالم الكتب بيروت ١٩٦٣.
- ٩٦ - الخزومي، مهدي: في النحو العربي نقد وتوجيه.
- ٩٧ - الخزومي، مهدي: مدرسة الكوفة.
- ٩٨ - ابن مضاء: الرد على النحاة، ت شوقي ضيف، وت: محمد البنا.
- ٩٩ - مصطفى، ابراهيم: احياء النحو، القاهرة ١٩٥٩.
- ١٠٠ - مطلوب، أحمد: البلاغة العربية.
- ١٠١ - المهيري، عبد القادر: «مساهمة في تحديد الجملة الاسمية» في

الحوليات التونسية عدد ٥ ، ١٩٦٨ .

- ١٠٢ - أبو موسى، محمد: خصائص التركيب، مكتبة وهبة، القاهرة
١٩٨٠ .
- ١٠٣ - الميداني، محمد: الامثال، ت محمد محي الدين عبد الحميد
١٩٥٥ .
- ١٠٤ - ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت .
- ١٠٥ - هارون، عبد السلام محمد: الاساليب الانشائية في النحو
العربي .
- ١٠٦ - ابن هشام، اوضح المسالك الى الفية ابن مالك، ت محمد عبد
الحميد، القاهرة ١٩٥٣ .
- ١٠٧ - ابن هشام: شرح شذور الذهب، تحقيق محمد عبد الحميد .
- ١٠٨ - ابن هشام: قطر الندى وبل الصدى - تحقيق محمد عبد
الحميد، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٦٣ .
- ١٠٩ - ابن هشام: مفني اللبيب، تحقيق محمد عبد الحميد، مطبعة
المدني - القاهرة .
- ١١٠ - ابن يمش، شرح المفصل، عالم الكتب - بيروت، مكتبة
المن - القاهرة .

المراجع الأجنبية

- 1) AMAIRE, K. A. «Various elements ascertaining meaning in Arabic grammar» in Journal of semitic studies, vol. 26, No. 1, 1981.
- 2) AMAIREH, K. A., «The affective meaning of some exclamatory styles in Arabic grammar», in Al-Arabiyya, 15, 1982.
- 3) AMAIREH, K. A., «Aspects of classification and functional syntax in classical Arabic grammar» in, International Journal for Arabic and Islamic studies, vol. 1, 1984.
- 4) EL-ANE, S. Arabic phonology, Mouton, 1970.
- 5) ANDERSON, S. R., The organization of phonology, New York, Academic Press, 1975.
- 6) BACH, E. Syntactic theory.
- 7) BAKER, C. L. Stress level and auxiliary behavior in English, Linguistic inquiry 11: 167-181, 1971.
- 8) BERMAN, A., on the VSO Hypthesis, Linguistic inquiry, V: 1-37, 1974.
- 9) BERMAN, A. and MICHAEL, S. Observations on sentential stress, Language 48-325, 1974.
- 10) BIERWISCH, M., Two critical problems in accent rules, Journal of Linguistics, 4: 173-178, 1968.

- 11) BLOOMFIELD, L., *Language*, New York, Holt, Rinehart and Winston 1933.
- 12) BOLINGER, D., The atomization of meaning, *Language* 41:555-573, 1933.
- 13) BRAINE, M.D.S., *On two types of models of the internalization of grammars*, New York, Academic Press, 1971.
- 14) BRESNAN, J.W. On complementizers: Toward a syntactic theory of complement types, *Foundations of Language* 6: 297-321, 1970.
- 15) BRESNAN, J.W., Stress and Syntax: A Reply, *Language* 48, 326-342, 1972.
- 16) BRESNAN, J.W., On the form and functioning of transformational rules, *Linguistic inquiry* 7: 3-40, 1976.
- 17) BURT, M.K., *From deep to surface structure: An introduction to transformational syntax*, New York, 1971.
- 18) CARROLL, J.B., *The study of Language*, Harvard Univ. Press, 1960.
- 19) CHOMSKY, N. *Syntactic structures*, the Hague: Mouton, 1957.
- 20) CHOMSKY, N., *Current issues in Linguistic theory*, the Hague: Mouton, 1964.
- 21) CHOMSKY, N. *Aspects of the theory of syntax*, Cambridge, Mass, MIT Press 1965.
- 22) CHOMSKY, N., *Language and mind*, New York: Harcourt 1968.
- 23) CHOMSKY, N. *Topics in the theory of generative*

- grammar, The Hague, Mouton, 1966.
- 24) CHOMSKY, N. Studies on Semantics in generative grammar, The Hague, 1972.
 - 25) CHOMSKY, N. Reflexions on Language, New York, 1975.
 - 26) CHOMSKY, N. The Logical structure of Linguistic theory, New York, 1975.
 - 27) CHOMSKY, N., Conditions on rules of grammar, Linguistic analysis, 2-4, 1975.
 - 28) DARWIN, C., Expressions of emotions.
 - 29) ELGIN, S.H., What is Linguistics? Englewood Cliffs, N.F.: Prentice Hall, Inc, 1973.
 - 30) FILLMORE, C.J., The position of embedding transformations in a grammar, Word, 19: 208-231, 1963.
 - 31) FROMKIN, V. and ROBERT, R., An introduction to Language, New York, 1974.
 - 32) GREENBERG, J.H., Some universals of grammar with particular reference to the order of meaning Ful elements, in Joseph, H. Greenberg, ed. Universals of Language, Cambridge, Mass, MIT, Press 1963.
 - 33) GROSU, A., On the Left-branch condition, Linguistic inquiry, V: 308-319, 1974.
 - 34) HALLE, M., Stress rules in English: A New Version, Linguistic Inquiry, IV: 451-464, 1973.
 - 35) HARRIS, Z.S., Methods in structural Linguistics.
 - 36) HARRIS, Z.S., Co-occurrence and the transformation in Linguistic structure, Language, Vol. 33, 1957.
 - 37) HARRIS, Z.S., The transformational models of

- the Language structure, *Anthropological Linguistics*, 1959.
- 38) HARRIS, Z.S., *Mathematical Structure of Language*, New York 1968.
 - 39) HARRIS, Z.S., *String analysis of Sentence structure*, Mouton 1965
 - 40) HETZRON, R., Phonology in Syntax, *Journal of Linguistics*, vol. VIII, 251-265, 1972.
 - 41) HOCKETT, C.F. *A course in modern Linguistics*, New York, 1958.
 - 42) JACKENDOFF, R.S., An interpretive theory of negation, *Foundations of Language* 5:218-241, 1969.
 - 43) JACKENDOFF, R.S., Gapping and related rules, *Linguistic inquiry* II: 21-35, 1971.
 - 44) JACKENDOFF, R.S., On some questionable arguments about quantifiers and negation, *Language* 47: 282-297, 1971.
 - 45) JACKENDOFF, R.S., *Semantic interpretation in generative grammar*, Cambridge, Mass. MIT Press, 1972.
 - 46) JACKENDOFF, R.S., Toward an explanatory semantic representation, *Linguistic inquiry* 7: 89-150, 1976.
 - 47) Jacobs and Rosenbaum, *Transformations, style and meaning*, M.I.T Press, 1971.
 - 48) JESPERSEN, O., *The philosophy of grammar*, New York, 1965.
 - 49) KATZ, J. and PAUL, M., *An integrated theory of Linguistic descriptions*, Cambridge, Mass, MIT Press, 1964.
 - 50) KIMBALL, J. *The formal theory of grammar*,

Englewood Cliffs, N.J. Prentice-Hall, Inc, 1973.

- 51) KUNO, S., The position of Locatives in existential sentences, *Linguistic inquiry* 11: 333-378, 1971.
- 52) KUNO, S., Constraints on internal clauses and sentential Subjects, *Linguistic Inquiry* IV: 363-385, 1973.
- 53) KUNO, S., Conditions for verb Phrase deletion, *Foundations of Language* 13: 161-175, 1975.
- 54) LYONS, J. *Introduction to theoretical Linguistics*, London Cambridge, Univ. Press, 1968.
- 55) Ogden and Richard, *The meaning of meaning*.
- 56) RABIN, *Ancient west-Arabic*, London, 1951.
- 57) ROBINS, R.H. *General Linguistics*, An introductory survey, London, 1964.
- 58) SAPIR, E. *Language*, New York, 1921.
- 59) SMITH, S. and WILSON, *Modern Linguistics, the result of chomsky's revolution*, Indiana Univ. Press, 1979.
- 60) TERWILLIGER, *Meaning and mind*, Oxford, 1968.
- 61) ULLMANN, S., *Principles of semantics*, Oxford, 1957.
- 62) WINTER, W., Transforms without Kernels, *Language* 41: 484-89, 1965.
- 63) WRIGHT, W., *A Grammar of Arabic Language*, Cambridge Univ. Press, 1898.



الفهرس العام

الموضوع الصفحة

الاهداء ٥

مقدمة المؤلف ٧

الفصل الاول

دراسات في علم اللغة ١١

اهتمام القدماء بدراسة اللغة ١٣

بين علم اللغة وفقه اللغة
ميادين علم اللغة: ١٧

علم اللغة العام ١٩

علم اللغة التقابلي ٢٠

علم اللغة التاريخي ٢٢

علم اللغة المقارن ٢٣

علم اللغة الوصفي ٢٤

علم اللغة ومستويات التحليل اللغوي ٢٥

عوامل اعاقا الدرس اللغوي عند العرب ٢٩

الفصل الثاني

اعلام النهضة بالدرس اللغوي في الغرب ونظرياتهم ٣٧

فرديتاندي سوسير ٤٠

٤٢	ادوارد ماير
٤٥	ليونارد بلومفيلد
٤٨	زيلغ مايني هارس
٥٢	نوام تشومسكي
٥٤	اسس النظرية التوليدية التحويلية
٦٠	اهم عناصر التحويل

الفصل الثالث

٧١	منهج وتطبيق
٧١	الجملة العربية بين التوليدية والتحويلية
	عناصر التحويل
٨٨	١ - الترتيب
٩٦	٢ - الزيادة
١٢٦	شبه الجملة
٢٣٤	٣ - الحذف
١٤٩	٤ - الحركة الاعرابية
١٧١	٥ - التنعيم
١٧٨	مصطلحات لا بد من توضيحها
١٨٩	ظاهرة التلازم
٢٠٥	قائمة المراجع العربية
٢١٣	قائمة المراجع الاجنبية
٢١٩	محتويات الكتاب